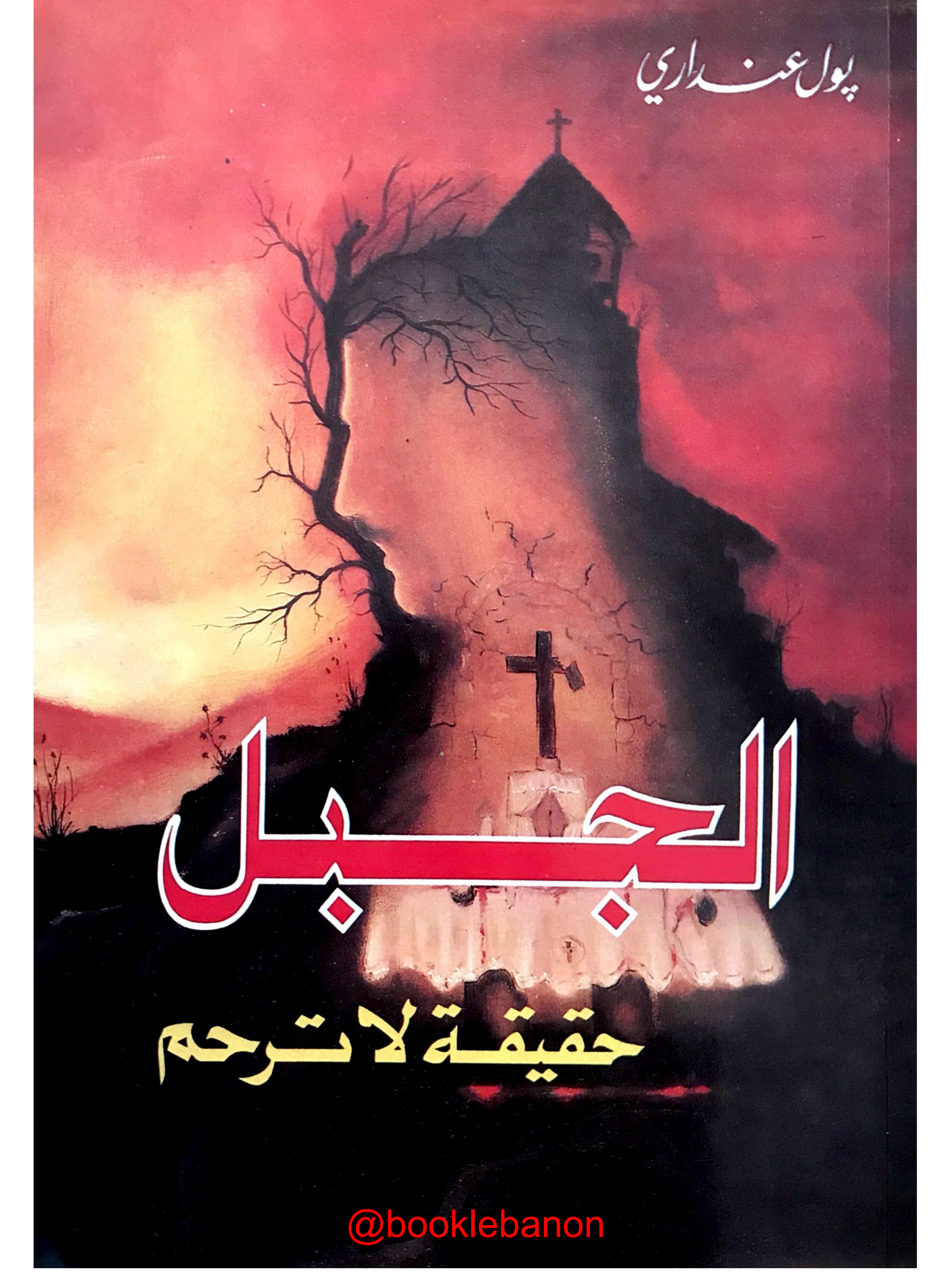

پول عنداري
الجبل
حقيقة لا ترحم
@booklebanon

الجبل حقيقة لا ترحم.
هو تجسيد للحظات رهيبة ومشاهد مروعة، فالاطلاع عليه ضرورة لأجيال الغد كي لا تتكرر المأساة.
هو تصوير لإنسان جاهل ومجتمع متفكك وشعب لامبالٍ.
إنه فصل من نضالنا المخطوط بالدم، وسيكون بين ما كُتب وما سيُكتب عن تلك المرحلة، وثيقة لوجودنا وذخراً.

بول،
عرفتك مناضلاً جامعياً فأعجبت بك،
وخبرتك مقاوماً عنيداً فزاد إعجابي،
واليوم اكتشفتك كاتباً ومؤرخاً فتعجبت.

ما كتبته مأساة مرّة تحملت شقاوتها مع الرجال والرفاق، لكن ثق بأننا سنغير الواقع معاً ونغير مسار التاريخ و... نبقى.

فؤاد أبو ناضر

ف. أبو ناضر

بول عذاري

الجبل...

حقيقة لا ترحم

أتيت لأطلب منكم
أن تقـولوا الحقيقـة
مهمـا كانت صَعبة

بشير الجميّل

الاهداء ...

الى الذين ارتفعوا من أقرب مكان الى السماء .

الى كل جزء من ذاتي بقي في أماكن كثيرة .

الى كل جرح رسم البطولة على تراب الجبل .

... الى أخي ...

مقدّمة للمؤلف

هل رأيت رفيقاً يحترق ليصير كومة رماد ؟

هل كنت تحدق في عينيه ، عندما شطرت قذيفة رأسه عن الجسم ؟

هل جالست اماً ، تحادثك عن لهفتها لعودة ابن غاب الى الأبد . . . ؟

هل التهمتك عينا طفل يرجوك لقمة خبز ، لقمة واحدة . . . ؟

هل سهرت في الثلج ، سمَّرك الصقيع من دون معطف أو نار . . . ؟

هل عدت يوماً تبحث عن كنيسة اعتدت الصلاة فيها ، فوجدتها ركاماً اسود . . . ؟

هل كنت ترشف القهوة الصباحية على سطيحة بيتك القرميد ، وغدوت فجأة متقوقعاً في كاراج عفن أو تحت درج . . . ؟

هل مررت ذلك اليوم في كفرحيم ، ورشقوك بالشتائم والحجارة لانك فقط مسيحي . . . ؟

هل عشت جلجلة حقيقية ارتفع الصليب على قمتها ؟

انه الجبل ، غصَّ بالدم ، تهدمت قرى بكاملها ، نزح شعب بكامله . جبل من أجله استشهد أهل ورفاق في برك حمر مقدسة .

يوم حملت جراحي ، وما تبقى من ذاتي ، وعدت من دير القمر الى بيروت ، ظننت ان من شأن المأساة ان تثير نقمتنا على غير «المؤامرة» ، ان توقظنا من ظلمة الكهف . ان تدفعنا الى أكثر من التسلية «باخبار بحمدون» أو «حصار دير القمر» في

الصالونات والى أكثر من إقامة «الجنانيز» والقاء الخطب .

يومها اعتقدت بأن من شأن المأساة ان تدفعنا الى وقفة تاريخية أمام ذاتنا قادة وعناصر وشعباً لنطرح السؤال الآتي :

لماذا؟ . . . وبعدها نكمل مسيرتنا في مسار التاريخ . لكن شيئاً من هذا لم يحدث .

وأضحت الحقيقة المطبوعة في ذهني ، المنقوشة في مسامي تحرمني من النوم ، عشرات القرى المدمرة ، مئات امتزج دمهم بتراب الجبل ، نظرات ايدي الاسمر تحت الخوذة ، ضحكة جوزيف حداد وميلاد رحمة وجورج مرهج و . . . مئات غيرهم ، كلها كانت تهزني وتردد : امضيت عاماً من عمرك في الجبل ، فليس كثيراً ان تكتب حقيقة استشهادنا في تلك الارض . . . قبل ان تستشهد الديمقراطية .

مـن هنـا ، من كل جرح ، من كل بيت مدمـر ، من كل حبـة تراب كان كتابي : الجبل حقيقة لا ترحم .

الفصل الأوّل

الحرب المستمرة

«حضروا للمهمة ، اذا لم نكن في الجبل بخير فلن نكون في أي مكان من لبنان بخير» كلمات ما زالت محفورة في ذهني منذ ان اطلقها الحكيم وهو الاسم الذي ننادي به سمير جعجع يوم تسلم قيادة الجبل .

في السادس من ايلول ١٩٨٣ لجأ الجبل الى دير القمر بعد مواجهة قاسية في بحمدون وفي باحة مار عبدا جمع الحكيم المقاتلين ليقول لهم : «ربحتم الحرب كمقاتلين وخسرتها انا كقائد ، طلب منكم الصمود اثنتي عشرة ساعة فصمدتم اثنتين وسبعين» .

على ضوء اللهيب النيروني المرتفع فوق انقاض منازل المسيحيين المحترقة في بيت الدين والمعاصر وكفرنبرخ ودير دوريت . . . وداخل حلبة رقصة الموت التي يؤديها الدروز المنتصرون حول دير القمر المحاصرة من الخارج بالألوف الحاقدة ومن الداخل بالألوف الخائفة والجائعة ، بدأت العمل لاقامة خط دفاع عن البلدة .

سرايا دير القمر لم تزل اياها كما كانت فجر مذبحة ١٨٦٠ ، اقله حتى اليوم الثاني لهجرة الجبل المسيحي الى الدير . حتى ظلال المهاجين لم تزل مطبوعة على الجدران بعباءاتهم المقلمة وسراويلهم السوداء ولفائفهم الدموية المزنرة بالأبيض .

وعلى الرغم من دوي الانفجارات في الخارج وصراخ المحاصرين في الداخل امكنني سماع صوت «المنادي» الذي أمره الباشا لمئة وأربع وعشرين سنة خلت «بعدما لم يعد في دير القمر حي يرزق» بأن ينادي على السكان المسيحيين بانهم يستطيعون ان يطمئنوا لمصيرهم ، ولما سمع الدروز هذا راحوا يرددون ساخرين : «الحق بيده ، تستطيع الجثث ان تطمئن» بعدما «كان الدروز ينتزعون الاولاد الذكور من ايدي امهاتهم ويفسخونهم على مرأى منهن ، ويقتلون الرجال على ركب زوجاتهم بالمطارق وشتى آلات التعذيب»[١] .كل ما حولي كان جثثاً متحركة ، رحت ابحث بينها عن شاهد يثبت حياة . سألته : «كيفك يا حبيب فأجابني» ؟ :«انا مت ولكني لا أعرف ماذا أفعل بهذه الجثة»، وأشار الى نفسه .

١ـ Souvenir de Syrie P . 82

وجاءني الشاهد من أصوات تزعق عبر مكبرات الصوت وتردد صداها الاودية المختنقة بالدخان : «سوف لن يبقى أحد منكم حياً ليخبر عن بحمدون ، سندمر كنائسكم ومنازلكم على رؤ وسكم ، سندوس صلبانكم ونحطمها بأقدامنا ، لا موطىء قدم لمسيحي بعد اليوم في الجبل ، لن يخرج أحد منكم حياً من دير القمر» . . .

من كان في دير القمر مساء السادس من ايلول من العام ١٩٨٣ ؟

كل الذين لجأوا الى تلك البلدة خوفاً من مذبحة سنة ١٨٦٠ كانوا ، للمرة الثانية ، في دير القمر اليوم .

تاريخ يعيد نفسه .

شعب يعيد تاريخه .

نسخة مطورة ، منقحة ، عن المذبحة القديمة المتجددة ، وأكذوبة «التعايش» المستمرة .

أب هارب لم يتعرف الى جثة ابنه في الطريق .

أم تخلت عن طفلين لتنقذ ثلاثة .

. . انه الكابوس ، الكابوس إياه ! وأنا لم أكن أعرف ساعتئذٍ هل أنا في دير القمر الأمس أم اليوم ؟ وهل انا الأمس أم اليوم ؟ أم الاثنين في آن .

لبضعة أشهر خلت يوم جاء «الحكيم الى الجبل ، وجئت معه ، وأنا اتساءل عما اذا لم يكن يومذاك قد فات الأوان . غير ان ذلك الرجل كان قادراً ، دائماً ، على خلق معجزة اسمها الأمل ، أو الثقة بالنفس ، أو الشجاعة ، أو التحدي . . . أو كل تلك المعجزات منفردة أو مجتمعة . كان قادراً ربما لأنه كان يعرف ، وخصوصاً مسبقاً ، خطأ الرهان على الشخص بدل الرهان على الشعب .

أما قبل وصوله الى الجبل فقد حصلت أمور كثيرة لعلها كانت كافية لدفع الأمور في الاتجاه المحتوم الذي سارت فيه فيما بعد ، دون ان تنجح المعجزة في الانقاذ الكامل بالرغم من أنها حالت دون وقوع الجريمة الكاملة ، أي المذبحة الشاملة .

. . . ذلك بأن الجريمة ، الجريمة الكاملة ، كانت قد بدأت قبل ذلك بكثير . فالمعركة ، معركة الجبل لم تكن معزولة في الزمان والمكان لأن لها امتدادها في التاريخ . هذا التاريخ ، الذي هو «ذاكرة الانسانية» منذ الكتابة «هو وحده كفيل» باعطاء التصور الحقيقي للمستقبل كما يقول بول فاليري . وهذا ما دفع وليد جنبلاط الى القول : «معركة الجبل عمرها مئة وأربعون عاماً» مئة وأربعون عاماً لا ترحم . . .

من البداية وحتى سنة ١٩٨٣

لا دروز قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٨٦ - ١٠٢٠) يوم ظهر المذهب الدرزي كظاهرة من ظواهر الصراع السياسي والفكري والمذهبي الذي تمحور بعد وفاة الرسول حول قضية الخلافة . وعندما تسلم الحاكم بأمره الحكم في مصر (نحو العام ١٠٠٠) أمر بتنفيذ كل رغباته في إطار السرية التامة ، وبهذا لم يتكلم كثيرون عن سقوط عشرة آلاف ضحية دفعة واحدة ، واحراق احياء برمتها في العاصمة ، ونبش جثث الأموات من القبور وطرحها للكلاب ، وهدم الكنيسة في حي المسيحيين بالقاهرة وتشييد جامع الأزهر على انقاضها . أما اتباعه فلا يزالون ينتظرون عودته الى الارض لأنهم صدقوا قوله «ان الله تجسم فيه» ، وذلك على رغم طردهم من مصر بعد وفاة سيدهم . وأبرز أولئك الاتباع نشتكين الدرزي الذي عرف الدروز نسبة اليه ، وحمزة بن علي . . .

واستناداً الى «سرية» الحاكم بأمر الله التي مارسها في مصر، حلل للدروز التظاهر بممارسة الدين السائد وفقاً للظروف ، وهكذا برزت عندهم «التقية» . ومن تعاليمهم ان الصدق مع غير الدروز هو مجرد تهذيب لا يلزم الضمير . . . وان الصدق لا يعتبر واجباً يلزم الضمير إلا مع الموحدين . . .

و«الروح الدرزية تنتقل بعد الموت وتتقمص في جسد درزي ، ثم في جسد درزي آخر ، وهكذا دواليك حتى آخر الزمان»[١] .

أما أول تجمع درزي فكان في وادي التيم «ثم تغلغلوا الى المنطقة الشوفية مزيحين الشيعة الذين سبقوهم اليها»[٢] .

في القرنين السابع عشر والثامن عشر حدث انتشار ماروني من الشمال باتجاه كل انحاء لبنان ، واستقر عدد كبير من الموارنة في المناطق الدرزية حتى فاقوا الدروز عدداً . وهكذا تمت العلاقة بين «المقاطعجية» الدروز واليد العاملة المارونية . و«للمرة الاولى منذ الرومان نرى في الشرق حكماً يهتم بالأمور الاقتصادية والديمغرافية (أيام فخر الدين) . . . الذي قيل انه تعمد على يد الاب ادريان لابروس» .[٣]

(١) - هذه وصيتي - كمال جنبلاط . ص ٥٤ .
(٢) - المصدر نفسه ص ٤١ .
(٣) - منشورات الجامعة اللبنانية .

نجاح التجربة في هذه العلاقة بين الدروز والموارنة في الجبل دفع آل معن الى التفكير بتوحيد البلاد تحت سيطرتهم . كما ان استقرار العلاقة الدرزية - المارونية كان القاعدة الاساس لانطلاق الأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير نحو بناء دولة حضارية على الأسس التالية :

- الحضارة والثقافة
- السياسة الحكيمة
- الحكم الصالح
- استثمار الطاقات[1] .

لذلك قام الجيش المعني على ركيزتين رئيستين : الدروز والموارنة . وإذا كان عدد الدروز قد فاق عدد الموارنة بادىء الأمر ، فانه سرعان ما انقلبت المعادلة بعد النكبة الدرزية الكبرى التي قام بها ابراهيم باشا والي مصر وكان ضحيتها اكثر من ستين الفاً من الدروز . وهكذا بات اعتماد فخر الدين على الموارنة ، في الجيش كما في السلك الدبلوماسي الخارجي ومعظم الوظائف القائمة على المثقفين ، فحل الموارنة محل الدروز في القرار السياسي في القرن الثامن عشر على الرغم من تظاهر الموارنة الشهابيين بمظهر الدروز .

ثم اندلع الصراع الحزبي الدرزي قيسياً يمنياً بين الاسر الدرزية الاقطاعية ، فاضطر اللمعيون الى ان يعتنقوا المارونية ، فيما هرب اليمنيون الى حوران وسكنوا جبلاً خالياً من السكان . أما الهجرة الدرزية الثانية من لبنان الى حوران فتمت عندما فرض المير يوسف الضريبة على العمامة البيضاء نحو العام ١٧٧٢ . تلا ذلك هجرة ثالثة عقبت المعارك الضارية بين آل أعور وآل ابي الحسن التي اسفرت عن نزوح عائلات ابي الحسن الى قرية عرمان في جبل الدروز .

واستمر عدد الدروز في الانخفاض بالنسبة الى عدد الموارنة المتزايد . فبعد حسم الصراع القيسي اليمني الدرزي نشب صراع جديد هو اليزبكي - الجنبلاطي . وفي ظل غالبية مارونية في الجبل حيال أقلية درزية مقتتلة بزغ فجر العهد الشهابي الماروني العام ١٧٧٠ عندما تنازل الامير منصور عن الحكم للامير يوسف . ومما ساهم في ترسيخ حكم الموارنة وتعزيزه وتوسعه انتشار صناعة الحرير ونمو التوظيفات الاوروبية في هذا الحقل وتوطيد العلاقة مع روما ، وما عقب ذلك من تدفق أموال المهاجرين الموارنة الى ذويهم في لبنان .

---

(٢) - ذكرى فخر الدين - لبناني عتيق .

بدء الصراع الماروني - الدرزي

دام حكم الامير بشير الثاني اثنتين وخمسين سنة ، وفي العام ١٧٠٧ تنصر في غزير فجاء ذلك بمثابة اشارة بدء النزاع الدرزي - الماروني الطائفي . فقد ثار الشيخ بشير جنبلاط على الأمير معلناً رفضه الحكم الماروني . ثم تعاقبت التدخلات الأجنبية منذ عهد ابراهيم باشا على تغذية النزاع والخلافات بين الموارنة والدروز من حيث لمعت في هذا المجال اسماء معروفة كالليدي استير استنهوب ، الكولونيل روز ، الكولونيل وود ، جماعة المرسلين والمخابرات وسواهم من الجمعيات والمؤسسات المنظورة والمستترة .

غير ان الأمير الدرزي المتنصر نجح في القضاء على خصمه الجنبلاطي وهدم قصره في المختارة ونكل بانصاره فحدثت هجرة جنبلاطية واسعة الى جبل حوران .

وبعد انهيار الحكم المصري الداعم آنذاك لحكم بشير الثاني ، لم ينس الدروز موقف النصارى الموالين له فعادوا يطالبون بالامتيازات القديمة التي كانت لهم والحقوق التي خسروها في ظلال الحكم الشهابي . وعندما حاول بشير الثالث تسوية الاوضاع بانشاء مجلس من اثني عشر عضواً رفض الدروز ذلك كما رفضوا الاعتراف بالواقع السائد آنذاك . وهكذا ارتمى الموارنة في حضن فرنسا ورفعوا العلم الفرنسي فوق بعض أديرتهم طلباً للحماية ، فيما اتجه الدروز الى انكلترا للاستقواء بها . ولم يبخل البريطانيون على الدروز بالسلاح ، كما ان الدور العثماني نشط في تغذية الانقسامات والخلافات بين الطائفتين اللبنانيتين وتسليح الدروز وتنظيمهم وتحريضهم . وفي مقابل روح التضامن والانضباط والانصياع للزعماء وحرية التكيف وفق الظروف السياسية السائدة التي عرف بها الدروز اضافة الى التكتم والخديعة في التعامل السياسي والعسكري ، اشتهر الموارنة بالجرأة والاندفاع والثقافة فتفوقوا على الدروز في مختلف الميادين . غير ان النزعة الفردية والروح الاستقلالية اضعفت تماسكهم وسببت لهم انقسامات خطيرة في ظروف حرجة بفعل الخلافات الشخصية والحزبية . وكان هذا سبباً كافياً لخسارتهم القوة الناجمة عن التفوق العددي والبسالة النادرة .

في هذه الاجواء الداخلية المشحونة والدولية المعقدة بدأت الاحداث تتعاقب بشكل يثير الدهشة . فمن حادثة «الحجل» الشهيرة بين بلدتي بعقلين الدرزية ودير القمر المسيحية ، الى حوادث القتل والقتل الانتقامي المضاد في غير منطقة من الجبل ، «انحدر أهالي بحمدون وشرتون الى بيروت ، وأهالي رشميا وعين تريز ومن يجاورهم الى دير القمر . الذين ذهبوا الى دير القمر طمع بهم الدروز فقطعوا لهم الطريق عند كفرقطره وقتلوا معظمهم وأخذوا المغانم» . يومذاك تجمع

النصارى في بعبدا بقيادة رجل من بكفيا اسمه الشنتيري لمهاجمة الشويفات ، وقد انتصر الدروز في هذه المعركة بقيادة سعيد جنبلاط .

بعد هذه الأحداث كان نظام القائمقاميتين وقضى بتعيين مدير لكل قائمقامية . غير ان الأحداث الدرزية الداخلية لم تنقطع على الرغم من أحداث ١٨٤٠ و١٨٦٠ ، وكان أبرزها حادثة عماطور التي وقعت العام ١٨٥٤ بين عائلتي أبي شمرا وعبد الصمد بسبب حرق شجرة توت والتي قتل فيها اكثر من ثلاثين شخصاً . وقد سارع كاهن البلدة واخفى أولاد الفريقين الدرزيين المقتتلين في الكنيسة وانقذهما من الابادة .

مع تعيين خورشيد باشا العام ١٨٥٧ ، ونتيجة عطفه على الدروز وتقربه منهم ، احتدم طغيان مشايخهم ، وأصبحت التحالفات على الشكل الآتي :

الاقطاعيون الدروز ، يساعدهم الانكليز والعثمانيون .

الفلاحون الموارنة مع الاكليروس ، تساعدهم فرنسا والنمسا .

وراح الفريقان يعدان العدة للقتال .

في العام ١٨٥٨ انفجر التوتر الطائفي عبر ثورة الفلاحين بقيادة طانيوس شاهين الذي طرد آل الخازن من كسروان ووعد نصارى الشوف بامدادهم بمئة الف مقاتل لمساعدتهم في حربهم ضد الاقطاعيين الدروز . أما الدروز فتنادوا من حوران وبلاد الشام وساعدتهم الدولة العثمانية للقضاء على المسيحيين وذلك بمعرفة الانكليز ومباركتهم .

حوادث ١٨٦٠

مضى الفريقان في استعدادهما للقتال على مختلف الصعد وفق منهجين نقيضين . النصارى كان إعدادهم علناً ، ظاهراً ، والدروز في الخفاء والتكتم ، بحيث قضى زعماؤهم شتاء ١٨٥٩ - ١٨٦٠ في بيروت عبر اجتماعات يومية طويلة عقدوها مع السلطات التركية اعداداً لليوم المقرر ، الى ان اعطت الاستانة الضوء الأخضر .

اشتعلت أحداث العام ١٨٦٠ ، وهزم فيها النصارى ، فدخل الدروز القرى المسيحية وقتلوا أهاليها واحرقوا منازلها . أما الامدادات التي كانت ترسل من الشمال الى المسيحيين فكانت تقف دوماً عند أبواب بعبدا وبكفيا دون ان تبلغ دير القمر أو زحلة . ولم يقف الاتراك على الحياد في هذا القتال بل شاركوا فيه الى جانب الدروز ، خصوصاً في دير القمر حيث كانت هناك حامية تركية معززة بالف جندي وبضعة مدافع . وقد طوق الدروز وأعوانهم دير القمر فقاومهم الأهالي الذين

استجابوا لتعهد من قائد الحامية التركية فألقوا السلاح وفتحوا أبواب السراي وقصر بيت الدين . غير ان القائد التركي عمد بعد ذلك الى تسليم المسيحيين للدروز فهلك منهم في ذلك اليوم المشؤوم نحو الالفين .

كالعادة ، كما في كل مرة ، هزت انباء المذبحة - الى حين - الدول الكبرى فسارعت اساطيلها الحربية الى القاء مراسيها على الشواطىء اللبنانية . فأرسلت فرنسا سبعة آلاف جندي بقيادة الجنرال «دو بوفر» الذي سيطر على الشوف وبدأ محاولة للنظر في اعادة تنظيم لبنان .

ماذا كان حصاد أحداث مجازر العام ١٨٦٠ ؟

كانت مجزرة مسيحية رهيبة : ٣٠ الف ضحية ، ٣٦٠ قرية مدمرة ، ٥٦٠ كنيسة مهدمة ، ٤٢ ديراً محروقاً . . . اضافة الى خسارة موسم القز التي قدرت بخمسة الى ستة ملايين فرنك . وتماماً كما في كل مرة عقدت اتفاقات على أساس ان «ما مضى قد مضى» وعاد الموارنة يصلون «ابانا الذي في السماوات اغفر لنا ما اسأنا به اليك ، كما غفرنا لمن ذبحونا»!

أما أسباب خسارة المسيحيين فيعزوها المؤرخ الدكتور كمال الصليبي الى عدم التنظيم وانعدام الثقة بالزعماء الانانيين ، المفتقرين الى المقدرة والكفاية ، المتخاصمين أبداً في ما بينهم ، المستعدين للمساومة على القضايا والمصالح العامة من أجل قضاياهم ومصالحهم الشخصية .

نظام لبنان الاساسي

مذ ذاك اشتد التنافس بين مندوبي بريطانيا وفرنسا لبسط النفوذ والهيمنة . وقد رأت بريطانيا ان الطريق االسهلة والفضلى هي الحاق هذا الجبل بولاية سوريا وتسليم إدارته الى واليها ورفض الباب العالي ذلك وشجعته فرنسا التي تقدمت بمشروع يرمي الى جعل جبل لبنان إمارة مسيحية مستقلة من الشمال حتى الأولي» فيما عارضت بريطانيا ذلك بشدة .

ثم كان اجتماع السفراء في التاسع عشر من حزيران من العام ١٨٦١ الذي وقع بنتيجته «نظام لبنان الاساسي» الذي نصت مادته الأولى أن «يتولى إدارة لبنان حاكم مسيحي» . وهذا ما دفع كمال جنبلاط الى القول في كتابه «هذه وصيتي» : «انتهت حوادث ١٨٦٠ بتفتيت لبنان وتكوين مركز ماروني صغير - لبنان الصغير ذو الوجه المسيحي - وأدت الى تفتيت الملكية الدرزية الكبرى ، وفي أقل من قرن انتقل الدروز من وضع المسيطر الى وضع المسيطر عليه» . وقد بدا جلياً في أعقاب «احداث الستين» ان الحكم في لبنان قد أصبح أشبه بنظام فدرالي حيادي ، بحيث كان ابن زحله مثلاً يحكم زحله وكذلك ابن الكوره . . . فمدير المعوش كان مارونياً ، ومدير اقليم الخروب

سنياً ، وباتت حدود الشوف نهر الاولي جنوباً وغزير شمالاً . أما دير القمر فبقيت اقليماً قائماً في حد ذاته يضم حوالى اثنتي عشرة نسمة مع جوارها.

بقي الوضع على بعض استقرار حتى قيام الثورة العربية في الحجاز في العام ١٩١٦ عندما وقف معظم الدروز (السلطان الاطرش ، دروز حاصبيا وراشيا وآل جنبلاط . . .) الى جانبها فيما انقسم اللبنانيون الى مطالبين بالوحدة مع سوريا ومنادين بتوسيع حدود لبنان وجعله بلداً مستقلاً . الدروز ، بدورهم ، وقفوا من الوحدة بين معارض ومؤيد . أما الموارنة فأعلن موقفهم البطريرك الحويك بعبارته الشهيرة : «ان الموت في ظل صخورنا خير من الانضمام الى دمشق» .

بعد اعلان فيصل ملكاً على سوريا ، واعلان لبنان الكبير سنة ١٩٢٠ ، وقعت حوادث وفتن عدة في راشيا اخمدتها فرنسا . ثم وقع اعتداء درزي على المكاري المسيحي نجيب بولاوون من دير القمر بتحريض انكليزي . وألف الانكليز في مصر لجنة لتحرير سوريا ضد فرنسا يديرها درزي من ارصون اسمه نجيب شقير . بعد مقتل المكاري المذكور قتل أهالي الدير مكاريين درزيين . فقتل الدروز ثلاثة مسيحيين ، ورد المسيحيون بقتل ١١ من الدروز . عند ذلك أرسل شيخ عقل بعقلين حسين حماده الى المطران البستاني في بيت الدين قائلاً له : «يا سيدنا بدنا نضبط الجهال من الاثنين قال له المطران أود أن أطرح عليك سؤالاً : من أكثر الموارنة أم الدروز ؟ قال : نحن ربع الموارنة . قال المطران : على حسابك لا نلحق نخسر الربع حتى تنتهوا لذلك ضبوا جماعتكم» .

في العام ١٩٢٥ نجح الانكليز في تحريك دروز الجبل بواسطة الاطرش فكان ان احترقت راشيا وامتدت الحوادث الى الشام ، غير ان الجنرال ساراي ضرب المشاغبين في الشام وأسكتهم .

* * *

وظل الدروز صامتين حتى وجدوا الفرصة السانحة للقضاء على المسيحيين ، أو هكذا تراءى لهم ، في الثالث عشر من نيسان سنة ١٩٧٥ عندما اندلع القتال المسيحي ـ الفلسطيني . «فالوضع الدولي لم يعد كما كان سنة ١٩٥٨ ، وصار لا يجوز الاعتماد على فرنسا لتهب لنجدة امتيازات المارونية . فقد جرت مياه كثيرة تحت الجسور منذ عام ١٨٦٠»[1] .

وهكذا أعلن كمال جنبلاط الحرب على المسيحيين حاملاً لواء الاسلام «لم يرتكب اليهود ازاء العرب ما ارتكبه الموارنة الانعزاليون من الافراط ازاء المؤمنين من المسلمين»! [2] .

وفيما أعلن كمال جنبلاط «اننا افلحنا في السيطرة سلماً وبصمت كامل على ثلاثة أقضية كبرى هي قضاء الشوف وعاليه والمتن الأعلى ونصف جبل لبنان تقريباً من دون اطلاق طلقة . . . بل

(١) ـ (٢) ـ هذه وصيتي ـ كمال جنبلاط ٢٥ ـ ٦٧

باتباع سياسة مهابة سياسية وعسكرية». (١) كان المسيحيون يدفعون في هذه الاقضية يومياً ثمن تلك السيطرة «السلمية» ضحايا وتهجيراً ، من حيث ان الباقين منهم باتوا «أهل ذمة» في ديارهم .

سوريا اولاً

بينما كان كمال جنبلاط ممسكاً بزمام قيادة «القوات المشتركة» الاسلامية الفلسطينية اليسارية ، ومطمئناً الى «الاستسلام المسيحي غير البعيد في ريفون» وبالتالي تحقيق حلمه في رئاسة الجمهورية ، دخلت القوات السورية لبنان بحجة حماية المسيحيين ، وانقاذ المقاومة الفلسطينية ، والحفاظ على عروبة لبنان . . . وبادر جنبلاط الى اتهام دمشق بالتآمر على لبنان وتصدى لقواتها الزاحفة في غير منطقة . غير ان الدروز سرعان ما تيقنوا من عجزهم عن مواجهة الجيش السوري الزاحف فراحت سياراتهم تنزل من صوفر بصورة جنبلاط وتعود بصور الرئيس السوري حافظ الاسد .

وذهب وفد درزي كبير الى قادة السوريين وقالوا لهم : «هذه مفاتيح بيوتنا ونحن نفضل السوري على الموراني» .

وفي ظل علاقة مقبولة يومذاك بين السوريين والكتائب عاد الوجود الكتائبي الى بعض مناطق الجبل ، وكانت النشاطات الحزبية الكتائبية علنية . وكان الدروز في هذه الفترة ينفذون الجرائم الفردية والجماعية ضد المسيحيين كلما سنحت لهم الفرصة .

في السادس عشر من شهر آذار من العام ١٩٧٧ اغتيل كمال جنبلاط فاستغل الدروز الحادثة ونفذوا مجزرة ضد مسيحيي الجبل اسفرت عن اكثر من مايتي شهيد معظمهم من قرى : مزرعة الشوف ، معاصر الشوف ، كفرنبرخ ، الباروك ، المختارة ، كفرقطرا . . . وسواها من القرى الشوفية . ثم ارتكبت مجزرة كنيسة قرية بريح في ٢ آب ١٩٧٧ حيث كان يقام جناز لاحد الاهالي .

ولما بدأت العلاقات تسوء بين المسيحيين والسوريين سارع الدروز للتحالف مع اعداء الأمس ، فنجحوا في جعل السوريين غطاء وذريعة لكثير من الجرائم التي ارتكبوها ضد المسيحيين في مناطق لبنانية مختلفة .

* * ولأن المجتمعات ، غالباً ، لا تسقط أو تضعف نتيجة للضربات الموجهة إليها من خارج بقدر ما تسقطها وتضعفها انقساماتها الداخلية ، فقد بدأت الايدي المدسوسة عملها لتخريب الجبهة المسيحية الداخلية .

---

(١) كمال جنبلاط ـ المصدر نفسه .

هكذا بدأت أحداث الشمال . وما لبثت هذه المواجهة ان ارتدت ثوب العنف والتصفيات الجسدية والتهجير القسري ، الى ان قتل جود البايع المسؤول الكتائبي في منطقة الزاوية ودفن دون ان يسمح آل فرنجيه باقامة مراسم الدفن العادية . فرد الكتائبيون بقتل طوني فرنجيه ابن سليمان فرنجيه في قصره باهدن مع ثلاثة وثلاثين شخصاً ، فما كان من الرئيس السابق إلا ان وجّه انذاراً عبر كهنة المنطقة الى الكتائبيين بوجوب مغادرة المنطقة .

كانت هذه أولى الضربات الموجعة التي توجه الى مجتمع الصمود المسيحي الذي استطاع ايقاع الهزائم المتعددة بالتحالف الفلسطيني ـ اليساري السوري في تل الزعتر والنبعة وشكا والجبل والعاصمة وسواها . . .

ذيول حوادث الشمال طاولت البقاع والجبل ، فهاجمت مجموعات مسلحة ليلاً بلدات القاع والفاكهة ورأس بعلبك في ٢٩ حزيران ١٩٧٨ وخطفت وقتلت العشرات من المسيحيين والكتائبيين . وفي سياق حملة مدروسة وهادفة وصلت معلومات الى الجبل تؤكد ان حملة دهم ستشمل المنطقة وتعتقل كل كتائبي من منزله . واستكملت هذه الحملة بحوادث اطلاق نار مفتعلة تدخل في أثرها السوريون ضد الكتائبيين ، مما تسبب بتخوف ، وبالتالي ، بنزوح مسيحي من قرى الجبل .

ثم كانت حرب المئة يوم التي تلت توقيف الشيخ بشير الجميل على أحد الحواجز السورية في الاشرفية (٢ تموز) ، ودخول القوات السورية كور ـ البترون .

وكرت سبحة الاحداث الدامية ففتح السوريون جحيم نارهم على المناطق الشرقية وبصورة خاصة الاشرفية ولكن صمود القوات اللبنانية جعل ثمن احتلال اي موقع غالياً جداً على السوري.

وخرج المسيحيون من هذه الأحداث بروح معنوية مرتفعة كان الفضل فيها للشيخ بشير الجميل الذي زرع الثقة والاندفاع والايمان في القلوب . لكن الجيش السوري تابع حربه ضد المسيحيين معارك عنيفة على الجبهة الشمالية . ومرة ثانية خرج المسيحيون بانتصار عسكري من معارك قنات التي سقط فيها أكثر من مئة قتيل سوري إضافة للجرحى والآليات المدمرة . وحول بشير الجميل الصمود العسكري الى حقيقة سياسية عندما وحد في ٧ تموز البندقية المسيحية .

في مواجهة المنطقة الشرقية التي استعادت استقرارها الأمني كانت مناطق الوجود المسلح الغريب واليساري تشهد يوماً بعد يوم تدهوراً أمنياً واخلاقياً على كل صعيد ، مما جعل وليد جنبلاط يصفها بـ «شيكاغو» ايام تقاتل عصابات المافيا . وبعد سلسلة تصريحات حمل فيها على القيادات اللبنانية الاسلامية والفلسطينية في المنطقة الغربية وحملها مسؤولية التسيب الأمني في «المناطق

الوطنية» أعلن ان الفدرالية هي احدى الصيغ المطروحة للحل ، وقال في كانون الاول ١٩٨٠ . «المسيحيون يريدون ضمانات ، ونحن نريد ضمانات يجب ان نأخذها . . .» وفي نفس اليوم عثر على جثث ثلاثة شبان مسيحيين مقتولين في بلدة بتلون . وبعد أيام هجر عدد كبير من ابناء بلدة عين داره المسيحيين وهدمت منازلهم . . . ثم كان الثاني من نيسان ١٩٨١ يوماً دامياً في بيروت . . . وبدأت حرب زحله واستبسال القوات اللبنانية فيها . . .

ماذا كانت النتيجة آنذاك على الجبهتين المسيحية والدرزية ؟

الكانتون الدرزي

مجتمع مسيحي أصيب بنزف كبير في دمه واقتصاده ، اضافة الى الانقسامات العميقة والخطيرة في بنيته الداخلية التي حاول الشيخ بشير الجميل تعويضها وحصر انعكاساتها . أما الجبل المسيحي فقد نزح معظم أهاليه في اثر المجازر التي أودت بحياة الابرياء وحصدتهم مئات وأفراداً . أما من بقي من «أهل الذمة» فقد عاشوا في حصار كامل راضخين للشروط القاسية والظروف الصعبة التي فرضها عليهم الدروز في إطار سياسة التخويف للتهجير .

بالمقابل كان «الكانتون» الدرزي شبه مكتمل في الشوف ويكاد يستوفي كل وسائل الاكتفاء الذاتي على صعيد الاجتماع والبنية التحتية ، وحتى الجيش (جنود ثكنتي بيت الدين وحمانا) ، إذ كان الدرزي يحارب بالفلسطيني المدرب والمسلح والاحزاب اليسارية ، بالاضافة الى «قوات الردع السورية» . وهذا ما مكن الدرزي من توفير شبابه ومقاتليه وحماية اقتصاده وعمرانه . كذلك استغل الدروز الامكانات السورية والفلسطينية في شق الطرقات وربط قراهم بعضها بالبعض الأخر ، فشهدت مناطقهم ازدهاراً تجلى بانشاء المصارف والمؤسسات ودفع المتمولين منهم الى توظيف أموالهم في قراهم وبلداتهم . وبينما كانت نسبة المسيحيين في الجبل مع بدء حرب السنتين تفوق الستين بالمئة ، أصبح الوجود المسيحي رمزياً جداً في بعض المناطق الجبلية ومعدوماً كلياً في معظمها .

حيال الوجود الدرزي المتنامي في ظل تحالفاته مع السوريين والفلسطينيين واليساريين في لبنان ، والوجود المسيحي المنكمش عن بعض المناطق والموحد في المناطق الحرة تحت قيادة الشيخ بشير الجميل ، ومع وجود سلطة شرعية لبنانية مغلوبة على أمرها ، كان الوجود الفلسطيني قد بات واقعاً مثيراً للخوف الكبير . بل ان الفلسطينيين في لبنان ، في العام ١٩٨٢ ، كانوا قد أصبحوا دولة قائمة بحد ذاتها : فلهم تمثيلهم الدبلوماسي ، ولهم ممثلوهم في المحافل والعواصم العربية

والدولية . ولهم قواعدهم العسكرية في مختلف المناطق اللبنانية بالبقاع والجنوب والشمال والجبل . ولهم وسائلهم العسكرية والمادية واللوجستية الضرورية والكافية . وهم يستقبلون على الاراضي اللبنانية أي اجنبي يشاؤ ون استقباله أو استضافته ، مثلما هم قادرون على استيراد كل حاجاتهم أو تصديرها بوسائلهم الخاصة ، وتحت ستارة تحالفاتهم مع أفرقاء لبنانيين أو المظلة الدبلوماسية العربية المعطاة لهم . . . كل ذلك جعل رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات يهدد بأن منظمته هي «الرقم الاصعب» في سلام المنطقة وحربها .

اسرائيل لأول مرة في الجبل

مع بداية العام ١٩٨٢ ، وسط هذه الأجواء ، كان الشعور السائد ان العد العكسي لعمل عسكري كبير قد بدأ فعلاً :

فالقوات اللبنانية بدأت بجمع الاحتياط لمواجهة المرحلة المقبلة ، بعدما أعلن الشيخ بشير «اننا سنواصل تعزيز قواتنا لاقناع العرب باننا لسنا عملاء» . وللمرة الاولى أقيم «مؤتمر للتضامن مع لبنان» في بيت مري بحضور مئة ممثل لهيئات دولية باشراف القوات اللبنانية التي بلغ حجمها العسكري آنذاك ١٨٢٦٠ عنصراً . ثم أعلن قائد القوات اللبنانية في ١٥ آذار من العام ١٩٨٢ «سنتخذ قراراً ما ولن ننتظر» .

على الصعيد الاسرائيلي كانت اسرائيل قد أعلنت ضم هضبة الجولان مع سكانها الدروز الاثني عشر الفاً . وأكد موشى ارينز انه «اذا استفزنا الفلسطينيون ودخلنا لبنان فستكون نهاية المنظمة» . ثم لم يلبث رفائيل ايتان في الثامن من نيسان من العام نفسه ان اعتبر اغتيال الفلسطينيين دبلوماسياً اسرائيلياً «خرقاً لوقف اطلاق النار في لبنان» .

وكان شيخ عقل الدروز محمد ابو شقرا قد استبق الكثيرين عندما دعا في كلمة القاها في الباروك الى الاستعداد «لأمور قد تفاجىء» وذلك في السادس عشر من كانون الثاني ١٩٨٢ .

أما وليد جنبلاط فقال في الثالث من نيسان : «لست متفائلاً وأخشى حدوث اشياء كبيرة» .

وفي الرابع من حزيران حدثت «الاشياء الكبيرة» التي «قد تفاجىء» إذ بدأ الزحف الاسرائيلي الكبير على لبنان .

ولم تمر أيام قليلة حتى كان الجيش الاسرائيلي قد بلغ مشارف بيروت ، أما في الجبل فقد توقف بعدما احتل بحمدون ، وعين زحلتا وأمست معظم المناطق الدرزية داخل الخطوط

الاسرائيلية . واذا كانت العملية الاسرائيلية العسكرية قد توقفت آنذاك فان حرباً ما ، باشكال مختلفة ، قد بدأت تذر قرنها بين المسيحيين والدروز في حمى الوجود الاسرائيلي في لبنان .

العلاقة الدرزية الاسرائيلية

«من بين مشاكلنا كدروز ، هناك مشكلة وجود جماعة درزية في اسرائيل ، هؤلاء ليسوا كما يحكي البعض، خداماً أوفياء للدولة اليهودية ، ولكن الدرزي من الحكمة ، من حيث لا يتخلى عن أرضه متى جاء المحتل»[1] . لذلك يمكن القول إن هناك علاقة ما قديمة ، بل متواصلة ، بين دروز لبنان واسرائيل ، وان هذه العلاقة - في كل حال - لم تبدأ مع الزحف الاسرائيلي على لبنان .

فالوجود الدرزي في اسرائيل هو وجود مؤثر لا يمكن تجاهله . والدروز الاسرائيليون يعيشون خاصيتهم الدينية والثقافية والمجتمعية في أجواء حرة . وهم ، خلافاً للرعايا العرب المسيحيين أو المسلمين ، يحق لهم الانخراط في جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد ارتفع عددهم في اسرائيل من اربعة عشر الفاً في العام ١٩٤٨ الى ثلاثة وثلاثين الفاً في ١٩٧٦ ، فالى خمسين الفاً في ١٩٨٢ . وهؤلاء ، على رغم أنهم يعيشون مجموعين في ١٨ قرية اسرائيلية معظمها في الجليل ، فان العلاقات مع اخوانهم دروز لبنان ، لم تكن يوماً مقطوعة . وهم مرتبطون بروابط القربى والعشائرية ، اضافة الى ان لهم مركزاً روحياً واحداً يجمعهم هو مركز خلوات البياضة في الجنوب اللبناني ، واضافة الى عملهم في القطاع الزراعي وقطاع البناء هناك نحو الف عامل درزي في ميناءي حيفا وايلات الاسرائيليين .

في العام ١٩٥٥ طبقت السلطات العسكرية الاسرائيلية قانون التجنيد الالزامي على ابناء الطائفة الدرزية ، فقال أحد الزعماء الدروز المعارضين لهذه الخطوة الشيخ فرهود قاسم فرهود : «إذا اعتقدت السلطات بانها تنجح في فصلنا عن العرب فهي هبلاء في الحقيقة» . وحتى العام ١٩٧٠ سقط من الدروز العاملين في الجيش الاسرائيلي ١٠٨ قتلى اثناء المعارك التي خاضها هذا الجيش حتى ذلك الحين .

مع سقوط الجولان في قبضة الجيش الاسرائيلي ، ومن ثم بعيد الاعلان عن ضمه الى اسرائيل عاد الحديث عن مشروع دولة درزية يتردد في أوساط سياسية وصحفية كثيرة . والحديث عن هذا المشروع لم يكن مستجداً بل انه يعود الى العام ١٧٩٨ عندما أعلن الامبراطور نابوليون بونابرت أمام

---

(١) - كمال جنبلاط - هذه وصيتي صفحة ٥٥ .

الامير بشير الشهابي : «ان رغبتي المخلصة هي ان أقيم للدروز استقلالهم واعطيهم مدينة بيروت ذات المرفأ كمركز تجاري لهم»[1] .

لذلك كانت العلاقة الاسرائيلية - الدرزية ، القائمة على دعائم ديمغرافية وسياسية وعسكرية ثابتة ، كافية لجعل الدروز اللبنانيين ركيزة طمأنينة ودعم للوجود الاسرائيلي في لبنان ، وكان الدروز والاسرائيليون من الحكمة والدهاء بحيث لا يفرطون بهذه الورقة الرابحة بالكشف عنها قبل ان يحين أوان نضوجها وموسم نطاقها .

العلاقة المسيحية - الاسرائيلية

مقابل علاقة درزية اسرائيلية قديمة ، عميقة ، متشعبة ومستقرة ، لم يكن هنالك حتى حرب السنتين أي نوع من أنواع العلاقات بين المسيحيين واسرائيل . حينذاك تولد شكل من أشكال التعاطف المسيحي الاسرائيلي نتيجة للتصريحات الاسرائيلية التي دأبت تكراراً على تأكيد عدم السماح بابادة المسيحيين من ضمن النظرة الاسرائيلية الى التوازن الاقليمي للقوى . وكان من الطبيعي ان ينمو هذا التعاطف متوازياً مع تزايد الضغط العسكري السوري الفلسطيني اليساري المشترك ضد المسيحيين . هكذا بدأت اسرائيل بارسال بعض شحنات الاسلحة والذخيرة الى المقاومة المسيحية ، ثم عمدت الى تدريب بعض المجموعات العسكرية التابعة للقوات اللبنانية . هكذا بدا الوضع عام ١٩٨٢ .

---

(١) - غالب ابو مصلح : الدروز في ظل الاحتلال الاسرائيلي صفحة ٢٤٧ .

العودة المسيحية الى الجبل

بعد غياب قسري مؤلم استغرق ثمانية أعوام متواصلة عادت الى شرتون أولى المجموعات المسيحية المؤلفة من خمسة عشر شاباً تابعاً لقسم القرية الكتائبي ، وذلك قبل ان يدخلها الاسرائيليون . ثم توالى وصول حوالى خمسين سيارة مدنية تقل شباباً من منطقة عاليه بسلاحهم الفردي ولباس مدني ، وبدأوا يتجهون الى بيوتهم في المنصورة وبحمدون وسواها .

ثم استمرت مسيرة العودة فيما المعارك* على أشدّها في بحمدون بين الاسرائيليين من جهة والسوريين والقوات المشتركة من جهة أخرى . وقد ترك السوريون المنسحبون وراءهم اكثر من مئة قتيل ، اضافة الى ثلاثمئة أسير من القوات المشتركة وقعوا في أيدي الاسرائيليين .

ووسط فوضى عارمة في عمليات تجميع الاسلحة والآليات والمعدات التي خلفها السوريون والقوات المشتركة في أرض المعركة ، وصل الى المنطقة أول مسؤول من القوات اللبنانية هو «بوسي» ! أما الأمر الذي بدا ملفتاً جداً فهو ان بعض الآليات الاسرائيلية كانت ترفع اعلام القوات اللبنانية وتحمل صوراً للشيخ بشير الجميل !...

وهذه المرة ايضاً كان الدروز «من الحكمة من حيث لا يتركون ارضهم للمحتل» فتركوا الموجة الاسرائيلية تمر دون ان يشتركوا في اطلاق رصاصة واحدة في القتال . وقد برر وليد جنبلاط ذلك في ١٨ حزيران ١٩٨٢ بقوله :

«ما حدث في الشوف أتحمل أنا وحدي مسؤوليته . وأعلم جيداً المحاولات التي يقوم بها الاحتلال لترسيخ المفهوم المعروف لسلخ الطائفة الدرزية عن واقعها الاسلامي العربي ...» .

غير ان جنبلاط التقى في اليوم التالي شيمون بيريز الذي أعلن بعد اللقاء ان «السيد جنبلاط حر في التنقل الى أي مكان يشاء» .

وتشدد الدروز في مبدأ «الحكمة» خصوصاً بعد ترشيح الشيخ بشير الجميل نفسه لرئاسة الجمهورية فتقربوا من شباب الكتائب العائدين بعد غياب الى قراهم ، كما توددوا الى المسؤولين الكتائبيين ، وأوعزوا الى شبابهم المقاتلين بحلق لحاهم واخفاء كل المظاهر العسكرية .

بالمقابل أقام كتائبيون عدداً من الحواجز في امكنة مختلفة ، ولا سيما في بيصور وقبر شمون . . . كما اقدموا على اقفال مركز الحزب الاشتراكي في عاليه مما حدا بالشيخ بشير الجميل الى اعادة فتحه ورفع صورة كمال جنبلاط فيه . والجدير بالذكر ان كل هذه التصرفات قد تمت دون ان تكون مستندة الى أي قرار حزبي رسمي من الكتائب أو القوات اللبنانية ، انما كانت في الغالب تصرفات فردية تنم عن مدى القهر الذي يعاني منه مسيحيو الجبل . هذه التصرفات ساهمت، عن وعي أو بلا وعي ، في إيهام الشباب بانه لا فرق بين انتصار الجيش الاسرائيلي وانتصارهم . ولم يكن ذلك بالأمر العسير بعد ثمانية اعوام من الابعاد القسري عن ديارهم وأهلهم ومعاناة التشريد التي تحملوا مرارتها على احلام العودة . لذلك كان في عودتهم بعض التحدي ، بعض الانتقام ، اللذين تجليا في بعض الاعمال غير المسؤولة التي قاموا بها بصورة عفوية كردة فعل تحذيرية وإن في غير أوانها .

معركة القريّة ـ قبيع

ولعل خير مثال يمكن اتخاذه دليلاً على التصرف العفوي اللامدروس ، في تلك المرحلة، هي معركة القريّة ـ قبيع . أما وجه الخطورة في هذه المعركة ففي كونها جاءت فاتحة وسابقة ، تكرس نهج ردات الفعل الضعيفة الذي انتهجته القوات اللبنانية في الجبل رداً على ما كانت تتعرض له أثر عودتها الى المنطقة .

فماذا حدث في القريّة ؟

مع دخول الاسرائيليين الى رويسات صوفر وصلت معلومات تفيد بأن المنطقة الممتدة من القريّة الى حمانا قد أصبحت خالية من القوات السورية ومقاتلي التنظيمات المسلحة الأخرى . وتقرر ان تدخل القوات اللبنانية حمانا فسمح الاسرائيليون بذلك ولكن من دون اسلحة ثقيلة . عبرت القوات اللبنانية القريّة دون ان تعترضها مقاومة تذكر ، ولكن مع وصولها الى قرب دير القريّة اطلقت عليها النار فأصيب اثنان من عناصرها . وبدلاً من اتخاذ المبادرة بما يوجبه الوضع أعطيت الأوامر بالتريث ريثما تستكمل الاتصالات .

بذلك تبين ان القوات اللبنانية ارتكبت خطأين فادحين :

الاول : عندما اعتبرت دخول حمانا مجرد نزهة لا تستوجب اكثر من التحرك بالاسلحة الفردية والمتوسطة .

والثاني : عندما ترددت في مواجهة أول حادث اطلاق نار في وسط البلدة بالسرعة والحجم الكافيين . وبذلك لمس الدروز التردد الحاصل في صفوف القوات المهاجمة ، فسارعوا الى استجماع

قواهم وتعزيز مراكزهم في مواجهتها ، تمهيداً للانتقال العاجل الى موقع الهجوم . على الأثر تحركت عناصر من ثكنة حمانا وتقدمت من ناحية قبيع محاولة الالتفاف على القوات من محور الخزان مستخدمة الاسلحة الخفيفة والثقيلة من هواوين وسواها . كما استقدم الدروز تعزيزات اضافية من المتن ووسعوا نطاق الاشتباكات الى مناطق اخرى . وقد استعمل في الاشتباكات السلاح الثقيل للمرة الاولى منذ دخول الاسرائيليين ، كما عقد اجتماع في هذا الوقت مع مشايخ الدروز في القريّة توجه على أثره وفد منهم الى الكحالة حيث التقى الشيخ بشير الجميل وطالبه بثلاثة أمور :

أ - الموافقة على عودة المسيحيين الى قراهم ولكن من دون سلاح .

ب - عدم جمع الاسلحة من الدروز .

ج - وقف كل الاعتقالات . . .

ورد الشيخ بشير بقوله : «ان تجربة صاليما لن تتكرر»[1] .

غير ان وليد جنبلاط أعلن في الثلاثين من حزيران ١٩٨٢ ان معركة الجبل تقرر مصير لبنان ، فيما اعتبرت «الحركة الوطنية» ان موقف المتن تعبّر عنه المعارك الدائرة على ساحة القريّة . وتلاحقت الاشتباكات في القريّة وقبيع بمختلف انواع الاسلحة ، وقتل الدروز رئيس دير قبيع الأب فرنسيس ضاهر ابي انطون من حمانا والبالغ من العمر ٧٢ سنة مع انه كان يقوم بدور الوسيط وساعي الخير بين الفريقين .

كل ذلك كان يجري تحت سمع القوات الاسرائيلية وبصرها. فلم تتدخل إلا لتمنع القوات اللبنانية من إدخال الاسلحة الثقيلة والضرورية ، في الوقت الذي كان فيه الدروز يتحركون بحرية كاملة . وظل الوضع على هذه الحال الى ان توقفت معارك القريّة بدخول الاسرائيليين اليها وتمركزهم فيها .

وأما الحصيلة فكانت خسارة القوات اللبنانية خمسة شهداء وما يزيد على الثلاثين جريحاً ، اضافة الى النتائج السلبية المعنوية التي جاءت ضربة قاسية جداً بسبب المنحى الذي اتخذ سواء لجهة التحضير والاعداد أو لجهة التنفيذ وهو الأمر الذي سيترك بصماته على مجرى الكثير من الاحداث اللاحقة .

---

(١) عام ١٩٧٦ وإثر دخول الجيش السوري الجبل قتل بضعة دروز في قرية صليما على يد بعض المسيحيين .

أحداث . . . وعلامات استفهام !

على اثر أحداث القريّة اعطى الشيخ بشير أمراً بالانسحاب من الجبل مؤكداً انه لا فرق بين دخول المتن اليوم أو بعد ١٥ يوماً ، وكان ذلك بعد ثمانية ايام من دخوله . وعلى رغم انسحاب الوحدات المركزية فقد رفض البعض الانسحاب ، خصوصاً من بحمدون الضيعة والمحطة والمنصورية تخوفاً من ردات فعل تلي انسحابهم . وبهذا بقي شباب الكتائب كل في قريته . وبادر الدروز الى الافادة من هذا الوضع فقاموا بهجوم على رأس الحرف وقتاله ، غير ان التدخل الاسرائيلي أوقف هجومهم . كما شنوا حملة على بعض قرى المتن حيث قتلوا الكثيرين ، وهجروا القسم الأكبر من المسيحيين ، فيما استبقوا بعض الرهائن لديهم .

بموازاة هذه الأحداث التي تلاحقت في منطقة عاليه كانت منطقة الشوف تشهد هي الأخرى احداثاً مماثلة . فقد تمركزت القوات اللبنانية في ثكنة بيت الدين اثر احداث شهدتها البلدة ، كان أبرزها إقدام المسلحين الدروز على تفجير محطة بنزين وقتل من كان فيها من المسيحيين . كذلك نظم الدروز اضراباً عاماً احتجاجاً على دخول القوات اللبنانية واقامة الثكنات في المنطقة الشوفية .

كان طبيعياً ان تتسبب هذه الأحداث ، التي شهدتها منطقتا عاليه والشوف في خلال مدة قصيرة جداً ، في اشاعة جو مشحون وخلق وضع محقون لا يجوز التباطوء في معالجته . ولم يكن هناك سوى احتمالين لمعالجة مجدية حاسمة :

- إما مغادرة المنطقة

- وإما إخماد العاصفة في مهدها واطفاء الشرارة بعملية وقائية مدروسة قبل ان تتسبب بتفجير الوضع .

وكان واضحاً ان ترك الأمور على غاربها لن يؤدي إلا الى تفاقمها واتجاهها نحو الكارثة التي قد لا يعود احتواؤها بالأمر الممكن .

عندما قرر الشيخ بشير الجميل ترك المنطقة بهدف تنظيم العودة اليها كان قراره صائباً ، لكنه جاء ناقصاً اذ غادرت القوات المركزية النظامية الجبل فيما بقيت فيه عناصر الاقسام ، كل منها في قريته ، مع ما ترتب على ذلك من حوادث فردية وتصرفات غير مسؤولة وتحركات غير منظمة . . . وأفاد الدروز من هذا الوضع فراحوا يدفعون باتجاه واحد هو شحن النفوس بالحقد والضغينة . فمن مقتل شخص في كفرمتى (٢ تموز) واثنين في ضهور العبادية ، الى مقتل شخص آخر في عبيه تلاه قنص على كفرمتى (١٦ تموز) . . . وفي اليوم التالي اطلق مسلحون دروز النار على الياس سعيد الهاشم من محطة بحمدون وارادوه قتيلاً ، فأقام شباب الكتائب حاجزاً عند رويسات صوفر مع

الحاجز الاسرائيلي ، بالاضافة الى حواجز اخرى مورست عندها أعمال وتصرفات غير لائقة . ثم راح شباب المنطقة يقومون بدوريات على مداخل عاليه وفي بعض القرى الدرزية ، كما اعتقلوا بعض الاشخاص . وكان الدروز يتوجهون الى الاسرائيليين بالشكوى في إثر الشكوى مظهرين انفسهم بمظهر المعتدى عليهم بشكل مستمر .

ذات يوم سرقت في بحمدون المحطة سيارة أحد مشايخ معصريتي ، فراجع الشيخ فضل الله تلحوق رئيس قسم بحمدون المحطة عبدو كرم بهذا الشأن . غير ان ستة عناصر من الجيش الاسرائيلي دخلوا مركز القسم الكتائبي في البلدة شاهرين اسلحتهم وقالوا لمن كان في داخله : «نحن دروز ، عندنا الشرف الدرزي قبل بيغن وبشير الجميل ، نريد السيارة !» وعد رئيس القسم خيراً وحدد لهم موعداً لذلك . وفي الموعد المعين وصلت الشرطة العسكرية الاسرائيلية في نفس الوقت الذي وصل الدروز الاسرائيليون الستة وكانوا يرتدون قمصاناً كتب عليها عبارة : «الشهيد كمال جنبلاط» . فحصل شجار بين الشرطة وهؤلاء كاد يسفر عن سقوط قتلى . وحلت المشكلة باسقاط الشكوى على العناصر الستة في مقابل عدم مطالبتهم بالسيارة .

على اثر هذه الحادثة نقل عدد كبير من دروز الجيش الاسرائيلي الى خارج المنطقة .

في الثامن عشر من تموز التقى الشيخ بشير الجميل ووليد جنبلاط في القصر الجمهوري في بعبدا للبحث بأمن الجبل ، وقال جنبلاط بعد الاجتماع : «ليس هناك من خلاف شخصي ولكن الخلاف السياسي كبير . القهر يولد القهر والدم يولد الدم» .

في اليوم التالي صرح جنبلاط على اثر مقابلته الرئيس السوري حافظ الاسد : «إن انقاذ لبنان يكون بتثبيت الخط العربي وتوثيقه ببعده القومي سورياً» . وفي هذا الوقت كانت تتم بالمقابل اجتماعات اخرى مع الاسرائيليين للتنسيق معهم . وقد قام بهذه الاجتماعات أعوان جنبلاط وفي مقدمهم أنور الفطايري . بعد يومين ، أي في ٢١ تموز ، أعلن دروز الجولان إنهاء الاضراب الذي كانوا اعلنوه احتجاجاً على ضم الهضبة الى اسرائيل . كذلك قام النائب الدرزي الاسرائيلي أمين طريف برفقة شيخ عقل الطائفة الدرزية في لبنان محمد أبو شقرا بجولة في بيصور ، معصريتي ، عبيه . . . وبعض القرى الدرزية الاخرى .

في الخامس والعشرين من تموز أعلن الشيخ بشير الجميل ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ، فوصف وليد جنبلاط هذا الترشيح بقوله : «ان بشير هو مرشح التحدي والدبابات الاسرائيلية» . أما صحيفة البعث السورية فقالت انه «خيانة وطنية عظمى» (٢٧ تموز) .

منذ ذلك لوحظ تطور ما مختلف في ردات الفعل الدرزية ، ظهر ذلك واضحاً في الكمين الذي أقامه مسلحون دروز لقافلة من القوات اللبنانية على طريق عاليه أسفر عن سقوط عدد من القتلى والجرحى ، وكذلك في الاشتباكات التي وقعت في عين السيدة وسوق الغرب . .

في الثالث من آب زار وفد من دروز حاصبيا مقام النبي شعيب في اسرائيل ، وتحدث فيهم عضو الكنيست النائب الدرزي الاسرائيلي أمل نصر الدين وطمأنهم الى ان حكومة اسرائيل حافظت وتحافظ على ابناء الطائفة الدرزية في كل مكان وفي كل زمان .

بشير رئيساً

في الثالث والعشرين من شهر آب من العام ١٩٨٢ انتخب الشيخ بشير الجميل رئيساً للجمهورية ، فكانت فرحة عارمة ، وعفوية ، عمت مختلف المناطق اللبنانية ، ولا سيما الشرقية منها ، حيث شعر الناس وكأنهم في حلم لا يصدق .

وحين أعلن الشيخ بشير «ان الحرب قد انتهت» زاح اللبنانيون يحلمون بدنو ساعة الخلاص من الدوامة . . . وفي خلال ايام قليلة تلت انتخابه استطاع الرئيس الشاب ان يخلق شعباً لم يكن موجوداً قبلاً ، ذلك بأن تحولاً جذرياً عجيباً قد تمخضت عنه أعماق كل انسان بحيث أصبح بشير ضمير الذات اللبنانية وهاجسها ومسوغها ودافعها . هكذا بدا ان بعض الكلمات قد استرجعت مضامينها المفقودة . الاخلاق ، العمل الشريف المنتج ، الضمير المهني ، الولاء للوطن ، قول الحقيقة الخ . . . ورسخت صورة البشير في الاذهان ، كل الاذهان ، ليس كقائد ومنقذ تاريخي وحسب ، بل كعناية ساهرة على كل أعمالنا وحياتنا اليومية وكاطار اخلاقي وعنفواني لمسارها . أما إذا كان الشيخ بشير الرئيس لم يطرح برنامجاً أو مشروعاً سياسياً فانه كان ـ في ذاته ـ مشروعاً سياسياً ونهجاً بنائياً متكاملاً . وبإصرار الرئيس المنتخب على لبنان الـ ١٠٤٥٢ كلم[٢] ، وتأكيده ان هذا اللبنان هو لجميع أبنائه بالعدل والاستحقاق ، عم الارتياح كل المواطنين وكل المناطق اللبنانية . وكل الفئات بما فيهم المسلمين الذين عارضوا انتخابه .

ماذا كان موقف الدروز حيال هذا التطور ؟

عبر الدروز عن موقفهم بأن قام بعضهم بقصف دير الكحلونية ومحيطه ليل ٢٤ آب فيما كان وفد منهم يقوم بتهنئة الرئيس المنتخب في بكفيا . . . إنها «الحكمة» الدرزية !

أما الشيخ بشير فكان يؤكد ، لوفد من الدروز الارسلانيين الذين جاؤوا لتهنئته في بكفيا (٦ ايلول) «بدأ الجبل يتوحد تمهيداً لتوحيد الوطن . إننا نضع ايدينا في ايديكم ، قلوبنا معاً ، اكتافنا متراصة لنقول كابناء جبل واحد ، مضى ما مضى وننطلق الى المستقبل بتطلعات جديدة ، لا حق لنا بعد اليوم في ارتكاب الاخطاء التي ارتكبناها في الماضي» .

ورد فيصل ارسلان يومذاك بقوله : «سنكون السيف والسند والمدماك الاساسي» .



- بشير رئيساً . خلق شعباً . . .



. . . مات باستشهاده

وفي الرابع عشر من ايلول الساعة الثانية بعد الظهر القى الرئيس بشير الجميل في دير الصليب آخر خطاب له ومما جاء فيه : «يجب ان نحافظ على هذا البلد لنستطيع ترميم كنائسنا ساعة نشاء وكيفما نشاء . لو كنا في سوريا أو مصر لما استطعنا ذلك، نريد لبنان ليس وطناً قومياً مسيحياً بل وطناً للمسيحيين، وحدها الحقيقة تنقصنا . ضحكنا على العالم اربعين سنة فضحك علينا العالم ، وكذبنا عليه اربعين سنة فكذب علينا، «بدنا نربح كل لبنان الـ ١٠٤٥٢ كلم٢ . ويجب ان يكون لجميع ابنائه ، لكل طوائفه ، وبصورة اساسية للمسيحيين في الشرق . لسنا مستعدين ان نسافر أو نشمل» .

وبعد ساعتين ، هوى البشير شهيد الشهداء! . وكانت الصدمة .

وتماماً كما لم يصدق الناس حلمهم يوم انتخابه ، هكذا لم يستطيعوا تصديق زوال الحلم يوم استشهاده .

أما هذه المرة ، فكانت المناطق التي اشتعلت رصاصاً وابتهاجاً هي تلك الواقعة تحت الاحتلال السوري . كانت مبتهجة بموت رئيس الجمهورية . . . وأية جمهورية .

بعده

بموت بشير الجميل مات شعب عمره بضعة أيام ، كان قبلها مجموعات لا اسم لها ، ثم عاد مثلما كان . لذلك كان حجم الخسارة كبيراً جداً لأنها فقدان شعب لا فقدان قائد وحسب . يومذاك تمنيت لو يدرك شعبنا المسيحي عبثية الرهان على شخص ، حتى وان يكن رئيساً للجمهورية بالغ التمسك بمسيحيته ، متشدداً في الحفاظ عليها . وتمنيت اكثر لو ان هذا الشعب ، الباكي بانكسار موت بشير الجميل ، المسحوق حزناً أمام صوره ، يعرف كيف يقف على قدميه رجلاً واحداً ومؤسسة واحدة ، بل عملاقاً يمزق الاغشية ويحطم التماثيل .

وقد لا يكون شعبنا اللبناني وحده من شعر بخطأ الرهان على شخص من دون شعب بل ان الاسرائيليين ، هم ايضاً ، ربما كان عندهم هذا الشعور وان بفارق كبير في المرارة . فمع اعلان استشهاد بشير الجميل كان الجيش الاسرائيلي يتجه نحو بيروت الغربية ، وكانت أحداث مخيمي صبرا وشاتيلا التي كان ثمنها ابعاد وزير الدفاع آنذاك اريل شارون واحلال موشي ارينز محله . أي استبدال سياسة اسرائيل المسيحية بالسياسة الدرزية .

في الجبل كانت الخلافات والحزازات الداخلية في القرى المسيحية ، اضافة الى الفوضى ، قد بلغت حداً لم يعد جائزاً السكوت عنه . فنزل بعض الكتائبيين ـ من بينهم جهاد متى رئيس

قسم بحمدون الضيعة الكتائبي - الى بيروت وعرضوا على قيادة القوات اللبنانية الوضع مطالبين بضبط الأمور والاهتمام بهذه القرى لمساعدتها على مواجهة الأحداث المرتقبة . على أثر ذلك ، في مطلع شهر ايلول ، ارسلت قيادة القوات اللبنانية إحدى مجموعاتها المركزية بقيادة الرفيق منير الديك الى بحمدون لتسلم قطاع عاليه ، فيما سلم الشوف الى ناجي بطرس . تسلمت القوات حاجز صوفر من الشباب الذين كانوا في المنطقة ، ثم بدأت بجمع الشبان لتدريبهم في ملعب بحمدون .

مذ ذاك بوشرت سياسة تضييق على شباب الاقسام الكتائبية ، ومنعهم من حمل السلاح برغم الظروف والاجواء المحيطة بالمنطقة . وكان سبق ان أقيم كمين درزي لدورية من القوات اللبنانية ، يوم استشهاد الشيخ بشير الجميل ، بين بخشتيه وعاليه فقتل شاب وجرح الباقون . وفي اثر هذه الحادثة منع التجول في المنطقة وطلب عدم القيام بأي تحرك الا باوامر من القيادة . الى ذلك فان اغتيال الشيخ بشير وعدم الحسم في الرد على الاعتداءات الدرزية انعكسا تململاً في صفوف الشباب وباتوا في وضع نفسي صعب للغاية . وهكذا توقفت الدوريات في بعض الأماكن وانسحب الشباب من عاليه .

كان المواطنون ينظرون الى هذه الحوادث والتحولات بقلق وخوف بالغين ، كونها كانت مؤشراً كافياً للتأكيد ان الحرب في الجبل قد بدأت فعلاً .

في بداية الدعوة الى التدريب تقدم عدد كبير من الشبان (٨٠ شاباً من بحمدون الضيعة وحدها) ولكن الجو الذي ساد التدريبات وفكرة تكسير الرؤوس ، اضافة الى غياب البشير ، كل ذلك دفع بالشبان الى ترك بحمدون ، حتى ان بعضهم لجأ الى بيروت الغربية .

وعلى حاجز صوفر كانت تحصل تصرفات أقل ما يقال فيها انها غير لائقة بالنسبة الى المارة الذين تعرضوا للاهانة . تعاقبت بعد ذلك الأحداث فسقط قتيل من مجموعة منير الديك على طريق المنصورية - الرويسة قرب بتاتر دون ان يتمكن رفاقه من سحب جثته التي أخذها الدروز قبل ان ينتزعها منهم الاسرائيليون . وسرعان ما راحت خطوط تماس ترتسم ملامحها في الجبل وباتت طريق عاليه بحمدون الرئيسة غير آمنة ، وبدأ الدروز يمارسون أعمال القنص والخطف على الطرقات فرد عليهم الشباب بالمثل . عقب ذلك نزوح سكاني كبير نحو الساحل بعد ان كانت شوارع بحمدون قد ازدحمت بالناس في شهري تموز وآب ، خصوصاً بعدما لجأ اليها سكان من بيروت الغربية هرباً من القصف الاسرائيلي .

تغيرات وخطوط تماس

عقب اغتيال الرئيس الشهيد بشير الجميل طرح للتداول في معركة رئاسة الجمهورية اسمان : الرئيس كميل شمعون ، والشيخ أمين الجميل .

«بإزاء هذا الوضع تم في الـ ٢٠ من ايلول اجتماع في بيت المستقبل بين الشيخ أمين الجميل والاسرائيليين ، وعدهم فيه بأنه سيكمل كل ما بدأ به بشير ، وأكثر من ذلك وعدهم باعطائهم سلاماً كاملاً وتطبيعاً للعلاقات . . . .»[1] . عند ذلك ضغط الاسرائيليون على الرئيس كميل شمعون لكي ينسحب ، فأعلن انسحابه بذكاء قائلاً : «ايها اللبنانيون : ليس من الصدف العابرة ان يكون وراء هذا العزوف ما سوف يفرض على من يشغل رئاسة الجمهورية من صلح منفرد» وانتخب الشيخ امين الجميل رئيساً للجمهورية .

في غضون ذلك كان ثمة أمور لا بد من ملاحظتها وهي :

١ً ـ ان القوات اللبنانية انتشرت في الجبل وبقية المناطق على حجم بشير الجميل والانتصار الاسرائيلي .

٢ً ـ لذلك فإن الخطأ الاساس كان في عدم العودة الى الحجم الطبيعي في اعقاب الحدث الكارثة ، والامتناع عن اتخاذ قرار جذري في مواجهة أحداث الجبل .

٣ً ـ بموت بشير الجميل خسرنا قدرة وموقعاً مهمين :

ـ القدرة على ضبط الأمور على الأرض والسيطرة الدقيقة على القوى والأحداث .

ـ النوعية في العلاقة الاسرائيلية ـ المسيحية ، إذ ان هذه العلاقة قد ساءت في ما بعد مع الرئيس امين الجميل فكان لذلك التأثير الجذري في تمحور الأحداث .

يوماً بعد يوم ، وحادثاً في إثر حادث ، راحت خطوط التماس المرتسمة حديثاً تترسخ ، وامكانات لجم التدهور تتضاءل . فالمحاولات الجادة وجهود التهدئة الاساسية يجب ان تبذل قبل ان تصبح هناك خطوط تماس ، لأن هذه الأخيرة متى وجدت ، تصبح الاشتباكات واردة في كل لحظة ، بل ان رصاصة واحدة تصبح قادرة على اشعال محور بكامله .

---

(١) ـ فادي فرام .

أول خطوط التماس في منطقة عاليه كان محور المحطة - بعلشميه ، عندما قام عناصر تابعون للحزب التقدمي الاشتراكي ببيع مجلات حزبية على الطريق العام وأدى ذلك الى اشتباك واسع النطاق ، تدخلت القوات الاسرائيلية وفصلت بين المشتبكين .

وراحت الأحداث تكشف المنحى المستجد للامور : ففي اليوم التالي لهذه الاشتباكات عبرت سيارة من بعلشميه الى بحمدون . ولما سأل الشباب سائقها المسيحي كيف استطاع العبور قال : لم أرَ أحداً على الطريق ، لكنني شاهدت كميات من الاسلحة ملقاة بجانب الطريق . ولم يكن الأمر بحاجة الى كبير عناء لكي نعرف ان شاحنة اسرائيلية مرت باكراً من هناك والقت السلاح في المكان المحدد .

ثم قام خط تماس ثانٍ في بحمدون - القريّة . ففي اثناء وجود الكولونيل الاسرائيلي، داني المسؤول عن بحمدون، في مأدبةغداء عند أحد ابناء القرية الدروز تعرضت سيارة لمكمن مسلح على طريق القريّة - راس الحرف ، أصيب اثنان من ركابها المسيحيين فاكتفى الاسرائيليون في التدخل لترتيب الموضوع .

في مطلع تشرين الأول عنفت المعارك على جبهة الشحار الغربي التي كانت خطوط تماسها قد قامت منذ منتصف شهر ايلول .

ثم تعاقبت سلسلة من الأحداث المتلاحقة نكتفي بالاشارة الى بعضها : اشتباكات عنيفة في كفرمتى وعبيه ودقون في ٦ تموز ١٩٨٢ . اتساع نطاق الاشتباكات في الشحار الغربي وسقوط تسعة قتلى في ٨ تشرين الاول، موجة خطف وخطف متبادل في عاليه شملت أكثر من عشرين مواطناً وحصلت بعد اشتباك اسفر عن أربعة قتلى في ١١ تشرين الاول . اشتباكات في عاليه ، ودخول القوات الاسرائيلية الى بلدة كفرمتى للفصل بين المتقاتلين في ١٣ - ١٤ تشرين الاول، وخطف خمسة اشخاص في سوق الغرب . . .

هذه الأحداث المتفاقمة حدت بعض الاصوات على الارتفاع والحث على وجوب تدارك الكارثة قبل وقوعها . وطالب بعض الهيئات الدرزية بالجيش شرط اقفال ثكن القوات اللبنانية ، وهذا ما حدا الرئيس أمين الجميل لدعوة فرقاء النزاع الى اجتماع في القصر الجمهوري في ١٧ تشرين الاول . اضافة الى الرئيس الجميل ورئيس الحكومة آنذاك شفيق الوزان والوزيرين بيار خوري وعادل حميه حضر الاجتماع الوزيران السابقان سامي يونس وخالد جنبلاط ، فيصل ارسلان ، فؤاد سلمان ، هشام ناصر الدين ، داود حامد عن الحزب التقدمي الاشتراكي ، وانطوان بريدي ، عباس عباس ، جان غانم عن القوات اللبنانية . وتم الاتفاق على وقف اطلاق النار وسحب المقاتلين . أما موضوع ادخال الجيش الى الجبل فأبقي مرهوناً بانسحاب القوات الاسرائيلية .

بعد يومين على اجتماع بعبدا انزلت في كفرمتى فصيلة من «المكافحة» قوامها ثلاثون عنصراً استطلعت المواقع ومهدت لدخول الجيش . وقد دخلت قوة من الجيش في ٢٢ تشرين الاول كفرمتى ، عبيه ، دقون ، بعورته حيث فصلت بين المتقاتلين وفرضت وقفاً لاطلاق النار . لكن لم يمر اسبوع على ذلك حتى وقع اشتباك بين قوة الجيش المذكورة نفسها ومسلحين دروز قرب عبيه اسفر عن مقتل شخصين وجرح ثلاثة .

جنبلاط بجانب الرئيس . . . ولكن !

قام رئيس الجمهورية الشيخ امين الجميل بجولة الى اميركا واوروبا والتقى الرئيس ريغان ، ثم القى خطاباً في الأمم المتحدة تحدث فيه عن وطن للفلسطينيين ، والاعتداء الاسرائيلي على لبنان ، وعن الدور السوري في لبنان . بعيد ذلك عقد الرئيس الجميل مؤتمراً صحافياً في العاصمة الفرنسية كانت مفاجأته عناقاً مع وليد جنبلاط مصحوباً بتأكيد الرئيس ان : «وليد الى جانبي ولم يكن مرة بعيداً عني» .

غير ان جنبلاط لم يفاجىء الكثيرين عندما رد بقوله :

«ليس دائماً . . . ولكن . . .»

وراحت المواقف تتوضح شيئاً فشيئاً على الأرض .

فقد أبدت اسرائيل ردة فعلها السلبية على خطاب الرئيس اللبناني بلسان ناطق باسم حزب العمل الاسرائيلي الذي قال ان الهجمات التي وجهها الرئيس اللبناني الى اسرائيل «يجب ان تكون درساً لحكومة بيغن» .

ثم تطورت السلبية الاسرائيلية الى إبداء خيبة الأمل في الموقف المسيحي

بل ان لهجة الغضب الاسرائيلية تصعدت من حيث اكدت اسرائيل «ان الجميل يعرف ان الحل هو في لعب الورقة الاسرائيلية» (٢١ تشرين الاول) .

أما صحيفة «هاتسوفيه» الاسرائيلية فحاولت دق اسفين عندما اتهمت الجميل بمحاولة الابتزاز ، إذ عزت تنديده باسرائيل في الأمم المتحدة الى هدف الحصول على مساعدة اقتصادية من العرب» (٢٢ تشرين الاول) .

وأما في الجبل اللبناني فقد قال الجنرال الاسرائيلي أمنون ليبكي في عاليه للمسؤول عن الارتباط في القوات اللبنانية وذلك بعد ثمانية وأربعين ساعة على خطاب الجميل :

«He is not clear in what he is saying-- this man don't like us. You as phalangist, you will support the result.»

«هذا الرجل لم يكن ذكياً في ما قاله ، هذا الرجل لا يحبنا وانتم ككتائب ستتحملون النتيجة».

وهناك ، في الجبل ، كانت ترجمة الموقف السياسي الاسرائيلي واضحة جداً ، والرسالة الاسرائيلية مقروءة من أكثر من عنوان واحد. وإثر كلام الجنرال امنون طلب الكولونيل هارون من حاجز القوات في صوفر عدم ايقاف السيارات المتجهة من صوفر الى عاليه . وبذلك فتحت الطريق واسعة وحرة أمام القيادات الدرزية لنقل كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر على مرأى القوات اللبنانية ودون ان يكون لها حق الاعتراض وبعد فترة وجيزة لا تتعدى الاسبوعين طلب الاسرائيليون ازالة الحواجز نهائياً.

وبدأت الأمور تسوء اكثر فأكثر بين القوات واسرائيل ، فعلى اثر اشتباك بين بحمدون وبعلشميه توجه الكولونيل هارون وعبدو كرم رئيس قسم بحمدون المحطة الى تلة بيضون حيث كاد الرصاص الدرزي من بعلشميه ان يصيب الضابط الاسرائيلي . . . وبرغم ذلك قال هذا لعبدو : «انتم الذين تطلقون النار»!

في هذا الوقت ظهرت معارضة اسرائيلية داخلية ترفض التعاون مع المسيحيين ، وكانت هذه المعارضة تنمو حيال التحول الكامل الذي ظهر في السياسة المسيحية تجاه اسرائيل . وساهم في هذا التباعد نجاح «اللوبي الدرزي» في استغلال أحداث الجبل بدهاء. والمؤسف انه مقابل ذلك لم يقدم المسؤولون المسيحيون على استغلال الفرص الاسرائيلية الملائمة لتصحيح المسار السياسي الخاطىء . ولعل أبرز هذه الفرص جاءت في اعقاب سقوط ستة قتلى واثنين وعشرين جريحاً اسرائيلياً في عملية ضد باص اسرائيلي . فقد طالب شارون يومذاك ، بشن هجوم واسع على الفلسطينيين في البقاع ولبنان الشمالي رداً على المكمن . وأيده في ذلك رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن وكان في هذا اشارة واضحة الى ان المشروع الاسرائيلي القاضي بالوصول الى سفوح السلسلة الشرقية في الشمال لم يزل وارداً . غير ان هذه الاشارة لم تلقَ أي صدى تجاوبي من الاطراف المعنيين .

روزنامة أحداث حتى نهاية ١٩٨٣

في الشهرين الاخيرين وقعت أحداث عسكرية وسياسية متعددة لا بد من العودة الى أهمها ، لكونها قد تركت تأثيراً عميقاً وجذرياً في قضية الجبل ونكتفي بإيرادها دون تعليق .

٢ تشرين الثاني : اشتباكات عنيفة في الجبل ، معارك في بريح ، بحمدون ، بعلشميه ، رشميا ، والحصيلة ٢٠ قتيلاً وعشرات الجرحى .

٣ تشرين الثاني : اشتباكات في الشوف وعاليه .

٥ تشرين الثاني : اشتباكات بين بعقلين ودير دوريت ، عاليه وسوق الغرب .

٧ تشرين الثاني : عمليات خطف متبادلة شملت ١٢٩ مواطناً .

٨ تشرين الثاني : مسلحون من الحزب الاشتراكي هاجموا بلدة كفرنبرخ واطلقوا النار على مشعي أحد ابناء البلدة مما أدى الى قتل ١٠ وجرح ١٢ من الأهالي . وقتل ٣ وجرح ٤ من المهاجين وأحرق ٢٠ منزلاً وخطف عدد من ابناء البلدة .

١٤ تشرين الثاني : قتل مسؤولين كتائبيين في مكمن مسلح على طريق الشويفات .

١٥ تشرين الثاني : اشتباك في وادي الدير يؤدي الى مقتل شخصين وجرح ٥ .

١٦ تشرين الثاني : اشتباكات عنيفة في داخل منطقة عاليه .

١٧ تشرين الثاني : اشتباكات عنيفة بين عاليه وسوق الغرب تؤدي الى سقوط ٧ جرحى .

٢٠ تشرين الثاني : في عيتات ٧ قتلى وعدد من الجرحى .

٢٣ تشرين الثاني : العثور على ٨ جثث من مخطوفي كفرنبرخ المسيحيين في داخل بئر في خراج البلدة .

٢٦ تشرين الثاني : اشتباكات واسعة على محاور بحمدون وسوق الغرب .

٢٥ تشرين الثاني : اشتباكات بين بحمدون وبعلشميه أدت الى سقوط ٣ قتلى وجريحين وخطف ١٣ شخصاً في صوفر .

١ كانون الاول : خطف شخصين من بخشتيه . محاولة اغتيال وليد جنبلاط في القنطاري .

٣ كانون الاول : خطف متبادل من بحمدون وعاليه طاول ٣٠ مواطناً . اشتباكات في بلدة بريح وسقوط ٥ قتلى . اشتباكات عنيفة في بريح ومنطقة عاليه .

٥ كانون الاول : قتيل و٣ جرحى في اشتباكات سوق الغرب ـ عيتات .

٦ كانون الاول : اشتباكات في الشوف ومقتل شخص وجرح اثنين .

٧ كانون الاول : مقتل ٣ وجرح ٣ من القوات اللبنانية على مستديرة عاليه .

٨ كانون الاول : مقتل اثنين في بخشتيه .

١١ كانون الاول : مقتل ٣ وجرح ثمانية من القوات اللبنانية في مكمن على مستديرة عاليه . مقتل مواطن على طريق عاليه .

١٢ كانون الاول : اشتباكات عنيفة في عاليه والمتن الاعلى .

١٣ كانون الاول : ٥ قتلى وعدد من الجرحى في تجدد الاشتباكات على محاور سوق الغرب ـ عيتات ـ كيفون .

١٤ كانون الاول : اشتباكات في عاليه توقع ٣ جرحى .

١٧ كانون الاول : تعرض الدكتور جان غانم المسؤول في الارتباط للاغتيال على مستديرة عاليه .

١٨ كانون الاول : قتيل و٦ جرحى في اشتباكات على محاور سوق الغرب ، عيتات ، وبتاتر ، المنصورية .

١٩ كانون الاول : مقتل ٣ وجرح ١٥ من القوات اللبنانية في مكمن في عاليه .

٢٠ كانون الاول : اشتباكات واسعة في عاليه شملت قرى لم يطلها التوتر من قبل وتخللتها هجمات متبادلة أدت الى مقتل ١٤ شخصاً وجرح العشرات .

٢٢ كانون الاول : سقوط شهداء للقوات اللبنانية في مكمن عند مفرق دير قوبل .

٢٤ كانون الاول : مقتل ١٣ وجرح ١٩ في اشتباكات عنيفة في عاليه وبحمدون .

٢٦ كانون الاول : اشتباكات على محاور عاليه بحمدون سوق الغرب ، وعمليات تسلل متبادلة أدت الى مقتل وجرح عدد من الاشخاص .

لم تكن مواجهة القوات اللبنانية لهذا الطوفان من الدم في المستوى. ففي داخل الجبل ، قطاع بحمدون مثلاً : بلغ عدد عناصر القوات اللبنانية التي خضعت لدورات تدريبية في ثكنة القوات ما يقارب الـ ٤٠٠ . غير أن معظمهم ما كان ينهي دورته حتى يغادر المخيم الى خارج المنطقة . وشيئاً فشيئاً وصلنا الى نهاية لم نكن نتوقعها . فمراكز الكتائب فرغت من حيث اننا ارسلناهم الى التدريب، والثكنة فرغت بدورها لأن سوء المعاملة وعدم احترام المدربين للعناصر أدى الى هذا الفشل»[١] .

أضف الى ذلك ان عدم التعامل جدياً مع الاحداث دفع القوات اللبنانية الى حافة الهاوية . وقد بعث فادي الغريزي المسؤ ول العسكري الدرزي عن الجرد بتهديد الى منير الديك قائد قطاع بحمدون ومضمونه انه سوف يقتله في داخل الثكنة . وجاء هذا التهديد بعد محاولات عدة من التنسيق كان يدعو اليها الاسرائيلي ، وبالتالي ، بعدما تعرف الدروز الى حجم القوات الحقيقي في المنطقة .

وبالفعل فقد هاجم الدروز ثكنة بحمدون من ناحية شاناي وكادوا يصلون اليها . . .[٢] .

وكان يزيد الأمر سوءاً الانقسامات الداخلية والنزاعات في هذه المنطقة بين الافرقاء .

إذاً ،في مواجهة الاحداث قامت القوات فقط بالتدريب العسكري للشباب من دون أن تهتم ببقية الأمور العسكرية والمدنية . وازدادت هذه القوات ضعفاً يوماً بعد يوم . حتى وقعت حادثة الغابون التي كانت رصاصة الرحمة في رأس الجبل .

حادثة الغابون في عاليه

تقع بلدة الغابون بين كفرعميه وبحوارة ، أي بين قريتين مسيحيتين ، وهي لا طريق أخرى لها سوى هذه الطريق . والغابون قرية مختلطة بين الدروز والمسيحيين . الدروز كانوا هادئين دائماً كعادتهم ولانعدام وسائل المواصلات بينهم وبين القرى الدرزية باستثناء طريق للمشاة باتجاه مجدليا وبيصور . لذلك كانت تعتبر بحكم الساقطة عسكرياً ، وكان فيها ايضاً قسم كتائبي يقوم بالدور العسكري ويضبط الأمور .

لأسباب عسكرية طلب تطويق بلدة الغابون في ٢٦ كانون الاول ، وكان قائد القطاع يومذاك موجوداً في بيروت . فتحركت مجموعتان قوامها ثلاثة وعشرون عنصراً ، هم البقية الباقية

---

(١) ـ عبدو كرم رئيس قسم بحمدون المحطة الكتائبي .

ـ جهاد متى ـ رئيس قسم بحمدون الضيعة .

(٢) ـ عبدو كرم .

من القوات اللبنانية في قطاع بحمدون بكامله ، مزودين بناقلتي جند . وكعادتهم استخف الشباب بالمهمة لدرجة أن آمر المجموعة لم يكن يحمل بندقية! وساروا نحو البلدة من دون اتخاذ الاحتياطات العسكرية اللازمة . بل إنهم تخطوا الأوامر المعطاة لهم عندما دخلت احدى الآليات شارعاً ضيقاً لا مخرج له ، وأخذ آمر المجموعة ينادي عبر مكبر للصوت طالباً الى الدروز الاستسلام . فما كان من أحد مقاتلي الدروز الشيخ «نبيل الدبس» إلا ان القى بقنبلة داخل الآلية فأصيب عناصرها جميعاً ، ثم فتحت النار عليهم من كل الاتجاهات مما أدى الى استشهاد ثمانية عناصر . وتبين أن الدروز كانوا متأهبين لكل طارىء ، خصوصاً ان أربعة منهم كانوا قد خطفوا قبل يوم من الحادثة المذكورة . اما قتلى العملية فقد ظلت جثثهم داخل الغابون حتى اليوم الثاني الى ان تم سحبها بواسطة الجيش الاسرائيلي .

في إثر هذه الحادثة فر من تبقى من الشباب الى بيروت وعم الجبل خوف كبير .

وبريح في الشوف

أما في بريح فلم تكن الكارثة أقل مأسوية . وبريح بلدة صغيرة مشتركة ايضاً بين الدروز والمسيحيين ، ويعد شبابها من أكثر الشباب اندفاعاً في تلك المنطقة ، وقد حصلت فيها في العام ١٩٧٧ مجزرة داخل الكنيسة على يد الدروز .

منازل مسيحيي بريح تقع مجتمعة في بقعة صغيرة في وسط البلدة محاطة بمنازل الدروز من كل الجهات . والملفت للنظر هو وجود استحكامات عسكرية قائمة في المنازل منذ ما قبل الحرب وهي عائدة الى رواسب العام ١٨٦٠ ، ففي مواجهة المنزل المسيحي هناك طاقة للرماية في كل منزل درزي .

أولى حوادث الشوف وقعت في بريح ، عندما عاد اليها الشباب ، ومذ ذاك ازدادت الأمور سوءاً ، الى ان كان اليوم الثالث من كانون الاول من العام ١٩٨٢ . يومذاك أقدم الدروز على تفجير منزل كان فيه خمسة من الشباب فهوى على رؤوسهم . رد شباب البلدة بهجوم معاكس دارت خلاله معارك ضارية سقط في أثنائها الكثير من القتلى والجرحى ، ومنذ ذلك الحين أصبحت بريح تشكل نقطة ضعف كبرى في الشوف بالنسبة الى وجودنا المحاصر في داخل البلدة .

في إثر هذه الاحداث أصبح من تبقى من المسيحيين في الجبل في حصار كامل ، فلا طريق الى بيروت لأن كل الطرقات اليها تمر في مناطق درزية كعاليه وكفرحيم مثلاً . . . اضافة الى الوضع المأسوي في داخل الجبل .

مواجهة الأحداث من خارج الجبل

عندما بدأت الاحداث فعلياً حضر فضل الله تلحوق اجتماعاً للجبهة اللبنانية وتقرر ان يذهب هو والرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل الى القصر الجمهوري ويلتقوا وليد جنبلاط وفيصل ارسلان لتطويق الاحداث .

فقال لهم يومها الدكتور فؤاد افرام البستاني :

«عندما حرك الانكليز دروز الجبل بواسطة سلطان باشا الاطرش العام ١٩٢٥ أمر الجنرال ساراي بضرب الشام ولكن موظفين عاديين عنده خشوا من ضرب المدينة فأوعزوا الى الأهالي في حي الميدان ان يخلوا البناء فقصفوا قليلاً وتضررت منازل قليلة وقتل جمل . فقامت قيامة الانكليز واعتبروا ان فرنسا تضرب المدينة المقدسة فعزلت فرنسا اساراي وعينت مكانه هنري دي جوفونيل . بعد التعيين سأله الصحافيون هل تذهب غداً الى بيروت قال : لا سأذهب الى لندن وهكذا فعل . أتفق مع الانكليز وانتهت الحرب .

ـ بدل القصر اذهبوا الى اسرائيل توقفوا كل حركات الدروز .

ولكن شيئاً من هذا لم يتم ، ولم يذهب أحد لا الى القدس ولا الى دمشق وتتابعت الاجتماعات من دون نتيجة .

أهم الاجتماعات الاسرائيلية - الدرزية خلال عام ١٩٨٢

- بتاريخ ١٩٨٢/٦/٩ طُلب من السيد وليد جنبلاط لقاء الضابط الاسرائيلي الموجود في الشوف وهو برتبة عقيد ، فعقد اجتماع في منزل العماد المتقاعد سعيد نصرالله رئيس الأركان السابق في الجيش اللبناني . وقد حضر الاجتماع إضافة الى الضابط الاسرائيلي ونصرالله وجنبلاط ، كل من الشيخ محمد أبو شقراء وقائد القوات الاشتراكية المقدم المتقاعد شريف فياض والوزير خالد جنبلاط . وقد تم الاتفاق على ما يأتي :

* الغاء المظاهر المسلحة في منطقة الشوف بما فيها اللباس العسكري .
* جمع الاسلحة في مكان واحد وابلاغ الضابط الاسرائيلي عن مكان وجوده .
* عدم ايواء عناصر غريبة عن الأهالي .
* ابلاغ الضابط الاسرائيلي عن كل غريب يدخل المنطقة .

- بتاريخ ٨/ ٧/ ١٩٨٢ عُقدت اجتماعات بين أنور الفطايري والاسرائيليين للتنسيق بين الطرفين .

- بتاريخ ٣/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في مقام النبي شعيب في حطّين بين مشايخ الطائفة الدرزية في كل من اسرائيل ، هضبة الجولان ، حاصبيا ، وخلوات البياضة ، وبين الحاكم العسكري لمنطقة حاصبيا اسماعيل قبلان وعدد من الضباط الدروز الذين يخدمون في الجيش الاسرائيلي والشرطة وحرس الحدود . وكان من أبرز الحاضرين : الشيخ أمين طريف والشيخ ابو فندي جمال الدين شجاع (شيخ مشايخ البياضة) ، والنائب الدرزي الاسرائيلي أمل ناصر الدين .

- بتاريخ ٦/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع بين الشيخ كمال منصور (وجيه درزي اسرائيلي) والشيخ محمد ابو شقرا ، الى جانب عدد من المشايخ وبعض جماعة جنبلاط . وطلب الشيخ كمال منصور من المجتمعين اصدار بيان يؤيد اسرائيل ، لكن الشيخ ابو شقرا طلب التريث . خصوصاً ان اسرائيل لم تكن قد استكملت دخول بيروت ، حيث كان يخشى ان يتعرض الخمسة آلاف درزي فيها لانتقام فلسطيني كما كان يخشى ان ينتقم النظام السوري من دروز سوريا .

- بتاريخ ١١/ ٨/ ١٩٨٢ أمل ناصر الدين (النائب الدرزي في الكنيست الاسرائيلي) اجتمع على رأس وفد من الضباط الاسرائيليين مع كل من : الشيخ محمد ابو شقرا في بعدران ، الشيخ ابو محمد جواد ولي الدين في بعقلين، الاميرين مجيد وفيصل ارسلان في عاليه بحضور الاب يوسف مونس .

- بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في منزل الامير مجيد ارسلان ضمّه مع النائب الاسرائيلي السابق الشيخ جبر المعدى الداهش على رأس وفد مؤلف من مائة شخص من أعيان الدروز في اسرائيل،ثم انتقل الوفد الاسرائيلي الى بيصور حيث تناول طعام الغداء الى مائدة الشيخ سليم فهيم ملاعب واخوانه .

- بتاريخ ١٢/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في قصر المختارة ضم الرائد الاسرائيلي «ابو موسى» وعدد من الضباط مع مسؤ ولين اشتراكيين بينهم: الرائد المتقاعد شريف فياض، أنور الفطايري، وتوفيق بركات . في الاجتماع احتج الدروز على وجود القوات اللبنانية في منطقتي عاليه والشوف وكان جواب الرائد الاسرائيلي التحريض ضد القوات اللبنانية. كما أفهم الدروز انه باستطاعتهم ضرب هذه القوات اذا لم تكن في حاجز مشترك مع الاسرائيليين .

- بتاريخ ١٤/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في عاليه بين القائد الاسرائيلي في المنطقة وكل من : فضل الله تلحوق وأكرم شهيب المسؤ ول في الحزب الاشتراكي . وفي الاجتماع طالب الدروز بازالة ثكن القوات اللبنانية فرفض الاسرائيليون الطلب .

- بتاريخ ١٧/ ٨/ ١٩٨٢ زار ضابط اسرائيلي بلدة كفرمتى واجتمع مع دروز بينهم رئيس البلدية فؤ اد خداج وهو ينتمي الى الحزب الاشتراكي . وقد حرضهم الضابط الاسرائيلي في الاجتماع على قصف القوات اللبنانية .

- بتاريخ ١٨/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في منزل المدعو توفيق حمزه في عبيه ، ضم ضباطاً اسرائيليين والمدعو منير السعود من الاشتراكيين ووفوداً من بعورتا ، كفرمتى ، عبيه، البنيّة، قبر شمون ، بيصور وعرمون .

- بتاريخ ٢١/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في كفرمتى بين مشايخ ووجهاء الدروز طالبوا فيه بانهاء المظاهر المسلحة واخلاء مخيم القوات اللبنانية للسماح للمسيحيين بالعودة الى البلدة وقد تم هذا الاجتماع بتحريض من الاسرائيليين .

- بتاريخ ٢٥/ ٨/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في منزل مختار بريح ضم الرقيب الأول في الدرك حليم يحيى وشقيقه كريم وضابط اسرائيلي ادعى انه درزي من آل يحيى ايضاً . وقد أنضم الى المجتمعين

عدد من أفراد الحزب الاشتراكي. وبعد ساعة انتقل الجميع من منزل المختار الى منزل الرقيب الأول حليم يحيى حيث تناولوا طعام العشاء وأطلقوا نحو ٣٠ طلقة من رشاش كلاشن باتجاه احياء المسيحيين في البلدة .

- كُشف في ايلول ١٩٨٢ عن وجود عناصر عسكرية اسرائيلية بلباس مدني تشرف على تدريبات الاشتراكيين ، وعن ان دروزاً اسرائيليين يقومون بزيارات لدروز لبنانيين برفقة عدد من الضباط الاسرائيليين خصوصاً في بلدة الباروك لآل محمود وبلدة معصريتي لمشايخ آل الصايغ وبلدة بعقلين لمنازل غسان وحسين وكميل الطويل والشيخ محمد الجواد .

- بتاريخ ١/ ١٠/ ١٩٨٢ اجتمع المسؤولان الاشتراكيان : داود حامد وهشام ناصر الدين مع الضابط الاسرائيلي مناحيم ومركزه في ضهور العبادية ليبحثا معه وضع منطقة بعلشميه بحمدون ، حيث أفادهما مناحيم انه سيسمح لهما بوضع مرابض مدفعيتهما قرب مركزه .

بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٩٨٢ - عقد اجتماع بين اريل شارون وجورج ديب رئيس بلدية دير القمر وأنور الفطايري وتوفيق بركات من الحزب الاشتراكي وذلك في دير القمر .

- بتاريخ ١٥/ ١٠/ ١٩٨٢ اجتماع درزي (لبناني - اسرائيلي) في قصر الأمير مجيد ارسلان ضم جميع الفئات الدرزية في لبنان واسرائيل .

- بتاريخ ١٧/ ١٠/ ١٩٨٢ عقد اجتماع بين عناصر من الاستخبارات الاسرائيلية وبعض المسؤولين الاشتراكيين عرف منهم سليم القنطار .

- بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٢ عقد اجتماع في مركز الاستخبارات الاسرائيلية في رأس الجبل، دام ساعتين ولم يتسرب شيء عمّا دار في الداخل ، وذلك بين ضباط من الاستخبارات الاسرائيلية وبعض الاشتراكيين الذين عرف منهم المدعو غسان بو حمزة .

- بتاريخ ٢٤/ ١٠/ ١٩٨٢ عقد اجتماع سري في حاصبيا بين الحاكم العسكري الاسرائيلي اسماعيل جورية وعدد من الشباب الدروز والجنود الاسرائيليين ، وبعد ذلك بدأت اللقاءات بين الدروز والاسرائيليين وتطورت الى إقامة دورات تدريب عسكري في المنطقة للشباب الدروز في المنطقة الخاصة في قرية الماريه .

- بتاريخ ٢٦/ ١٠/ ١٩٨٢ مسؤولون في الحزب الاشتراكي بينهم غسان ابي حمزة زاروا مركز الاستخبارات الاسرائيلية في رأس عاليه ثم قاموا بعدها باستفزازات ضد الكتائب .

- بتاريخ ٣٠/ ١٠/ ١٩٨٢ ضباط اسرائيليون قاموا بزيارات لعدد من منازل الاشتراكيين في بلدة بيصور وأقيمت لهم المآدب والحفلات .

- في شهر تشرين الأول عقد اجتماع في بلدة عرمون بين قائد القوات الاسرائيلية في لبنان أمير دروري والسيدين رياض رعد وأنور الفطايري، وتم التنسيق لاعداد خطة لاستمرار التوتر في المنطقة حتى انهاء الوجود الكتائبي . كما قام الضابط الاسرائيلي روبن بعرض اسلحة على الشيخ فريد حمادة لكنه رفضها وعرض اسلحة ايضاً على الشيخ فضل الله تلحوق الذي رفضها ايضاً فيما قبلها الاشتراكيون وتسلموها .

- بتاريخ ٢/ ١١/ ١٩٨٢ عقدت اجتماعات في منطقة عاليه بين ضباط من الجيش الاسرائيلي وبعض وجهاء ومسؤولي المناطق الدرزية ، ومن القرى التي عقدت فيها اجتماعات : بتاتر - بعلشميه - بيصور - عرمون .

- بتاريخ ٤/ ١١/ ١٩٨٢ زار ضباط اسرائيليون شيخ معصريتي وأوهموه بأن مسيحيي رشميا والمعوش يستعدون لضرب الطائفة الدرزية كما زاروا رئيس دير مار مارون وأوهموه ان الدروز يعدون العدة ضد المسيحيين .

- بتاريخ ٦/ ١١/ ١٩٨٢ وردت معلومات تفيد عن اجتماع بين عناصر من الحزب الاشتراكي وأحد الضباط الاسرائيليين في ضهور العبادية لتنسيق ضرب القوات اللبنانية . حضر الاجتماع المسؤول الاشتراكي عصام العريضي .

- بتاريخ ١٢/ ١١/ ١٩٨٢ وعند الاولى والدقيقة الثلاثين عقد اجتماع بين الضابطين الاسرائيليين «رفول ومناحيم» وبين مسؤولين في الحزب الاشتراكي هما : عصام الصايغ وهشام ناصر الدين ، وذلك في قصر الحاج حسين العويني ، حيث تم الاتفاق على توجيه مجموعة مؤلفة من سبعة أشخاص بقيادة زياد دعيبس وعماد عزام من الاشتراكيين ومعهم خمسة عناصر الى خراج بلدة بسوس لاقتحام بعض منازل المسيحيين وقتلهم رداً على عملية كفرفاقود ، لكن العملية فشلت بسبب معارضة مشايخ عاليه لها .

اجتماعات القوات اللبنانية
مع الاسرائيليين

الاجتماع الأول عقد في التاسع عشر من كانون الاول من العام ١٩٨٢ في مقر القيادة الاسرائيلية بالجمهور ، وأتضح بنتيجته ان الجانب الاسرائيلي لا يريد التدخل بصورة حاسمة متذرعاً بأن الوضع الداخلي في اسرائيل لا يسمح له بأكثر مما يفعل .

. . . والثاني : «وهل هذا معقول؟»

- الزمان : ٢٢ كانون الاول ١٩٨٢ ، الساعة الثامنة والنصف صباحاً .
- المكان : القيادة الاسرائيلية في منطقة الجمهور .
- عن القوات اللبنانية : قائد القوات فادي فرام ، رئيس الاركان فؤاد ابو ناضر .
- الفريق الاسرائيلي : داغان المسؤول عن سياسة الجيش الاسرائيلي في لبنان . درووري قائد القوات الاسرائيلية في لبنان . أمنون قائد منطقة الجبل في الجيش الاسرائيلي .

الموضوع : البحث في موضوع الدروز والجنوب .

داغان : نريد ان نسمع وجهة نظركم ومن ثم وجهة نظرنا وبعدها ننسق الموضوع . . .

فادي : واضح لنا اننا لا نريد ان نحارب الدروز كطائفة . المشكلة سياسية مع حلفائهم السوريين والفلسطينيين الذين يريدون ان يظهروا ان مشروع نهاية الحرب في لبنان لن ينجح . . . نحن نحاول التهدئة والاتصال بالدروز غير الجنبلاطيين .

داغان : هل اتصلتم بأبو شقرا ؟

فادي : نعم ، وقلنا لهم اننا نريد أن نكون حلفاء ولكن ليس مع جنبلاط وبذلك نفصل جنبلاط عن الطائفة . . .

داغان : وهل هذا معقول ؟

فادي : نعم ، عندما تهدأ الحالة . . .

داغان : ومروان حماده ؟

فادي : هو المفكر لوليد ويعمل من خلف الستارة وينسق مع محسن ابرهيم .

داغان : نقبل معكم على المدى الطويل ولكن على المدى القصير الدروز منظمون ومسلحون ، فما هي الخطة على المدى القصير لان الجبهة المنظمة والمسلحة هي التي تمثل الدروز الآن .

فادي : هم الذين بدأوا المشاكل (الحزب التقدمي الاشتراكي) بعد عودة وليد جنبلاط من اوروبا . هناك فريق منهم يتعامل مباشرة مع الفلسطينيين والسوريين وهم سيتابعون المشاكل ، بقدر ما يجدون حرية التحرك واذا ضربوا يهدأون . يجب ان يفهموا انكم معنا ، حتى الآن يعتبرون انكم على الحياد . .

داغان : هل ممكن على المدى القصير ان يجتمع زعماء كبار منهم ومنكم بوجودنا أو عدمه ويبدأون العمل بالاتجاه المناسب ؟

فادي : حتى مع جنبلاط ؟

داغان : حتى الآن نعم . . .

فادي : ولكن يجب أن نصل على المدى الطويل الى هدف ، وهو عزله .

داغان : أي نقطة حتى الآن تعتقد أنه يمكن ان تصلوا إليها مع جنبلاط وأبو شقرا للوصول الى التهدئة . اجتماع مع جنبلاط وارسلان وابو شقرا والوصول الى اتفاق وبعدها تلعبون لعبتكم .

فادي : ولكن جنبلاط يبعد الآخرين .

داغان : اذا كنا نحن موجودين نفرض الجميع وبذلك نعطي أهمية للجميع .

فادي : وليد لن يقبل ، انا أكيد . .

داغان : اذا استطعنا تحضير هذا الاجتماع هل انتم جاهزون ؟

فادي : نعم ، وليد لن يقبل ان يحضر اجتماع من تحضيركم أولاً ، وثانياً ان يكون على المستوى ذاته مع فيصل . . .

داغان : ربما يمكن الضغط عليه . .

فادي : هو الآن في الاردن وهو يخاف من العودة . .

داغان : اذا صار هكذا اجتماع الى ماذا يمكن ان نصل ؟ أي اتفاق ؟

فادي : يجب ان يفهموا ان «جيش الدفاع الاسرائيلي» هو مع القوات اللبنانية . .

داغان : هم يعرفون ذلك . . .

فادي : كلا وهم يتصرفون بعكس ذلك . .

داغان : هم يعرفون ويقولون دائماً انكم احضرتموهم والآن اخرجوهم . .

فادي : كيف تفسرون تصرفهم في هكذا حال ؟

داغان : بعض جماعتكم لا يفرقون بين جماعات الدروز وهذا ما يجمعهم في الزاوية كلهم ويقوى وليد جنبلاط ، وهذا لا يساعد هدفكم على المدى الطويل . الآن لا بد من ان يجمع الكل في اجتماع ونضع الكل في المقياس ذاته .

فادي : هذا وحده جيد ، اذا تجمعهم كلهم وليد لن يقبل . .

داغان : ابو شقرا ، وليد جنبلاط وارسلان . وبهذا يكون ابو شقرا الوسيط أو الوسط بين وليد وفيصل على رغم انه مقرب أكثر من جنبلاط . . .

فادي : قلت لك ان مجرد جمعهم يكون شيئاً مهماً . .

داغان : ما هي اقتراحاتكم التي قد تساعد ؟

فادي : ان يفهموا انكم معنا على الارض . .

داغان : ١ ـ عودة المسيحيين والدروز الى قراهم .

٢ ـ ازالة مكامن التوتر من المنطقة . . .

فادي : هذا دقيق جداً . . . هكذا يفهمون انكم في الوسط . . . يجب ان يفهموا انكم معنا على الارض . . .

داغان : لا شك في ذلك . . .

فادي : ولكن هم يعرفون انكم ، في هذا الشكل ، انتم تتفرجون فقط ، اذ رأوا انكم تسيطرون على الطرق ونحن نسلكها . . .

داغان : هم يقولون ، القوات اللبنانية تضع حواجز ونحن محصورين ولذلك سنتحرك في المناطق التي تؤذيهم . . (طريق الشام . .) وهذه رسالة لكم وهكذا يضايقونكم بتحركهم على نقطة واحدة . (اعتذار من درووري للمغادرة) .

فادي : هل تؤمنون طريق عاليه ؟

داغان : نعم احضرنا كتيبة دبابات جديدة .

فادي : عملياً كيف ؟

داغان : سنأخذ نقاطاً على الطريق ونضرب كل من يطلق النار . ربما نضع حواجز مشتركة بيننا وبينكم والدروز .

فادي : هذا ليس جيداً ، تضعونهم في المستوى ذاته .

داغان : اذا ازالوا شارات الاشتراكيين وتصرفوا كدروز .

فادي : هذا لن يساعد .

داغان : لتهدئة الحال اذا طلبنا ان تبقى قواتكم في ثكنة بيت الدين من دون التحرك .

فادي : نحن لا نمر في قرى درزية ولذلك نطلب شق طريق سرجبال .

داغان : الدوريات المشتركة قد تساعد ولن يأتوا كاشتراكيين بل كدروز . افهمنا الدروز انه لن نكون معهم اذا كانوا مع الحزب . . يجب عمل شيء على المدى القصير .

فادي : اذا تصرفتم في الشويفات مثل عاليه يكون ذلك عظيماً .

داغان : كل الطرقات الرئيسة يجب العمل على فتحها . . لنحضر الى اجتماع وليد جنبلاط ، ارسلان ، ابو شقرا .

والثالث : «المختارة ليست مكاناً مقدساً»

الزمان : ٢٤ كانون الاول ١٩٨٢ الساعة الواحدة والدقيقة العشرون ظهراً .

المكان : القيادة الاسرائيلية ـ الجمهور .

عن القوات : قائد القوات فادي فرام ، رئيس الاركان فؤاد ابو ناضر .

الفريق الاسرائيلي : الجنرال أمنون ، الجنرال داغان ، المسؤول عن سياسة الجيش الاسرائيلي في لبنان ، الجنرال دروري قائد الجيش الاسرائيلي في لبنان .

داغان : هناك قرار بفتح الطرقات الرئيسة وسنطلق النار بالدبابات :

ـ طريق الدامور بيت الدين عبر سرجبال لا يمكن فتحها إلا عندما تهدأ الحال .

ـ يجب تهدئة الحال على الأقل لمناسبة الاعياد .

ـ انا استطيع الضغط عليهم لأنهم يفقدون السيطرة على بعض الجماعات .

فادي : ممن هؤلاء يتلقون الأوامر ؟

داغان : لا أعرف ، ليست لدي معلومات ، أحد ضباطي جعلته يترك لأنه كان يجالسهم دائماً . . . يجب تهدئة الحال ، لا رابح في هذه الحال .

فادي : نوافق على ذلك ولكن نحن لا نبدأ هم البادئون .

داغان : سأرسل أحد ضباطي للضغط عليهم ولكن أطلب منكم حالياً الا تعملوا شيئاً .

فادي : نحن نعمل الآن بسبب التعديات وتكون أعمالنا ردة فعل ، وانا لا أحب هذه الطريقة في العمل انت تعلم .. يجب قتل رأس الافعى . لم تعد القصة مسيحي ـ درزي ، الوضع سياسي ربما لعرقلة المباحثات في خلدة .

داغان : وليد جنبلاط في الغربية . انا جاهز للضغط عليهم ولا استطيع وضعهم في السجن . ماذا يجب ان نعمل الآن ؟ انا قلت لابو شقرا انكم حلفاؤنا وقد تلقى الرسالة جيداً .

فادي : نزع الفتيل هو السيطرة على الطرقات لمنع الكمائن .

داغان : سنفتح الطريق وقد وضعنا دبابات .

(دعا أمنون الى الخروج وعرض ازاحة اثنين يعتبرهم رأس الافعى) .

الساعة ٢,٢٥ وصل دروري : الطريق الآن مفتوحة وضعنا دبابات في الشويفات ..

داغان : نحن سنؤمن مواكبة لكم ، ولكن لا تتحركوا بقوات عسكرية كبيرة .

فادي : عن طريق بيت الدين «سرجبال» انها تساعد على تهدئة الحال لاننا لن نمر في كفرحيم .

داغان : عندما تهدأ الحال تتابعون العمل لان احضار التراكتورات يعني اطلاق النار مجدداً .

فادي : الآن سيطرتم على الطرقات ولكن كيف تهدئتها في بريح وعيتات وغيرها ؟

داغان : سنهتم بذلك .

دروري : المختارة ليست مكاناً مقدساً .

إضافة الى هذه الاجتماعات كانت هناك اجتماعات أخرى بين القوات اللبنانية وبعض القياديين المسيحيين والدروز لكنها كانت من دون جدوى أو فعالية على الارض ، بحيث ان ما كان يصور عنها من مقررات يظل حبراً على ورق .

من هذه الاجتماعات اجتماع عقد في ٢٩ كانون الاول ١٩٨٢ في منزل الدكتور جان غانم حضره فيصل ارسلان وعبدالله شهيب وغازي جابر ، تبين بنتيجته ان فيصل ارسلان ليس مستعداً للقيام بأي شيء جدي ، بل كان هو يسعى الى مكاسب .

وكان قد عقد اجتماع في ٧ كانون الاول ١٩٨٢ الساعة الثالثة بعد الظهر في دير مار انطونيوس ـ السوديكو ، حضره الاباتي بولس نعمان وجرى التوافق على الامور التالية :

ـ لا نستطيع اقتلاع الدروز كما انهم لا يستطيعون اقتلاعنا .

ـ يجب ايقاف الخطف وضبط الانفعالات الغرائزية من هذا الجانب وذاك .

ـ تجب تكملة ما بدأ بشير الجميل بتقوية الارسلانيين .

ـ إن سياسة الرئيس الجميل تعزز مكانة وليد جنبلاط وهو يستفيد منها الى اقصى حد.

ـ أصيب الارسلانيون بخيبة أمل تجاه الدولة ، ففيصل ارسلان كان يريد ان يصبح وزيراً .

ـ يجب اعطاء مراكز للارسلانيين في الجيش وسواه .

ـ يجب ايجاد شخصيات جديدة في الشوف .

ـ الدروز يعززون اتصالاتهم باسرائيل بما فيهم وليد جنبلاط .

ولعل الكلام الذي قاله الاباتي نعمان تعليقاً على المسار السياسي في تلك الفترة يعتبر بمثابة «وضع الاصبع على الجرح» :«كان يجب ان نعرف كيف نتعاون مع الزعامة الارسلانية التي كانت وطنية في معظم الاحيان ، وعدم التعاون مع الزعامة الجنبلاطية التي كانت تتجه دائماً نحو الخارج . . . غير ان السياسة التي اتبعت استبعدت الاثنتين معاً ، حتى قال لنا وليد جنبلاط ذات يوم» : «كتر خيركم . . . جمعتوا كل الدروز معي» . . . فبعد تسلم الشيخ امين الجميل رئاسة الجمهورية انتظر الدروز الارسلانيون ان يكون لهم دور في الحكم بعدما كان لهم دور مهم مع بشير ، لكن انتظارهم لم يكن له نهاية . .

وقد نفذ صبر المير مجيد ارسلان حيال ذلك فسأل يوماً : «أين الوفاء في الوعود» ، كان لا بد من لقاء وليد جنبلاط، اجتمع الآباتي بولس نعمان معه في ٢٤ كانون الاول ١٩٨٢ الثالثة بعد الظهر في حضور مروان حماده وهاني سلام .

تم الاتفاق على تهدئة الحال في الجبل وذلك عبر دوريات من الأمن الداخلي . وابعاد المظاهر المسلحة ولم يأت على ذكر الثكن للمرة الاولى لأن الاباتي تعهد بهذا الموضوع بعد ان تهدأ الحال . يومذاك طلب وليد جنبلاط من الحكم :

- رئاسة الاركان .

- وزارة التربية .

- مديرية أخرى .

وقال وليد جنبلاط في نهاية الاجتماع : «انا ذاهب وقاطع الأمل» .

بعد ذلك عرض الآباتي نعمان نتائج الاجتماع ومطالب وليد جنبلاط على الجبهة اللبنانية فرفضها الرئيس شمعون والشيخ بيار الجميل ، فقال الآباتي عندئذ : «ابعدتم الارسلانيين ومن ثم الاسرائيليين والآن ترمون الجنبلاطيين . . . لا أعتقد بأن الجبل سيبقى معنا . . .»

في أجواء ما جرى من احداث مؤلمة في الجبل ، وفي ظل عدم المبادرة الى المعالجة الجدية للأمور ، بدأت المفاوضات اللبنانية - الاسرائيلية يوم ٢٨ كانون الاول ١٩٨٢ والتي أدت الى اتفاق ١٧ ايار وقد شكلت أحداث الجبل فصلاً من فصول تلك المفاوضات إذ ان المواقف التي لم تكن تعلن بالكلام حول طاولة المفاوضات كانت «تعلن» أحداثاً على الارض في الشوف وعاليه وسواهما من المناطق التي يسيطر عليها الجيش الاسرائيلي .

حيال ذلك وقفت القوات اللبنانية عاجزة عن تلافي الكارثة الكبرى في الجبل فكان لا بد من عمل ما مهما يكن الثمن غالياً .

هكذا طلب الى الدكتور سمير جعجع تسلم الجبل - أو ما تبقى منه - لانقاذ الوضع !

الفصل الثاني

سمير جعجع قائداً للجبل

سمير جعجع . . . «الحكيم»

كان ذلك في العام ١٩٧٦ بينما كنّا نخوض معارك ضارية لتحرير الكورة . لم أكن يومذاك منضوياً في حزب الكتائب بل كنت واحداً من كثيرين ممن يقاتلون لمجرد كونهم مسيحيين ، ولم أكن قد عرفت «الحكيم» بعد . أثناء اقتحامنا قرية ددة واجهتنا مقاومة من بعض الفلسطينيين والصوماليين الذين سقط لهم عدد من القتلى فيّ وسط الشوارع . وفيما أنا أتقدم مع بعض المقاتلين لفتني مشهد لم يكن مألوفاً آنذاك . فقد حاول أحد الشباب أن يأخذ «كروز» من السجائر (ونستون) من أحد المنازل، غير أنني سرعان ما شاهدت أحدهم يصوب بندقيته إليه وينهره بحزم قائلا : «إرمه داخلاً»! .

كان هذا المقاتل هو سمير جعجع نناديه الآن بـ«الحكيم» لأنه أنهى دراسة الطب.

بدأ نشاطه العسكري باكراً ، أي ما قبل أحداث ١٩٧٥ في مخيمات التدريب إعداداً لمواجهة الهجمة الفلسطينية التي كنا بدأنا نتعرض لها.

في العام ١٩٧٦ كان «الحكيم» على رأس مجموعة من الكتائب سميت «س.ج» يخوض معركة قاسية في سرايا أميون بعدما نجح في اختراق الجبهة ، ثم أكمل تقدمه مع بقية القوات حتى مشارف طرابلس.

ويكمل «الحكيم» مسيرته ـ وربما قدره ـ فينشىء ثكنة في دده حيث كان له الدور الكبير في توجيه الأحداث في الكورة خصوصاً في فصل اشتباكات دامية وقعت بين أهالي بشري وزغرتا بسبب مشاكل في الكورة.

عند دخول القوات السورية الشمال كان الحكيم أول المتصدين لها في منطقة بشري. وفي العام ١٩٧٧ قاد معركة طاحنة ضد السوريين في قرية «بللا» قضاء بشري، كانت الأولى من نوعها بين الكتائب والسوريين كما كانت درساً قاسياً للمحتلين، بالرغم من سيطرتهم بالنتيجة على البلدة.

إضافة الى الوجود السوري في الشمال كان لحادثة إهدن الأثر الكبير في دفع الشباب الكتائبيين الى ترك قراهم والنزوح الى مناطق جبيل والبترون.

صحيح أن هناك عدداً من المناطق اللبنانية التي انزلقت من أماكنها بفعل التهجير أو التخويف الى المجتمع المركزي في بيروت وضواحيها لتتلاشى فيه. ولكن كتب لمنطقة الشمال أن تكون لها ذراع

قوية تمسك بها عبر مسيرة شاقة وطويلة: كتب لها أن يقوم فيها قائد يجمعها ، يحافظ عليها ، يقودها : « الحكيم » ، سمير جعجع.

بدأت مسيرته في دير ميفوق قائداً لحفنة من الشباب يأكلون طعام الدير ، سلاحهم بندقية ورشاش «ماغ» واحد وقطعة «ب ٧» واحدة. . . ووصل الى دير مار عبدا في دير القمر قائداً لشعب .

وتتجه كرة الثلج من ميفوق الى القطارة لتصبح جبلاً يجمع شباب الشمال حيث باتوا قوة أساسية في الكتائب والقوات اللبنانية ، زرعت البطولات والشهادات في كل المناطق اللبنانية ، من صنين الى زحلة ، الى الأسواق ، فالى الجبل ، مروراً بمعركة قنات التي شكلت محطة بارزة في التاريخ العسكري.

لماذا معه بالذات؟

ذات يوم استقدم «الحكيم» السيدة شيخاني (المسؤولة عن قسم علم النفس في كلية الآداب ـ الفنار) لدرس شخصيات الكادرات التي تعمل معه . كان قدري أن أكون أول المتقدمين ، وكان «الحكيم» حاضراً ، وأما الموضوع فكان شخصية القائد وصفاته . . .

سألتني السيدة:

لماذا تعمل مع «الحكيم»؟

وقبل أن أهمّ بالإجابة همّ «الحكيم» بالخروج من الغرفة لكيلا يتسبب لي بالإحراج ، لكنني طلبت منه أن يبقى خصوصاً أن أول دافع لوجودي معه هو انني أستطيع أن أقول له الحقيقة في كل الحالات .

. . . وأجبت عن السؤال فبررت عملي معه بالأسباب الآتية :

ـ إنه يجسد لي مثال المسيحي الملتزم ، المنتج بشمولية ومن دون انغلاق .

ـ طروحاته جذرية ، واقعية ، مُهمّة وفريدة .

ـ عنده المقدرة على التنفيذ بالدراسة والدقة والقرار .

ولم أكد أنهي كلامي حتى ضحك «الحكيم» وقال للأستاذة:

« شفتي. . . مش صروري يكون القائد مهضوم » ! بالاضافة الى هذه الصفات فالحكيم صاحب نكتة وبداهة بالغة السرعة .

وتسلم الحكيم صليب الجبل . . .

كنا كلما اجتمعنا بـ«الحكيم» يبدي انزعاجه البالغ للحال المزرية التي انحدر اليها المسيحيون في لبنان. فمن الشمال كنا نتسقط بقلق عميق أنباء الجبل الذي بات مسرحاً للقتل والاغتيالات والكمائن التي يذهب ضحيتها المسيحيون الأبرياء كلما دخلوا قرية درزية أو عبروا طريقاً ما في عاليه والشوف . عيتات ، المعروفية ، كفرنبرخ . . . أسماء اقترنت بقافلة من الشهداء الذين كادت صورهم تغطي جدران القرى المسيحية والساحات.

هذا الوضع المقلق في الجبل دفع «الحكيم» لأن يقول لنا ذات يوم: «أفكر لو نجمع بعضنا ونذهب الى الجبل من دون أن يطلب منا أحد ذلك. . .».

. . . ولكن الطلب لم يتأخر كثيراً ، إذ استدعي «الحكيم» في أواخر شهر كانون الأول من العام ١٩٨٢ الى اجتماع يعقد في غرفة العمليات المركزية الساعة الرابعة من بعد ظهر ذلك اليوم ، وطلب مني مرافقته .

عندما وصلنا الى المكان المحدد لم نجد أحداً ، ثم أعلمنا بأن الاجتماع قد أجل حتى الساعة الخامسة ، فعاد الحكيم الى القطارة بعدما كلفني بحضور الاجتماع . وفي الموعد المقرر عقد الاجتماع بحضور قادة الثكن ، ورأسه الياس الزايك المفوض العام للقوى النظامية والمسؤول عن سلاح المشاة يومذاك . أما البحث فدار حول امكان القيام بعملية ما رداً على مقتل عدد من شبابنا في المعروفية . وظهر في أثناء الاجتماع أن الروح المعنوية متدنية ، حتى عند بعض قادة الثكن ، الذين أبدوا استياءهم وقلقهم لظاهرة هروب نسبة مقلقة من الشباب ،والعجز عن تغطية بعض أماكن وجودهم ومراكزهم في المناطق التي تشهد بعض الأحداث .

في نهاية الاجتماع ـ وكان واحداً من اجتماعات بلا نتائج ـ تقدم مني الزايك وسألني: هل بتسلم «الحكيم» الجبل؟

قلت : «لماذا لا تسأله أنت أو فؤاد (فؤاد أبو ناصر)؟ . . . على كل حال سأحدثه بالأمر .

غير أني في المساء ، عندما اجتمعت بـ«الحكيم» ، لم أكن واثقاً بانه سيقبل المهمة بسهولة لأن جبهة الشمال واسعة جداً ونحن نجتاز مرحلة دقيقة . تحدثنا طويلاً ليلتها ونقلت اليه ما سمعته من الزايك ، ففاجأني بسرعة قراره حين قال : « حضروا للمهمة . . . » . وأضاف موجهاً كلامه إلي: «يا بول إذا لم نكن في الجبل بخير فلن نكون في أي مكان من لبنان بخير. . . أنا مؤمن بأن قضية المسيحيين هي قضية مرتبط بعضها ببعض ، من غير المعقول أن يخسر المسيحيون في مكان ويربحوا في مكان آخر. . . أكثر فأكثر ، فإن معركة الجبل هي معركة استراتيجية ، إذ ربحناها

ربحنا تنفيذ مشروعنا الاستراتيجي ، واذا خسرناها نفقد جزءاً كبيراً من هذا الأمل ، وننتظر سنين وسنين كثيرة لنعيد تنفيذه. . . إن تسلسل الأحداث اليوم يظهر اننا نخسر المعركة. . . من أجل ذلك يجب أن نرتب الأمور في الجبل».

ثم سألته عما اذا كانت حرب الجبل قرار اتخذته القوات اللبنانية أم أنها انزلاق الى الحرب، فأجاب: «عندما يسأل المواطنون عن صعود القوات الى الجبل بقرار أم لا ، يكون في ذهنهم أن الحزب والقوات هما مؤسسة دقيقة تفكر في كل الأمور ، تخطط لكل الأمور ، وتأخذ القرارات المناسبة. لكن هذه المؤسسات لم تزل متخلفة ومتأخرة عن متابعة الحدث ، ولم تتوصل على رغم كل الجهود الى متابعة الحدث في شكل ملائم . لذلك لم نكن جالسين اثناء الاجتياح نتكلم عما اذا جاءت اسرائيل وذهبت سوريا ، هل نصعد الى الجبل أم لا ؟ وبعدما حصلت العملية صعد الكتائب ومعهم اسلحتهم من دون أن يكون هناك قرار من مؤسسة عسكرية ، وبقيت عناصر الثكن من أبناء الجبل في ثكناتها في بيروت وبدأت الممارسات على الأرض من دون خطة واضحة وأقفلوا مراكز الاشتراكيين. وبين قرار وعدم قرار تدهور الوضع ، عندئذٍ أتى بعض الشباب من الجبل وطرح المشكلة. . .».

ولما سألته لماذا لم تستطع القوات اللبنانية الامساك بزمام الأمور قال: «عندما بدأوا ينظمون الثكن لم تكن هناك مشاكل كثيرة. في أيلول بدأ الجو يتلبد ، وأكثر الذين كانوا يتعاطون الموضوع لم يكونوا ضليعين وملمين بالمشكلة الدرزية ـ المسيحية في الجبل. . .

من ناحية ثانية: التحضيرات التي تمت لم تكن على المستوى المطلوب لتجييش المنطقة وتحضيرها بكاملها ، وأكبر دليل على ذلك القيادة العسكرية التي كانت في عاليه والشوف ..

من غير الممكن منطقة في حجم بحمدون مثلاً وفي احتكاك مباشر مع الدروز أن تكون القوات اللبنانية فيها كما هي اليوم ، وهذا أيضاً ينطبق على بلدة الرئيس شمعون ، دير القمر . . .

إن السبب المباشر لما وصلنا اليه هو التحرك الذي قام به شبابنا عندما صعدوا الى الجبل بخلفية انتصار ، وبخلفية غالب ومغلوب ، ومارسوا السلطة في هذه المنطقة على هذا الأساس. . .».

بعد هذا الحديث كان الامر الوحيد الذي طلبته من الحكيم هو ترتيب الموضوع أولاً مع الاسرائيليين. . .

المغامرة الأولى

في اليوم التالي بدأت ورشة عمل كاملة . أرسلت مجموعة استطلاع واستخبارات الى الجبل لجمع المعلومات على الأرض . بدأت الأرقام تتوالى عن الاحصاءات. احتلت خريطة الجبل مكانها

الواسع في غرفة العمليات قرب خريطة الشمال . وراحت دوائر حمر وزرق ترسم عليها شيئاً فشيئاً . . . بلغت المهمة الى الكادرات والوحدات المشتركة كافة .

في المساء ، وفي اجتماع للمسؤولين ، حدد «الحكيم» مسؤولية كل منا : العملانية ـ الادارية واللوجستية ـ الاستخبارات ـ الاحتياط ـ الإعلام وغيرها . . .

ثم طلب مني أن أتوجه الى الجبل :

- لدراسة الوضع العسكري من مختلف نواحيه .
- لاختيار مركز للقيادة .
- لترتيب صعود المجموعة بكاملها .

- اتصلت بنازو (المسؤول عن الارتباط مع الاسرائيليين) ليرتب لنا الأمر . . . وتمّ ذلك في الرابع من كانون الثاني ١٩٨٣ . كان معي جيمي (مسؤول عن التدريب) ، وغسان (أحد مسؤولي الثكنة) ورفيق آخر (منصور) .

بعد معارك صعبة مع الثلوج المتراكمة على الطريق وصلت الى بحمدون حيث أرشدني أحد الرفاق الى ثكنة القوات . هناك لم يكن يوجد سوى منير الديك ، المسؤول عن الثكنة ، مع مجموعة من الشباب لا تتجاوز العشرة ، اضافة الى بعض الرفيقات العاملات في غرفة الاشارة . وكانت ثكنة الكحلونية قد نقلت الى بحمدون المحطة من دون أن يكون فيها عسكر . والتقيت بـ«الأبونا» هناك ـ وهو جاء حديثاً من غزير مع فصيلة عسكرية . وكنا خضعنا لدورة تدريبية معاً وكذلك منير الديك قبل سنة تقريباً .

كنت محظوظاً جداً إذ عثرت على مكان أقضي فيه ليلتي لأنه لم تكن توجد أسرة أو غرف صالحة ، أو طعام باستثناء البطاطا . . . لذلك لم يكن مستغرباً أن يكون الوضع المعنوي سيئاً جداً .

في الصباح طلبت من «الأبونا» أن يرافقني في جولة تعرف على المنطقة ، فانطلقنا من بحمدون باتجاه المنصورية حيث صادفنا حاجزاً للاسرائيليين حاول أن يأخذ مني قاذفة «لو» كنت أنقلها، فلم أعطه إياها[1] .

أول مكان خطر مررنا به كان بالقرب من بتاتر، ثم تابعنا سيرنا نحو عين تريز ، شرتون ، رشميا . . . على بعد ٥٠٠ متر من رشميا لحقت بنا سيارة «رينو» حمراء مسرعة ، ومصابيحها

(١) في المرة الثانية عرض علي أن يبيعني مماشط م ١٦ ! . . .

مضاءة وسائقها يشير الينا بالتوقف. اعتقدت في بادىء الأمر أن السائق المسرع يريد التجاوز فأوقفت «الجيب» لكنه نزل وقال لي لاهثاً «لقد وصلتم الى قرية درزية». . . غير أن «الأبونا» كان قد سبقني فلم أجد وسيلة لايقافه سوى اطلاق النار عليه. . . من دون اصابته. ولم نكد نقفل عائدين ادراجنا حتى كان الدروز قد احتلوا الطريق. ولما وصلنا الى رشميا كانت النسوة في شبه مأتم لاعتقادهن بأننا أصبحنا في عداد الشهداء.

أما سائق السيارة المنقذة فكان عماد الهاشم وقد انقذ بعمله هذا حياتنا. ومن سخرية القدر ان يستشهد عماد الهاشم، معي، بقذيفة دبابة في أثناء معركة بحمدون.

استغرقت جولاتي الاستطلاعية في قرى الجبل أربعة أيام متتالية، قبل أن يصل «الحكيم» الى بحمدون، ومعه مئتا مقاتل. اتخذنا من دير الكحلونية مكاناً موقتاً لعدم وجود أماكن أخرى: كان ذلك في الثامن من كانون الثاني، اليوم الأول من مسيرة الجبل التي انتهت في السادس من أيلول ١٩٨٣.

أي جبل تسلمه الحكيم ؟

عندما وصلنا الى الجبل كان قد فات الاوان واصبحنا نحتاج الى معجزة .

الثلج .

الفراغ .

الحصار .

المعنويات المنهارة

انعدام البنية التحتية .

مسرح المفاوضات اللبنانية ـ الاسرائيلية الحقيقي . . .

هذا ما تسلمه سمير جعجع في الجبل.

لا شيء سوى شبح الروح المعنوية المنهارة يلف قرى الفراغ وتلال الثلج ، وعويل القلق المصفّر في زوايا المنازل الخالية وساحات القرى المتثائبة ضجراً وصمتاً وعجزاً . . .

إنه الجبل المهجور ، والمتأهب للهجرة عند أول عرض ، ذاك الذي تسلمه سمير جعجع صبيحة ذلك اليوم المثلج ٧/ ١/ ١٩٨٣ .

أما ما يعرف بالبنية التحتية فلم يكن يوجد منه في الجبل الحد الأدنى الضروري ليكون قاعدة انطلاق في الخطوات الأولى من المسيرة المستحيلة .

قرى وبلدات برمتها لم يكن يوجد فيها أي مظهر من مظاهر الحياة: رويسة النعمان، دفون لم يكن يوجد فيها سوى حفنة من شباب «الصخرة» مع ادوار الشرتوني. سكان شرتون الباقون فيها لا يتعدون الثلاثين. . . ونادرة القرى التي كانت آهلة .

حتى الثلج قسا متواطئاً ذلك العام ، إذ قضى العشرات من المواطنين على الطرقات بسبب العواصف الثلجية العنيفة. وعلى رغم أن الثلج كان صديقنا على الجبهة الشمالية ، فانه كان عدونا في

الجبل لأنه قطع الطرقات فيما نحن لم نستكمل تجهيزاتنا الشتوية الضرورية للاقامة والانتقال والتحرك.

وأما بحمدون، ذات البضع عشرات من آلاف السكان ، لم يكن يوجد فيها حينذاك سوى الف شخص من بحمدون الضيعة وبحمدون المحطة .

ما الذي جعل المعنويات تتدنى الى الدرك البائس في الجبل؟

هناك أسباب كثيرة، في مقدمها حادثة الغابون التي كانت ضربة موجعة للمسيحيين إذ بقيت ثماني جثث للقوات اللبنانية في وسط البلدة بعد المعركة المرتجلة. وهذه الحادثة كانت كافية لسحب الثقة من التنظيمات المسيحية المسلحة التي كانت في الجبل قيادة وعناصر. لذلك كان علينا أن نبدأ باستعادة هذه الثقة المفقودة لنتمكن من استعادة الشعب الى الجبل والجبل الى شعبه. كان ذلك الأمر صعباً جداً لأن الذين لا يعرفون الحكيم اعتبروا المسألة مسألة تبديل في القوات لا أكثر.

وثمة وجه آخر من وجوه الواقع المتردي الذي كان سائداً في الجبل يومذاك: فالجبل كله، كان محاصراً ، وكان يجب معالجة هذا النقص في الطرقات الداخلية والخارجية أيام الانتشار الواسع وليس بعد الانحسار الضيق الذي وصل اليه الوجود المسيحي في الجبل. وعلى سبيل المثال فان الطريق الرئيسة الممتدة من بحمدون الى بيت الدين ، مروراً برشميا ودير القمر ، لم يكن لها أي عمق استراتيجي للتحرك وبالتالي فهي واقعة كلياً في مطال الرصاص الدرزي. كما ان كل مراكزنا العسكرية والمدنية ـ وحتى القيادية منها ـ في عين تريز وبحمدون وبيت الدين. . . كانت محكومة برصاص القنص من القرى الدرزية. أما مستديرة عاليه فأصبحت «مستديرة الموت»، وطريق كفرحيم أقرب الى الكمين منها الى الطريق غير الآمنة.

وجاءت مشكلة انعدام وجود بنية تحتية تزيد الأمر صعوبة وتعقيداً: فالجبل المسيحي لم يعرف يوماً العمل الجماعي بعد حوادث العام ١٨٦٠ . أما السياسة ، سياسة الزعامات، فحصرت همها في الانتخابات ، دون أن تفكر في عمل يشد المواطن المسيحي الى جبله ويعمق جذوره في بنية تحتية راسخة . فلا قرية مسيحية يمكن الوصول اليها من دون المرور بقرية درزية. لا مستشفيات ، لا خدمات ، حتى ان مدينة بحمدون ليس فيها مستشفى واحد !

هذه المشكلات، اضافة الى وجوب مواجهة مئة وأربعين عاماً من حوادث (١٨٤٠ ـ ١٨٦٠)، مروراً بثمانية أعوام من الاحتلال الفلسطيني ـ السوري للجبل استغلها الدروز لمصلحتهم. . . كل ذلك بعض ما كان على «الحكيم» مواجهته.

بناء شعب، واسترداد جبل، وشق طريق الغد، المهمة لم تكن سهلة ولا ممكنة من قبل مئتي

عنصر جاؤوا من الشمال اللبناني حاملين على ظهورهم اسلحتهم الفردية والمتوسطة وفي صدورهم ايمان لا يتزعزع.

... ودخل الشمال، للمرة الأولى، عمق الجبل، بعدما كان دائماً يتوقف عند حدوده. أمامنا الصورة القاتمة ووراءنا مجتمع مسيحي مفكك غاب عنه القائد والقرار، والرؤيا.

تجاه كل هذا الانحلال كانت الخطة السورية، قد قطعت خطوات متقدمة على طريق اطاحة الحكم اللبناني بالتكافل والتضامن مع وليد جنبلاط ونبيه بري. الى ذلك ظهر التحول في السياسة الاسرائيلية حيال المسيحيين.

والمؤسف ان كثيرين رفضوا رؤية الواقع المرئي وظلوا يقولون ان العلاقة باسرائيل هي بألف خير...

وهكذا دخل الشمال الجبل كمؤسسة في مواجهة شعب، كانت معركتنا تلزم جزءاً صغيراً من الشعب المسيحي في مقابل التزام الشعب الدرزي بكامله:

هناك نوعان من الحروب: الحرب التي يقودها شعب وتسمى حرباً شعبية، والحرب التي يديرها جيش وتسمى حرباً نظامية. في حرب ١٩٧٥-١٩٧٦ التزم كل الشعب المسيحي وكانت حرباً شعبية رائعة، وانتقل بعد ذلك ليحارب ضمن ثكن ومن ثم الى وحدات محترفة من دون أن يرافق ذلك بناء جدي في العدد والعدة والكادرات، وبذلك نكون قد فقدنا الاثنين:

- الشعب لخوض الحرب الشعبية.

- والجيش لادارة الحرب النظامية، لأن احداً لم يعمل يوماً بجدية على بناء جيش مسيحي منظم.

وترافق دخولنا الجبل مع هجوم بالغ الخطورة هدف الى «فرط» القوات اللبنانية بوسائل متعددة:

حوصرت حرية تحركنا في «بيروت الكبرى» فيما نحن بأشد الأوقات حرجاً في الجبل.

أجريت محاولة تذويب القوات اللبنانية في الجيش اللبناني لالغاء المقاومة اللبنانية.

قطعت الموارد الأساسية باقفال الحوض الخامس.

وقد أدى ذلك الى وقف التدريب الاجباري لتقوم بالحرب مجموعات صغيرة تعودت دوماً أن تكون هي اياها على كل الجبهات.

أما الدروز، خصوصاً بعد العزلة السياسية التي دفعوا اليها من جانب الدولة وبعض القيادات المسيحيين، فالتفوا بعضهم حول بعض واعلنوها حرباً شعبية، بدأت من الجليل

والجولان وجبل الدروز وصولاً الى مشارف بيروت .

وهكذا جاء الشمال الى الجبل كجزء يسير من المسيحيين مع انقساماتهم لمواجهة كل الدروز بكامل تحالفاتهم وبنيتهم التحتية .

لذلك لم يكن مستحيلاً أن أعرف مذذاك أن مصير الجبل قد كتب، وعلينا تحمل كل النتيجة والخروج بأقل قدر ممكن من الخسارة: فايماننا كان كبيراً لدرجة تصديقنا إحداث تحول تاريخي في الجبل وثقتنا بـ«الحكيم» كبيرة، ومتينة .

«إن الانهيار، والوضع السيىء الذي كان يهدد منطقتنا ويطرق أبوابها دفع القيادة الى اختيار الشخص الملائم. وبالتالي وصل «الحكيم» مع مجموعة كبيرة من أهالي الشمال العسكريين. بالطبع كان على «الحكيم» أن يقوم بعمل صعب للغاية، ليس فقط على الصعيد العسكري انما النفوس محطمة: لا أهالي ولا شباب في المنطقة، الخوف والوهم يسيطران على الجميع، فقدت الثقة وتحطمت الأسطورة ، لا مجال للانقاذ الا بأعجوبة تقلب الوضع رأساً على عقب»[1] .

في دير الكحلونية استقبلنا المدبر حويس رئيس الدير ، واتصلت بنا القيادة في الليل من بيروت لتعلمنا أننا سنتعرض للقصف بعدما رأى الدروز الحشود، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. . .

(١) عبدو كرم - رئيس قسم بحمدون المحطة .

عين تراز عاصمة الجبل لثمانية أشهر

في التاسع من كانون الثاني من العام ١٩٨٣ قام «الحكيم» بأول جولة له في الجبل، واعتمد عين تريز مقراً للقيادة. وللحال طلب من «جوزيف» (أمين سره الخاص) أن يدرس موضوع توزيع الغرف.

بعد يومين تركزت القيادة في عين تريز ، مجموعات المشاة في رشميا ، وبقي قسم صغير في الكحلونية . أما في دير سير فتركزت: مجموعات التنصت والاستطلاع والاستخبارات والهندسة.

الجبل كان يفتقد لقائد
وجاءه سمير جعجع لملء الفراغ

«التقيت في مطرانية بيروت المارونية، صديقي الأب ميشال الحايك ، سألني عن أخبار منطقتي مركزاً على سمير جعجع كقيمة انسانية وحضارية وأذكر انه قال لي: بتقدر تحط إيدك بأيدو.

كان قد تسلم المنطقة وهي بحاجة الى قائد، فشخص أمراضها وانكبّ على المعالجة:

- صالح المتخاصمين، وحَّد بين فاعليات المنطقة .
- بدأ نهضة عمرانية واسعة، أبرزها شق طرقات جديدة تصل القرى.
- استعان بالمثقفين الجامعيين، وبذوي الاختصاص. كان عنده مئات الشباب يعملون بجد واخلاص، كل في حقله ، حتى غدت مطرانية عين تريز ومتفرعاتها مقصداً ومثالاً لدولة نموذجية يحلم بها اللبنانيون.

هاجسه الموضوعية ، الجدلية وغربلة الآراء والتشاور. . . وإذا ما قرر عملاً ما يأتي نتيجة درس وتمحيص وتأمل. من هنا التزامه بمواقف جريئة.

- نفذ الى أعماق الناشئة، ولمسوا فيه امتداداً ساطعاً للمسيرة التي عبأها وقادها الشيخ بشير الجميل.

ـ يتعاون مع لفيف من رجاله، رصيده الصدق، الايمان... تمكن من تفجير طاقات جمة... فبث روحاً جديدة في أوصال منطقة نائية ، ونشطت الحياة التربوية والعمرانية والاقتصادية... ولكن هذه القوة ويا للأسف كان عمرها قصيراً ولم تؤت ثمارها المرجوة!»[1].

بعد تركيز القيادة في عين تريز كان أهم شيء تلافي وقوع الضحايا لذلك وضعت اللافتات على المفترقات فلم يعد أحد يضل طريقه الى كمين درزي، وعملنا على توزيع «دليل المقاتل» على جميع المقاتلين واستمرت ورشة العمل الجدي طوال ثمانية أشهر، وفي هذه المدة عمل كل منا ما يوازي عمله في كل حياته الماضية . ثمانية اشهر بدأت بثوب ثلج أبيض في بحمدون وانتهت بحمام دماء أحمر في المدينة نفسها.

لا حجر على قرية مسيحية

كل هذا فيما «الحكيم» لا ينقطع عن القيام بجولاته على مختلف المناطق ومراكز العمل العسكري وغير العسكري... وعندما شكا اليه أحدهم ما عمله الدروز في مرج شرتون قال له: «بعد اليوم لن أقبل بأن يرمى حجر على قرية مسيحية». وبدأ الوعد .

أول مجموعة حركناها الى حبرمون، وهي قرية صغيرة جداً تقع ما بين بسرين وعين الحلزون لناحية النهر. وهناك وضع الدروز الغاماً للآليات على الطريق الترابية مما تسبب بمقتل بعض الأهالي، الذين كانوا يهمون بالرحيل عن قريتهم لحظة وصولنا. وكان تفريغ حبرمون، لو حصل، يشكل خطراً كبيراً على عين الحلزون لأنها تصبح معزولة، لذلك أرسلت اليها مجموعة خاصة نجحت في استيعاب الوضع. ثم قمنا بزيارتها ثانية أنا و«الحكيم» وبعض المسؤولين. وفيما نحن عائدون منها باتجاه بسرين فتح علينا الدروز النار مما اضطرنا للتنقل عسكرياً مسافة طويلة من طريق العودة. ولم تكن هذه الحادثة الأخيرة من نوعها، فطوال ثمانية أشهر تعرض كل منا لرصاص الدروز عشرات المرات، وكان الموت أمامنا مع كل خطوة وفي كل لحظة.

أول شهيد

في الرابع عشر من كانون الثاني بدأت النيران تشتعل متنقلة من مكان الى آخر ، وبين حين وآخر ، وكأنها عمليات جس نبض يقوم بها الدروز لاختبار نوعية الرد الذي سنقوم به . هكذا وقعت اشتباكات بين بسرين والمشرفة ومزرعة الضهر ، فأضطررت للانتقال الى هناك تحت الرصاص ، لكي أصل القرية وهي تقصف بمدافع الـ «١٢٠ ملم» . كذلك قصفت رشميا ،

---

(١) راجي عشقوتي «حصار دير القمر» صفحة ٧٩ .

وحصل أول اشتباك مباشر بين شبابنا والدروز في شاناي : فقد اعتاد الدروز الصعود الى تلة شاناي للرماية على ثكنة بحمدون ، لكن الشباب تصدوا لهم ذلك اليوم وطاردوهم الى وسط شاناي رغم كثافة الثلج ، فسقط لهم خمسة قتلى واستشهد رفيق لنا هو بطرس سابا الذي كان أول شهدائنا في الجبل . بعد ذلك لم يعد الدروز يقتربون من تلة شاناي ، ولكننا توقعنا ان يقوموا بردة فعل تلك الليلة غير أنهم لم يفعلوا ، كما اننا لم نكن نرغب في التورط في عمليات وعمليات مضادة في ذلك الوقت . والحق يقال ان شبابنا الذين كانوا يقومون بالحراسة على تلك التلة ـ وكان مسؤ ولاً عنهم مارون وديع ـ كانوا يفعلون ذلك وسط الثلج دون غطاء أو البسة خاصة ، نصفهم في الثلج ونصفهم الآخر في العراء . كان ذلك من أقسى ما مرت به مجموعة عسكرية في تلك المنطقة .

غير ان الهدوء لم يطل اذ حاول الدروز في السابع عشر من كانون الثاني شق طريق من عين حالا الى الغابون ، بيصور ، فمنعناهم رداً على قصفهم شبابنا الذين حاولوا شق طريق سرجبال . وقد استعملنا مدفعاً من عيار ١٠٦ ملم لأنه لم يكن لدينا سوى مدفع واحد (١٢٠ ملم) في رويسة النعمان يخدمه رجل واحد من شرتون غير صالح للمهمة .

ثم كرر الدروز قصف بسرين فما كان من الحكيم إلا أن قصف معصريتي بقسوة ، فهدأت التحرشات في تلك المنطقة .

على أثر ذلك انطلقت المساعي والاتصالات على غير صعيد فعقد في العشرين من كانون الثاني اجتماع في المجلس الحربي الكتائبي ضم مسؤ ولين عن الجيش الاسرائيلي وعن القوات اللبنانية تظهر منه بداية التحول الاسرائيلي :

داغان : لنحضر اتفاقاً بين الدروز وأنتم ونحن ، ومن ثم ندرس كل الحالات . اقترح أن يتابع الاباتي بولس نعمان اتصالاته بهم .

نازو : سوريا تساعد الدروز بالسلاح والذخيرة . .

داغان : طبيعي ، السوريون ينسقون مع الدروز . . اين جنبلاط اين . . ؟ هو في دمشق . .

هذه اقتراحات الدروز :

ـ ١ ـ تهدئة الحال .

ـ ٢ ـ ان نكون نحن الوسطاء .

ـ ٣ ـ كل قواعد المسيحيين تبقى كما هي الآن .

ـ ٤ ـ يقبلون تحركات القوات اللبنانية بحرية . ونعطيهم بعض التحركات في المقابل (فتح طرق عسكرية جديدة) . .

ـ ٥ ـ ايقاف أي عمل عنف ضد المسيحيين في القرى .

ـ ٦ ـ اعادة المسيحيين الى قراهم .

ـ ٧ ـ سحب العناصر المتطرفة من الطرفين .

ـ ٨ ـ وقف التعامل مع الفلسطينيين .

ولن يقبلوا :

ـ ١ ـ ازالة شاراتهم ومراكز احزابهم واعلامهم . . .

ـ ٢ ـ قطع العلاقة بسوريا . .

ـ ٣ ـ سحب السلاح (يريدون الشرعية ان تدخل) .

ـ الى أي مستوى وصلتم معهم في الاتفاق ؟

داغان : جنبلاط وافق على الاتفاق والجواب منه .

ـ من سيوقع من جهتهم ؟

داغان : من تريدون ؟

ـ وليد جنبلاط .

داغان : «أوكي» ، ولكنهم سيطلبون بيار الجميل .

ـ ما هو شعورك الجديد نحوهم ؟

داغان : هم يضعون المسؤولية الآن على سمير جعجع ، ويفكرون في الرد ، لانهم أخبروني تاريخ سمير جعجع ويعتبرون هذا التعيين تكتيكاً جديداً ، وان سمير هو مسؤول وهذا قد يجعلهم يفكرون سلبياً . قد يبدأون بالتعدي على مناطقكم ، وربما بمساعدة فلسطينية من طرابلس أو غيرها . . . تعيين سمير جعجع هم معنيون به كثيراً ، وليد جنبلاط وتوفيق بركات في سوريا ينسقان هذا الأمر هناك . . .»

ثم عقد اجتماع آخر في السادس والعشرين من كانون الثاني في مقر القيادة الاسرائيلية بضهور العبادية وبحضور الوزير الاسرائيلي موشى موداي :

ـ طلب «الحكيم» من المدبر حويس الحضور مع رئيس بلدية بحمدون لويس غصن واسعد ابي رعد .

وحضر عن الدروز : فضل الله تلحوق ، عاطف سلوم ، ومسؤ ول عسكري .

الوزير الاسرائيلي : هل تريدون التعايش مع الدروز أم لا ؟

المدبر حويس : لم نكن في أي وقت ضد التعايش ، القرى من باتر جزين حتى كفرسلوان في المتن هي قرى مختلطة .

الوزير : لماذا لا يوجد شعب في بحمدون ؟

المدبر حويس : انظر الى العبادية من الشباك ، نسبة أهاليها ٣/ ٤ مسيحيين تهجروا تحت نظر القيادة الاسرائيلية . . . ايام السوريين كنت أنزل الى بيروت الساعة الثانية بعد منتصف الليل ، اليوم لا استطيع ذلك ابداً في وجود الجيش الاسرائيلي . . .»

. . وعشية ذلك اليوم أحرق الدروز كنيسة مزرعة النهر ومنازل المسيحيين في تلك القرية !. .

أول رد من نوعه

في بقعة من الارض لا مقاييس للزمن فيها ، ولا مكان بعد للأعياد والأفراح ، أكملت الخامسة والعشرين من عمري (٢٧ كانون الثاني) وأنا اتساءل كيف سيرد «الحكيم» على قصف بسرين ورشميا ؟. وكان قد وصل قبل اربعة ايام اخي انطوان مع مجموعة صواريخ وتمركز في كفرعميه . لقد اعتاد الدروز الاعتداء على المسيحيين هناك دون رد رادع . وعندما التقطنا على أجهزة «التنصت» انهم سيقصفون شرتون زاعمين وجود مدفعية فيها اضافة الى بعض القرى المجاورة ، أمر الحكيم بقصف بيصور فتلقت سبعمئة قذيفة في ليلة واحدة كانت كافية لاشعال البلدة بكاملها . وقد طبق «الحكيم» مبدأ «تجميع القوى» وضرب نقطة واحدة في جبهة العدو .

وسرعان ما ظهرت نتائج تلك الضربة الحكيمة والمحكمة بأن :

ـ توقف القصف الدرزي على قرى المنطقة التي يسيطر عليها «الحكيم» لمدة طويلة .

ـ نزح العدد الكبير من سكان بيصور الدرزية .

ـ ارتفعت المعنويات في القرى المسيحية في اعقاب أول رد شهدوه من نوعه ، وعادت البسمة الى وجوههم والأمل الى عيونهم .

بريح وحكمة التعامل

كانت هذه ضربة قوة بالنسبة لنا ولكن ، في المقابل ، كانت هناك نقطة ضعف مزمنة تقتضي معالجة عاجلة : إنها بريح التي سبق للدروز في الثالث من كانون الثاني ان شنوا عليها أعنف هجوم لهم تحت عيون الاسرائيليين وصمتهم . سقط لنا يومذاك شهيد وأربعة جرحى لم نستطع سحبهم من داخل البلدة المطوقة من كل الجهات باستثناء منفذ واحد ليلي يبعد عشرة امتار عن الدروز . لذلك ركز «الحكيم» على حل مشكلة بريح بأن أرسل لها الامدادات بالمقاتلين والذخيرة ... فاستعادت صمودها بعدما كان بولس خليل، «البطل» المسؤول عنها يلوح بانه قد يضطر للانسحاب .

ومن جهة ثانية قام «الحكيم» باتصالات مع الاسرائيليين لتهدئة الوضع في بريح وحصر ذيول الاشتباكات . غير ان المعارك تجددت وأصيب قائد المجموعة (جان) فطلب اليّ «الحكيم» التوجه ليلاً الى بريح لتسوية الوضع بأي ثمن . بعد مسيرة شاقة في البراري ، واحياناً بمحاذاة مراكز للدروز ، وصلت الى البلدة . وبعدما شاهدت الوضع من كثب ادركت ان المسألة تحتاج الى جنون أكثر مما تحتاج الى بطولة ! فلم يبق معنا سوى عشرة منازل منتشرة في مسافة لا تتعدى المئة متر تحيط بها من جهات ثلاث منازل الدروز فيما أبعد مسافة بين الجانبين لا تزيد عن العشرة امتار . واطلعني الشباب على أن قتال أمس الأول قد دار من نافذة الى نافذة ، وأنه استخدمت في خلاله مختلف أنواع الاسلحة ، كما ان الملالة الاسرائيلية المرابطة على بعد خمسين متراً لم تتدخل لوقف القتال كما لم تتدخل لسحب القتيل والجرحى . غير ان ضابطاً اسرائيلياً يدعى «ماير» جاء وعرض سحب جريحين وترك الباقين فرفضنا وهم بالانصراف لكننا عدنا وقبلنا بذلك فقام بنقل الجريحين وتمكنا فيما بعد بسحب الجرحى وجثة الشهيد .

ويعود الفضل في الاساس لعدم سقوط بريح «للبطل» وايدي الاسمر بمجموعة لا تتعدى الثلاثين مقاتلاً .

وأثمرت اتصالات «الحكيم فتم التوصل الى اتفاق يقضي بوقف النار في بريح وسحب المقاتلين من غير أهاليها ، وتمركز قوة اسرائيلية هناك توفيراً لحرية المرور من بريح واليها . وقد ازاح هذا الاتفاق عن كاهلنا عبئاً ثقيلاً وظل ساري المفعول حتى الثالث من ايلول ١٩٨٣ يوم المعركة الحاسمة .

عرّفنا بجبلنا

خيل اليّ في البداية اننا نسير ببطء شديد فيما الاحداث تبدو في الافق مسرعة متلاحقة ، وخصوصاً في افق الجبل المشحون ، لكنني كنت مخطئاً إذ وحد الحكيم الشباب ، اتصل بالفعاليات في كل القرى ، جمع المعلومات والاحصاءات الضرورية ، وشيئاً فشيئاً بدأت معالم المؤسسة التي أوجدها تتضح وتنمو وتكتمل على الأرض .

كيف كانت نظرة الناس الى «الحكيم» من خلال هذه التحركات بعيد وصوله الى الجبل البائس ؟

«طال الوقت لتعود الثقة بالقوات اللبنانية الى الناس الذين بدوا وكأنهم فقدوا ثقتهم بجميع المسؤولين ومدّعي المسؤولية .»الانطباع الأول الذي ساد عن «الحكيم» كان يصوره انساناً دقيقاً جداً تشعر بأن كل كلمة يقولها تختصر موضوعاً برمته . عندما تعرفت الى هذه المجموعة وجدتها تحترم نفسها ، وتحترم هدفها . كل واحد منها يبدو ناضجاً بكل معنى الكلمة . . . يشرح ابعاد القضية ويفهمها اكثر مما نفهمها نحن الذين نعيش في الجبل نظاميين وواعين . وفجأة بدأ الجبل يتحرك ، كمن كان نائماً - أو منوماً - لأعوام عدة ثم استيقظ ليجد انه فقد الكثير من سني عمره وان ما تبقى له لم يعد فيه متسع لغير العمل ، والعمل ، والعمل . . .

دوريات ، ناس ، آليات ، حركة بناء ، وعمل ، وطاقات كثيرة وكبيرة لم يقدم على استثمارها أحد في السابق . . .

كنا بحاجة لمركز إشارة . طلبوا فتيات للعمل على الاجهزة ، فنجحت بعد عناء في إقناع أهلي بالسماح لي للالتحاق هناك مع بعض رفيقاتي اللواتي اقنعتهن ايضاً . كانت المرحلة الاولى صعبة للغاية والعمل وسط الثلوج كان متعباً جداً . لم نكن نعرف معنى المسؤولية وماذا تعني شعبة رابعة وأخرى خامسة . افتتحت دورة تدريب لاربعين فتاة ، تلتها أخرى لثلاثين فتاة ليلة قصف بيصور كان الناس في شبه حلم . . . لقد شعروا للمرة الاولى بأن هناك من يدافع عنهم ، ولمسوا قوة الرد على الاعتداء عليهم (. . .) أول ما دخلت في مجموعتهم شعرت بأنهم أخلص ناس عملوا من اجلنا ، فكنت ارتاح في تحمل القليل من كثير يتحملونه من اجلنا . . . لقد نجحوا في تعريفنا بلذة العمل من أجل منطقتنا ، وطننا ، مسيحيتنا بعدما كان مفهوم الأنا هو السائد والسيد جمعتنا بهم العقيدة ، الهدف . . . بل ما هو أكثر وأقوى وأشمل ، ما لم استطع ادراك كنهه حينذاك . انهم في عمق معاناتنا ، بل انهم أشد منا معاناة لمعاناتنا . . لقد نجح «الحكيم» ورفاقه في تعريفنا ببعضنا وبجبلنا ، ودفعنا لأن نعطي شيئاً يعزز وجودنا . .»[1] .

---

(١) - سناء راشد من شرتون . كان لها الدور الكبير في تأمين اتصالات القيادة المركزية في الجبل طوال الثمانية أشهر .

كان يجب استغلال كل القوى والطاقات بل اكبر قدر منها في أقل وقت ممكن . فقد كان الحكيم في سباق مع الزمن ، لذلك نزل هو الى الساح ، الى العلاقة اليومية مع الناس . كان يستدعي كل شخص بمفرده ، يدرس ، يوجه ، يوزع الاعمال والمهات ، يراقب ، يتخذ الاجراءات المناسبة .

هكذا بدأت دورات اختصاص في كل الاسلحة : المشاة ، المدفعية ، المساندة ، الهندسة ، الاستخبارات ، الادارة واللوجستية والاشارة . . . وكل ذلك كان يتم في ظروف طبيعية صعبة جداً . . .

نتيجة الجهد والسهر لم تطل حتى بدأت بالظهور. لقد وجدت الثقة بين الشعب و«عين تريز» ، بعدما استعاد ذلك الشعب ثقته بنفسه ، فتألب الناس من كل الجبل ، هذا ليعرض مشكلته ويعود بحل لها ، وذاك للعمل في الكهرباء ، أو البناء ، أو المطبخ . . . وفتحت المتاجر والمطاعم ، وعاود المزارع العناية بأرضه بعدما كان يتأهب للنزوح عنها وتركها بواراً للطامعين بها .

ولا بد في هذا السياق من الاشارة الى المساعدة التي كان جهاز الخدمات الاجتماعية يقدمها للأهالي في الميادين الصحية والحياتية . كذلك انشأ «الحكيم» جهازاً خاصاً مهمته حل المشكلات بين المواطنين في داخل قراهم . . . وهذا ما جعل الدروز يتهموننا بشتى الاتهامات وينعتوننا بـ «الاخوان المسيحيين» ، وإلا فلماذا جئنا من الشمال . . . الى الجبل ؟!

الرئيس . . . عين على المفاوضات
وقلب على الجبل

التحول الايجابي في الجبل رافقه تدهور متزايد على جبهة الحكم في الحقل السياسي العام . هكذا راح الاتجاه السلبي للتحول الاسرائيلي تجاه المسيحيين يتضح اكثر فأكثر ليتخذ ابعاداً تتسم بالخطورة . فوسط اعتقاد بأن المفاوضات بين لبنان واسرائيل ستكون شاقة وعسيرة ، ولكن غير عقيمة ، بدأت الجولة الاولى من تلك المفاوضات في خلده يوم الثالث من كانون الثاني . ومن الطبيعي ان تواكب المفاوضات هذه ، ككل مفاوضات ، اتصالات ووساطات تجري وراء الكواليس وفي الدهاليز الدبلوماسية ، وقد كشفت تل ابيب بطريقة غير مباشرة عن فشل الوساطات بقولها في السابع من كانون الثاني ان «الجميل رفض حلاً كان سيرضي اسرائيل» . كذلك أكد مناحم بيغن رئيس وزراء اسرائيل آنذاك في اعقاب الجولة التاسعة من مفاوضات خلده ان «لبنان رفض اقتراحاً بالانسحاب على مرحلتين» .

غير ان شارون كان واضحاً جداً في التعبير عن النوايا الاسرائيلية حيال تصرفات لبنان الرسمي إذ حذر في ٣١ كانون الثاني المسيحيين من انسحاب اسرائيل الى مسافة خمسة وأربعين كيلومتراً . كما حذر شارون الشيخ بيار الجميل من ان استمرار اتخاذ القرارات في الرياض ودمشق وتونس يجعله يشك في ان ابنه الشيخ أمين سيبقى رئيساً للجمهورية اذا استمر في تلقي أوامره من دمشق والسعودية .

هكذا وجد رئيس الجمهورية نفسه في وضع حرج جداً ، يجلس في غرفة العمليات ، عين على المفاوضات ، وقلب على الجبل . . .

أما دمشق فكان من الطبيعي ، في تلك الاثناء ، ان ترتفع لهجتها وتشتد نبرة التهديد فيها بعدما لمست ان الفرصة الاسرائيلية قد ضاعت من أمام لبنان ، فأعلنت انها ستعمل على إسقاط اي اتفاق «يمس أمن لبنان» .

ولما لم يفهم المسيحيون الرسالة المقصود ايصالها من تصريح شارون وجهت اسرائيل أول انذار موجع لهم عبر سقوط «الحي الغربي» من عاليه في ايدي الدروز ، عقبه تصعيد خطير في الجبل . وقد اتهمت القوات اللبنانية اسرائيل بمنعها من التدخل في الحي الغربي وأسفرت النتيجة

عن سقوط اربعين مصاباً بين شهيد وجريح ، اضافة لتدمير منازل المسيحيين هناك .

أما الجنرال أمنون فعقد مؤتمراً صحفياً أوضح فيه بلباقة مضمون الانذار الاسرائيلي للحكم عبر الحي الغربي المسيحي من عاليه ، ورد على اتهام القوات اللبنانية لهـم بالتحيز : فأعلن عن اتفاق بين الدروز والمسيحيين برعاية اسرائيلية ، وقال «لا أحد منع أحداً ولا أحد اقفل الطريق أمام أحد ومنعه من السدم في المنطقة . . .» ـ الاتفاق ـ

اتفاق أمني بين الدروز والمسيحيين

المبادىء العامة :

١ - ان هدف هذا الاتفاق هو تقريب وجهات النظر واستتباب الأمن في المناطق التي طغت عليها أحوال القنص والاشتباكات الدامية وأعمال التخريب والتهجير بين المسيحيين والدروز .

٢ - هذا الاتفاق هو عبارة عن وثيقة ذات طابع أمني وعلى الطرفين التقيد به والعمل بموجبه على أمل ان يكون فاتحة طريق الخير بين الطائفتين .

٣ - الاتفاق هو بين الطائفة الدرزية وبين الفريق المسيحي . كل من وقع هذا الاتفاق من الطرفين تقع على عاتقه المسؤولية لحفظ الأمن والعمل بموجب هذه الاتفاقية علماً بأن القوتين العسكريتين الرئيسيتين هما القوات اللبنانية والحزب التقدمي الاشتراكي .

٤ - دولة اسرائيل هي طرف في هذا الاتفاق وعليها تقع مسؤولية المراقبة عليه ومعاقبة مخالفي بنوده .

دولة اسرائيل تحتفظ لنفسها بالطرق والأساليب التي ستتخذها لفرض المحافظة على بنود هذا الاتفاق .

٥ - الهدوء الذي سيسود منطقة الجبل بعد العمل بموجب الاتفاقية سوف يفيد في المستقبل الشرعية اللبنانية على أساس المحادثات والاتفاقيات بين اسرائيل ولبنان .

تفاصيل الاتفاق :

٦ - بعد التوقيع على الاتفاق مباشرة ستتوقف كل الأعمال العسكرية وكل أعمال الشغب والعنف بين الطرفين ، القنص ، أعمال الخطف وبت موضوع المخطوفين الخ . . .

٧ - سوف تفتح كل الطرقات التي قطعت خلال الحوادث ، طرقات الجبل والطرقات التي تربط بين الجبل وكافة المناطق . وتزال كافة الحواجز خلال ٣ أيام .

٨ - يحتفظ الطرفان بالواقع العسكري الحالي ويمنع منعاً باتاً زيادة حجمه بالعناصر والمعدات .

يُمنَع مرور السيارات العسكرية ونقل القوات ما عدا نقل الاشياء اللازمة مثل المؤ ن وغيرها . وهذا بموجب تنسيق مسبق .

٩ - يمنع منعاً باتاً تواجد العناصر المسلحة وذوي اللباس العسكري والمسلحين على الطرقات والساحات .

١٠ - على كل الاطراف العمل على ارجاع الحياة الطبيعية الى مجراها الطبيعي على النحو التالي :

أ - يحال بتصليح شبكات المياه ، التلفون ، الكهرباء ، ولفتح المدارس وارجاع الحياة الى طبيعتها .

ب - وقف الحملات الاعلامية المتبادلة عن طريق الراديو والتلفزيون والجرائد وعلى الطرفين ان يقوموا بالتصريحات لهدف احلال الأمن بين الأهالي .

ج - يباشر بترجيع جميع المهجرين الى بيوتهم ويحافظ على أمنهم .

١١ - على الطرفين العمل على عدم السماح لأي فئات غريبة بالدخول الى المنطقة والقيام بأعمال مخلّة بالأمن من كافة الاطراف .

أساليب المحافظة وصيانة الاتفاقية :

١٢ - تقام غرف عمليات في المناطق التي سيتفق عليها الطرفان والتي ستكون مكونة من سبعة اعضاء على النحو التالي :

أ - ضابط اسرائيلي

ب - ضابطان من المسيحيين

ج - قائدان مسؤ ولان من الدروز

د - ممثلان عن المدنيين أحدهما درزي والآخر مسيحي .

١٣ - غرف العمليات هذه وظيفتها العمل على تنفيذ بنود الاتفاق وتكون مسؤ ولة عن ترتيب ومحو العراقيل التي من شأنها ان تظهر في العمل ، مكان هذه الغرف واسماء الممثلين تطرح في اجتماع قادم مع الأطراف وفي حال عدم وصول الطرفين الى اتفاق يكون الحق للضابط الاسرائيلي البت في الأمر .

١٤ - تقام غرفة عمليات مركزية ، يجتمع بها الممثلان الرئيسيان عن كلا الطرفين لادارة أعمال غرف العمليات الاقليمية .

١٥ - سوف تقام ندوات ولقاءات بين رجال الدين والفعاليات من كلا الطرفين التي هدفها تهدئة الخواطر وفرض الأمن في المنطقة بموجب هذا الاتفاق .

١٦ - جيش الدفاع الاسرائيلي سوف يفرض الدوريات على الطرق التي هدفها العمل على مراقبة التقيد ببنود الاتفاقية بصورة فعلية وفي المستقبل يمكن البحث في إرسال دوريات مشتركة مسيحية ودرزية لنفس الغرض .

الختام

١٧ - سوف يتم تحديد موعد تنفيذ بنود هذه الاتفاقية بين المسؤ ولين المحليين على ان يتم فرض السيطرة والهدوء واستقرار الأمن في المنطقة خلال ٣ أيام من موعد التوقيع على هذه الاتفاقية ، تبت قضية المخطوفين خلال هذه الفترة .

١٨ - في حال تنفيذ الاتفاقية وعودة الهدوء تخفض القوات اللبنانية وجودها في مناطق الاشتباكات .

١٩ - الاتفاقية بحثت وتطرقت الى نقاط عامة فقط
المشاكل القائمة وغير المتفق عليها حتى الآن سوف تطرح على بساط البحث حتى موعد تسويتها وعلى الطرفين كتابة البنود المحلية غير المتفق عليها وبموجبها سوف تقام الاجتماعات المحلية للبت بها حسب بنود الاتفاقية .

٢٠ - يوقع على هذا الاتفاق الأطراف المسؤ ولون من قبل الطرفين على ان يكونوا جميعهم راضين تماماً .

نزار نجار

«المعركة هي التحضير للمعركة . . .»

وفي السابع من شباط عقد «الحكيم» أول اجتماع عام لكل المسؤولين في قيادة الجبل ، وطرح موضوع الجبل من كل وجوهه ، وخلص الى تحديد الهدف الواجب تحقيقه . كما عرض «الحكيم» موجزاً لمسار الاحداث حتى ذلك اليوم ، محدداً كيفية التحرك المنوي سلوكه في المرحلة المقبلة .

كذلك أعطى البعد التاريخي والاستراتيجي لمعركة الجبل في حرب الدفاع عن وجود الشعب المسيحي ، محدداً العوامل المؤثرة (السوري ، الاسرائيلي ، الدرزي) ومشدداً على إقامة قوة ذاتية للحفاظ على الاهداف وتدعيم القوات الى الحد الأقصى .

وأوضح «الحكيم» للحضور ان ما ينقص الشعب المسيحي هو فهمه معنى هذه الحرب أي الاجابة عن السؤال : هل نبقى أم نرحل ؟ فاذا كان الخيار هو البقاء فعلى كل شباب المنطقة ان يكونوا في المعركة لأن «المعركة هي التحضير للمعركة وتنتهي عند بدء اول رصاصة . . .»

ما هو الانطباع الذي تركه هذا الاجتماع ؟ قد يكون الجواب في ما كتبه عنه رئيس قسم المحطة عبدو كرم :

«خرجنا من هذا الاجتماع مطمئنين لما سمعنا وأدركنا نية التخطيط للمستقبل القريب . فتاريخ «الحكيم» حافل . وبالفعل في غضون شهر تحسن الوضع وانتقلنا من تحت الصفر الى الصفر ، فأضحت كل قرية تتمتع بمقدرة عسكرية هيكلية تستطيع القيام بواجباتها ، ويعود ذلك الى التوجيهات الحكيمة والدعم اللوجستي بعدما كنا قد حرمنا من كل قضايا التموين على الصعيدين العسكري والمعيشي وعاد الكثير من الذين تركوا قراهم اليها ، وأعيدت الثقة الى النفوس عبر عدة لقاءات واجتماعات مع «الحكيم» الذي ما مرت دقيقة إلا وكان يمضيها في العمل والبحث ليعيد الى هذه الارض ما فقدته منذ أمد طويل . . . «وبالفعل ، فالعمل يكاد لا يتوقف في كافة القرى . . . فتحت الطرقات ، ووصلت المناطق المسيحية بعضها ببعض . وسائل الاتصال ، التي كنا نفتقر اليها ، أصبحت متوافرة حتى الى أبعد متراس وموقع . وزعت الاسلحة بحسب المعطيات الجغرافية كما نصبت المدافع على أتم وجه ، فلم تبق قطعة أرض للدروز إلا وأصبحت تحت مرمى مدفعيتنا ، بالاضافة الى التنسيق مع مدفعية بيروت . . .»

«مستديرة الموت»

في الخامس من شباط كان عليّ النزول الى بيروت لحضور حفل التخرج في كلية الحقوق بعد انهاء دراستي فيها . كان عليّ ان أبدأ بالصلاة قبل الوصول الى «مستديرة الموت» في عاليه ، واستمر بالصلاة بعد عبورها ، لعدم تصديقي بأنني كنت محظوظاً الى درجة النجاة من الموت عندها !

عند «غاليري خيرالله» تنفست الصعداء لاحساسي بالوصول الى عالم جديد افتقدته مدة طويلة . حضرت حفلة التخرج (دورة بشير الجميل) وانتقلنا لقضاء سهرة مع المتخرجين في الكازينو .

هناك أحسست بالغربة الموجعة تعتصرني . تحرضني على الفرار من عالم ليس عالمي ومكان ليس مكاني . إنه عالم غريب عني ، أو انا غريب فيه . أما هؤلاء الناس فكأن لا علاقة لهم بما يجري في الجبل ، كأن ذلك الجبل وذلك «الشعب» لا يعنيان لهم شيئاً . وعندما كان يسألني أحدهم عما اعمله فاجيب بانني في الجبل، كان السائل يزم الشفاه، وأخيراً يبدي أسفه عليّ ، فيما الجميع لا يريد حتى مجرد التفكير في الأمر . وقد يكون هؤلاء على حق ، فبين عالمهم والعالم الآخر ، الذي هو عالمي ، مسافة كبيرة ، وفرق كبير ، و«مستديرة الموت» التي تفصل بين الاثنين ، بين العالمين المتباعدين جداً .

فعالم الجبل كان معاناة قتل وخطف وتدمير وثلج وحصار وتحدي الزمن وصنع التاريخ . . .

وعالم بيروت وسائر المناطق المسيحية كان عالم اللامبالاة القاتلة ، و«البينغو» ، والسمسرة ، والـ : «أف ـ أم»[1] . . .

في الجبل حرب بقاء وفي بيروت كانت تعرض تمثيلية «لعب الفار بعب الست» .

. . وكان عليّ أن أعود الى عالمي ، مروراً بمستديرة الموت .

هناك سبب دفعني لتسريع عودتي هو ان دورة تدريبية كانت ستبدأ في السابع من شباط . عندما تحركنا الى الجبل ، انا ورفيقان في سيارة مرسيدس ، كان الثلج يزحف من الجبل باتجاه الساحل بسرعة وكثافة فائقتين . ورحنا نسابق الثلج والموت الى «مستديرة الموت» . ولسوء طالعنا لم تشأ السيارة الا ان تغدر بنا وتتعطل عند وصولها الى المستديرة اللعينة ! بسرعة عجيبة التف حولنا الدروز وقطعوا الطريق ، فسارعت باتجاه مركز اسرائيلي هناك وزعمت له (بالعبرية)[2] ان السيارة

---

(١) مكان للتسلية .

(٢) تعلمتها قبل الدخول الاسرائيلي الى لبنان

المعطلة تابعة لاستخبارات الجيش الاسرائيلي وانها تسد الطريق ، فأرسل معي سيارة جيب وسحبنا سيارتنا من الثلج ، وعدنا الى بيروت . من بيروت توجهنا نحو المشرف ، ومنها بطريق كفرحيم . . . الى الجبل .

التدريب الشاق !

باشرت مع جيمي تدريب الشباب على تسلم أمرة المجموعات العسكرية . جمعناهم في دير للراهبات في المعوش لم يكن يوجد فيه سوى راهبتين الواحدة من زغرتا والثانية من منطقة الجبل . بلغت سماكة الثلج ذلك اليوم ما يزيد على الستين سنتمتراً ، لكن الأمر لم يكن مشكلة طالما ان التدريب كله كان يتم في ظروف طبيعية ولكن قاسية وصعبة ، وسط تجاوب واندفاع شديدين . وقد كان لاسلوب التعاطي والمعاملة مع المتدربين الأثر الفعال في ترسيخ قناعتهم بالمهمة التي يتدربون لادائها . فحضور القداس ، في كنيسة المعوش كل صباح حيث يقيم الأب قزي رئيس دير مار مارون الذبيحة الالهية ، أثار دهشة الأهالي خصوصاً لدى مشاهدتهم سبعين شاباً مجتمعين على الثلج في باحة الكنيسة لقرع الجرس الذي كانوا يخشون قرعه قبلاً . منذ ذلك الحين ولمدة ثمانية أشهر لم تصمت أجراس الكنائس في الجبل .

مع انتهاء هذه الدورة التدريبية طلب اليّ «الحكيم» تسلم قطاع بحمدون ، فقلت له مازحاً : «ابعد عني هذه الكأس» . . . وعلى الرغم من هذه «المزحة» فقد كنت أعرف جيداً ، ومسبقاً ، ماذا تعني بحمدون . لكن ، مهما يكن الأمر ، فالمقاتل لا يسأل . وكان يدير قطاع بحمدون قبلي الرفيق فرنسوا ، الذي أراد «الحكيم» تسليمه مخيم مار عبدا للتدريب لكنه عاد فتسلم سوق الغرب .

لم تكن مهمة التدريب سهلة لأن الخطة التي وضعناها للجبل كانت تهدف الى الاكتفاء الذاتي ، العسكري والمعيشي . لذلك تقرر اخضاع ابناء الجبل كافة للتدريب ، وبالتالي للخدمة العسكرية . للتعويض عن الفراغ الهائل الذي كان يواجهه الجبل ، والذي كان الهم الأكبر للقيادة . ولعل رسالة الشاعر راجي عشقوتي تعكس حقيقة الوضع النفسي الذي كان سائداً في ذلك الوقت، وهذا نصها :

«حضرة قائد القوات اللبنانية المحترم . . .

«أعود لتوي من قريتي «كنيسة الشوف» بانطباعات مشجعة . . .

«متى تعود الدامور ؟ فالقرى المسيحية تتقوى بالمدن المسيحية ، وكذلك دير القمر . . .

«فالجندي بالقائد ، والقائد في الشوف هي دير القمر لانها العاصمة ، ١٥ ألف نسمة لا يوجد منها سوى ألف في بيروت . . .

«مع محبتي - راجي عشقوتي»

أول مكان وقع عليه اختيارنا كمركز للتدريب كان دير مار عبدا ، غير ان رئيسه رفض الفكرة كلياً . لكن عند «الحكيم» المشاكل تسهل ، فهناك ، قرب الدير ، «مشروع» مدرسة فندقية قائمة على الاعمدة بانتظار الجدران ، ولم يكن مستحيلاً على الاستاذ جوزيف ان يستكمل البناء في أقل من يومين ! الاستاذ جوزيف ، ومعه كل معلمي البناء في المنطقة ، واكبر حشد من العمال ، وصلوا الليل بالنهار . . . وهكذا أصبح البناء جاهزاً في الموعد المطلوب . وبالطبع لم يحصل ذلك بمعجزة بل بعملية حسابية بسيطة هي استغلال كل الطاقات في مكان واحد .

لم تكن تلك المشكلة الوحيدة التي اعترضت مسيرة التدريب التي بدأناها ، فهناك الشباب الذين نفروا منا بسبب الافكار المسبقة والصورة السيئة التي يحتفظون بها من تجاربهم السابقة ، والتي دفعت باحدى الامهات الى ان تخبىء ابنها في السجادة ، كما ان بعض الشباب لم يكن مؤمناً بجدوى حرب الجبل ، وبعضهم كان يأتي الى التدريب ومعه توصيات عدة ، بعضها من مسؤولين في القوات اللبنانية . . مما حدا «بالحكيم» الى فصل مجموعة خاصة لملاحقة المتخلفين ! . . .

مشكلة التنقل على الطرقات غير الآمنة ولا سيما بين بيروت والجبل، حاول «الحكيم» حلها عبر تفاهمه مع الاسرائيليين على توفير الحد الممكن من الحماية للطريق العامة وبمواكبة الشباب احياناً . غير ان معظم الشباب كانوا يأتون سيراً على الاقدام عبر طريق الدبيه ، سرجبال ، دير القمر على رغم خطورتها .

يضاف الى هذه الصعوبات ان مركز التدريب اياه كان عرضة لصواريخ الغراد والقذائف الأخرى مما أوقع عدداً من الجرحى بين صفوفنا . وقد تخرج في المخيم الذي كان مسؤولاً عنه الرفيق جيمي نحو ١٥٠٠ شاب عبر دورات عدة مدة الواحدة منها نحو الشهر .

الى جانب التدريب والتنشئة كان لا بد من استكمال عملية التحصين والترصين ، فحفرنا الخنادق وبنينا المتاريس والتحصينات ، من حيث كنا ندفع مثلاً باكثر من مئتي شاب الى مركز واحد ، ولعل ما شهدته تلة كفرنبرخ من أعمال التحصين هذه كفيل بجعلها نموذجاً للتلال المحصنة .

كأس بحمدون

الكأس التي لم يشأ الحكيم ان يبعدها عني تسلمتها في مطلع آذار ، يومذاك كان وضع قطاع بحمدون على الشكل الآتي :

ـ ثكنة الكحلونية : المسؤول عنها سليم الصايغ[1] وتشمل قرى : قتاله ، حارة حمزة ، راس الحرف ، الكحلونية . . . وفيها ستون شاباً تقريباً .

بحمدون المحطة : عبدو كرم (٢٠ شاباً) .

بحمدون الضيعة : جهاد متى (٦٠ شاباً) .

بطلون : سعيد الهاشم (١٠ شباب) .

المنصورية : طوني الهبر (٣٠ شاباً) .

التعزانية : طوني الهبر (٧ شباب) استشهد فيما بعد .

الرجمة : اسكندر خيرالله (١٢ شاباً) استشهد فيما بعد .

بخشتيه : جورج مرهج «اصيب ولم يعرف مصيره» (١٥ شاباً) .

عين الجديدة : تعاقب عليها بضعة مسؤولين (١٠ شباب) .

ثكنة للأمن في بحمدون : نقولا الحاج (٣٠ شاباً) .

هكذا يكون مجموع شباب منطقة بحمدون نحو مئتين وخمسين شاباً .

---

(١) في الخامس من نيسان نزل معي سليم الصايغ لحضور اجتماع في بيروت ، انطلقنا عبر الضباب من بحمدون ولدى وصولنا الى أول عاليه استوقفني اثنان من الدروز ، تمهلت قليلاً لأفاجأ بنحو العشرين مقاتلا درزياً في وسط الطريق ، قلت لسليم انتبه خففت السرعة لدرجة كنت اقف بينهم ثم انطلقت بالسيارة بسرعة فأطلقوا الرصاص داخل السيارة وأصيب سليم على الفور ولكن العناية الألهية اعمت عيونهم واستطعت الوصول الى أقرب دبابة اسرائيلية حيث طلبت منهم نقل رفيقي الى أقرب مستشفى وأكملت انا الى بيروت وعملت بعدها على نقله الى «أوتيل ديو» وبذلك نجونا من طريقة موت أخرى ولم يعد يستطيع سليم القيام بمهامه فعين الحنون مسؤولاً عن ثكنة الكحلونية مكانه» .

أما مركز قيادة القطاع فكان قرب ملعب بحمدون ، وهذا يجعله عرضة لرصاص الرمايات الدرزية من ضهور بعلشمية . لذلك كان أول عمل قمت به هو اعادة ترتيب القيادة لجهة الاتصالات والغاء بعض المكاتب ، ثم استدعيت المسؤولين في القطاع وقررنا ابقاء شباب كل قرية في قريتهم ، من حيث تجنبنا الكثير من المشكلات التي كنا بغنى عنها .

لم يكن معي في البداية سوى اثنين ، هما مارون وطربيه ، ثم فصل «الحكيم» لي حضيرة (عشرة اشخاص) للبقاء معي دائماً في بحمدون .

وبحمدون كانت تبدو كابوساً حقيقياً . فعلى رغم اتفاق وقف اطلاق النار الذي تم التوصل اليه في السابع من شباط والذي نفذ في بعض المناطق ، لم تنعم بحمدون بيوم هادىء واحد ، وذلك بسبب كونها مواجهة لعاليه من جهة والمتن والجرد من جهة أخرى . كما ان الدروز كانوا أحراراً في تحركاتهم عبر المناطق التي يسيطر عليها السوريون والفلسطينيون . وكانت عين الجديدة هي النقطة التي استهدفها الدروز وركزوا عليها أكثر من سواها بسبب وضعنا الحرج الناجم عن وجود حي مسيحي يدعى «الخان» في عمق الوجود الدرزي مسافة ٥٠٠ متر وقد كنا مضطرين لعبور هذه المسافة بجوار المراكز الدرزية المنتشرة على جانبها والتي لا تبعد عنها اكثر من خمسين متراً . وما يقال عن تعرض عين الجديدة لرصاص القنص اليومي المتواصل يصح قوله في حي تل تيتي في بحمدون المحطة وكذلك قطاع الكحلونية بكامله . ولم يمر يوم إلا وكانت تقع اشتباكات على هذين المحورين ، والحقيقة هي ان الدروز كانوا دائماً البادئين . وقد تسنى لي ، في تلك المدة ، التعرف إلى منهج عمل الافرقاء الثلاثة العاملين في الجبل وهم : المسيحيون ، الدروز ، الاسرائيليون .

الشعب المسيحي

تختلف نوعية الشعب المسيحي بين قرية وأخرى من قرى الجبل الواحد . فهو في قتاله وراس الحرف وحارة حمزة مثلاً ، غيره في بحمدون أو المنصورية . في تلك هو مندفع اكثر ، لذلك كان انجازه أجدى وأعم . وقد اتضح لي ان أهالي القرى الزراعية المعرضة للضغط الدرزي هم أشد ارتباطاً بأرضهم واقداماً للدفاع عنها . وهذا ينطبق على قرى كثيرة بينها عين الحلزون ، دير دوريت ، سلفايا ، الودايا . . .

أما في قطاع بحمدون ، واذا استثنينا قطاع الكحلونية ، فقد كان الشعب بعيداً عن الحماسة والاستعداد في الدفاع عن نفسه . فالكل يريد ان يربح الحرب ، ولكن من دون ان يدفع الثمن المطلوب لكسب الحروب . يريد كسب الحرب من دون ان يعمل شيئاً ، خصوصاً من دون ان

يقاتل . كنت أحاول تجاوز هذا الواقع المؤلم بأن أبدأ شخصياً بالعمل عند اقامة متراس أوحفر خندق ، لكن «مزامير داود» لم تكن تسمع سوى القليل القليل من الآذان . بل ان المسؤول في المنصورية ، عندما حاولنا حفر خندق هناك ، تقدم مني وطلب اليّ ألا أمد يدي الى العمل قائلاً : «هلق منجيب الركيشة» ولعله كان قادراً على استحضار جيش من الباكستانيين وسواهم وجعلهم يعملون مقابل أجرٍ مغرٍ ، لكنه لم يكن يعرف - على ما يبدو - أنه عاجز عن شراء رجل واحد ليموت دفاعاً عنه . هذه المواقف المائعة ما كان ليخفف من وقعها المحزن سوى اندفاع بعض المسؤولين كجهاد متى في بحمدون الضيعة الذي نجح في تنظيم عمل الأهالي على الوجه الأكمل ، وجورج مرهج من بخشتيه على الرغم من قلة العتاد والامكانات . وهذا ما دفعني للاستعانة بهما في قيادة القطاع بحيث اسندت الادارة واللوجستية الى جهاد والاستخبارات العسكرية الى جورج الذي كان يحل محلي اثناء غيابي .

واما نحن فكنا نعتبر أنفسنا في مهمة مقدسة[1]... كل واحد منا كان يؤمن بأنه يقوم بواجب مقدس لا يجوز التقاعس فيهُ أو التراجع عنه . حتى ان الرفيقتين نهاد وماري ، اللتين كانتا تعملان على الاجهزة اللاسلكية ، راحتا تصليان لكي تكون الطريق الى بيروت مقطوعة عندما طلب منهما الحكيم العودة الى قيادة الشمال . وقد استجاب الله لهما فبقيتا معنا في عين تريز حتى النهاية .

في المقابل ، كان غالب المواطنين هناك أبعد ما يكون عن المسيحية . وقد يكون لهم في ذلك بعض العذر إذ إنهم اعتادوا ان يعيشوا في ظل الهيمنة الدرزية التاريخية أشبه ما يكونوا «بأهل الذمة» . فلم يكن يقرع جرس في كنيسة إلا اذا أقدم شبابنا على قرعه . وحتى في أيام الأعياد قلة هم الذين كانوا يدخلون الكنائس لحضور القداديس أو للصلاة . أما في الكحلونية وجوارها فكان الوضع مختلفاً فالاهالي يأتون لسماع القداس في كنيسة الدير الى جانب شباب الثكنة في ظل أجمل صورة لمار الياس .

واذا كان احساسنا بمسيحيتنا لم يغب لحظة واحدة عنا فإنني على رغم ذلك كنت أعرف اننا ندافع عن «مسيحيين» ولكن ليس عن المسيحية . فالدفاع عن المسيحية يستوجب معركة أخرى - وربما حرباً من نوع آخر - وفي مكان آخر . ولما كان الحضور المسيحي في قرى الجبل شحيحاً وغير فاعل اضطررنا للارتفاع بالمؤسسة الدفاعية الى حدها الدفاعي الأقصى .

وما ان استكمل التدريب والتحصين ، حتى جهزنا القرى بالاسلحة المطلوبة والمعدات اللازمة لأقامة حواجز من الباطون المسلح ، بحيث بدأ القطاع يشكل كلاً متكاملاً . وأعدت

(١) رسالة اخي .

رسالة أخي

سنلتقي إن شاء الله وسأعبدك

عن أقدس عمل أقوم به في حياتي في هذه البقعة من أرض الوطن.

حبيبتي أنت لك قلبي وروحي لا أعلم لم شيئاً خفياً يشدني إليك ولا يجعلك تغادرين مخيلتي. أحبك إلى الأبد حتى ولو لم أعد سأموت وأنت في قلبي. وداعاً.

وصيتي إن طال العهد وجارت علينا الأيام أن أدفن تحت سنديانة كنيستنا بجانب أرقد جدي رفاق كرام

كفرعيها في ٦/٣/٨٣

LUNDI 26 MARS

MONDAY 26 MARCH

مرابض المدفعية بحيث تغطي حدود القطاع بأكمله ، كما ربطت كل قراه بشبكة اتصالات سلكية ولاسلكية فلم يبق متراس إلا وتم وصله بمركز القيادة ، ووضعت أسلحة مساندة بتصرف كل القطاع . سلاح الهندسة قام بمهمته في تلغيم مختلف الممرات المؤدية الى المراكز ، أما جهاز الاستخبارات فكان له الدور الفاعل في قيادة قطاع الجبل ، ولم يكن يقع أي قصف أو تسلل ضدنا إلا وكنا نعرف بهما مسبقاً .

وبذلك تم التكامل والتنسيق ما بين الاسلحة : الاستخبارات تنذر ، الهندسة توقع الاصابات بالمهاجمين وتوقف الهجوم أحياناً ، المدفعية متأهبة في كل لحظة وعلى كل المحاور لوقف التقدم المعادي ، اسلحة المساندة المباشرة ، هي الأخرى ، كانت تشارك في وقف الهجومات والرد على أسلحة العدو . . . وأخيراً المقاتلون في متاريسهم يصدون كل تقدم . . .

وطبعاً لم نغفل انشاء مراكز تموين في القطاع وفي كل قرية . . .

هذا كان قبل الانسحاب الاسرائيلي الذي كان يفصل بيننا والدروز على جبهة صوفر ـ شاناي ـ بتاتر . لذلك لم نتمكن من اقامة المتاريس والخنادق والتحصينات في تلك الجبهة ، وهكذا دارت المعركة الاساسية في أيلول واضطررنا لخوضها ومواجهة الزحف الآلي والبشري المعادي ونحن على أرض عارية من التحصينات .

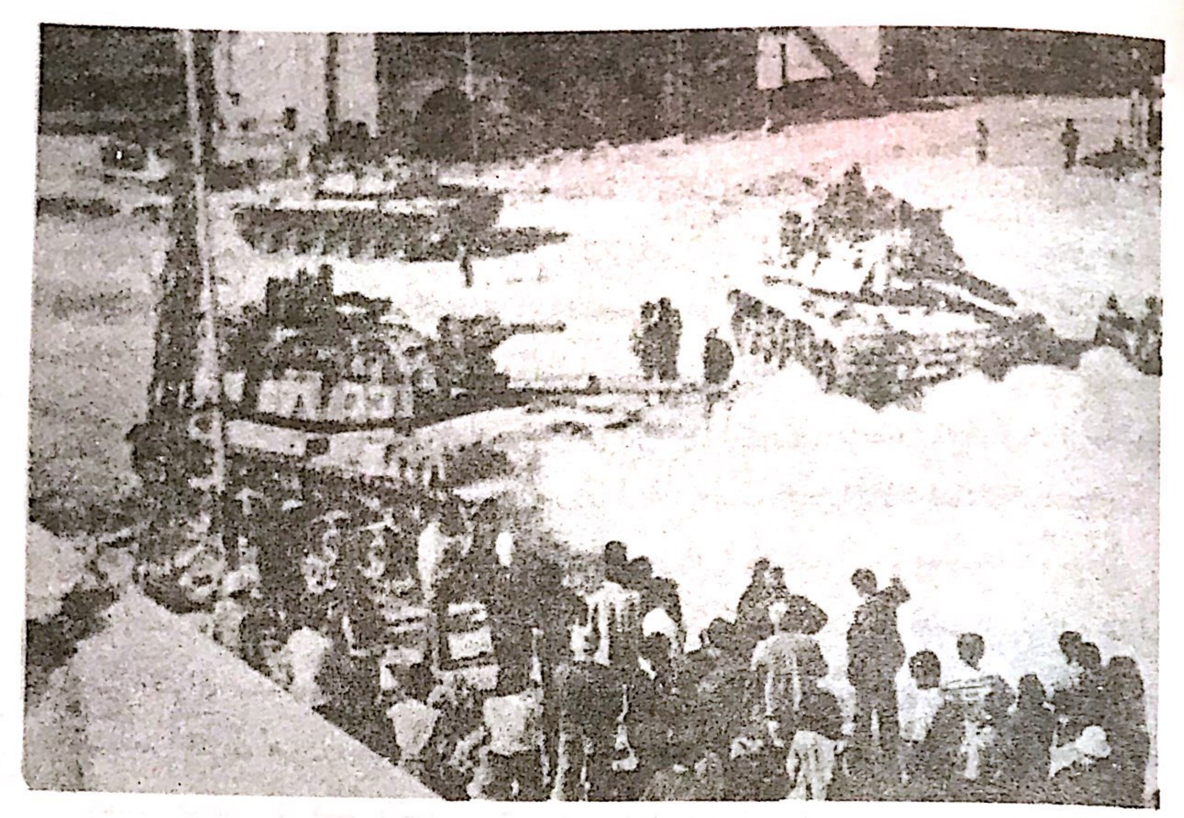
الدروز

الحضور الدرزي الكثيف ـ خلافاً للحضور المسيحي ـ أثبت وجوده وفعاليته في حرب الجبل بكل مراحلها ومعاركها . القرى الدرزية مكتظة بأهاليها من الاطفال الى الشيوخ ، والكل مجيش للعمل العسكري ومعد له . وقد أتيح لي ان أقوم بجولة في داخل تلك القرى ومراقبة منازلها وطرقاتها المزدحمة بالناس .

من هنا كانت لهم حرية المبادرة وامكانية التحرش بنا واطلاق النار علينا ، فيما نحن مشغولون بأعمال التحصين ومضطرون لاتخاذ تدابير الحيطة في اثناء العمل والتحرك . واستساغ الدروز اللعبة ، لعبة اطلاق النار علينا ، لالهائنا والمسارعة للاتصال بالاسرائيليين شاكين اليهم ، زاعمين اننا نطلق عليهم النار ، مقدمة لمباشرة القصف على مواقعنا وقرانا . وتكرر هذا الأمر خصوصاً على محور بحمدون ـ بعلشميه ، فاصبحنا كلما رن الهاتف الذي يصلنا بالاسرائيليين نعرف مسبقاً خاتمة القصة اليومية ، فننذر الشباب بوجوب اتخاذ الحيطة . قبل أن يبدأ رمزي[1] عمله.

---

(١) رمزي المسؤول الدرزي عن بعلشميه .



ـ ٢٩ نيسان، الدبابات الاسرائيلية تحاول ابعاد المتظاهرين

ـ مواجهة مع جيبات اسرائيلية تحاول تمرير مسؤولين اشتراكيين

أما في القرى الأخرى التي كانت لنا السيطرة عليها كالقرية وشاناي وبتاتر . . . فلم يكن الدروز يطلقون أي طلقة .

كانت القرى الدرزية أشبه بالحصون المنيعة ، وكان أهلوها يتابعون أعمال التحصين من دون توقف . منعناهم من شق طريق الغابون فوفر لهم الاسرائيليون الحماية فلم نتردد في قصف الاسرائيليين أنفسهم ، وقمنا بتظاهرات احتجاجاً على التحيز الاسرائيلي شملت كل مناطق الجبل . أكبر تلك التظاهرات حدثت على اوتوستراد بحمدون يوم التاسع والعشرين من نيسان ١٩٨٣ ، عندما تجمع أكثر من الف شخص واقفلوا الطريق وأبدوا استنكارهم لتسهيل الاسرائيليين فتح طريق الغابون أمام الدروز وابقاء طريق عاليه مقفلة في وجه المسيحيين ، اضافة الى عدم السماح لنا بشق طريق سرجبال .

اطفال ونساء ، شيوخ وشباب وراهبات . . . وقفوا بوجه الدبابات الاسرائيلية التي حاولت عبثاً اختراق صفوفهم ، بينما اشتعلت الطرقات بالاطارات وسدت بالحجارة والعوائق . . . جاء مساعد الجنرال أمنون «بيني» وقال لي : ?Paul, you make mistak» «بول ، انت تقترف خطأ بعملك هذا» . في هذه الاثناء مر «جيب» اسرائيلي يقل مسؤ ولين اشتراكيين وحاول الدخول وسط المتظاهرين الذين حملوا «الجيب» وكادوا يحطمونه . ولم يسوَّ الموضوع إلا في اعقاب اتصالات جرت على مستوى القيادة ، لكن شعباً ولد خلال هذه التظاهرة رفض الذهاب من هناك لأنه تذوق للمرة الاولى طعم ان يكون شعباً ، طعم الوقوف في وجه الدبابات الاسرائيلية ، وظل الجميع حتى حلول الليل .

رد الدروز على هذا التحدي بجمع نحو اربعمئة شخص وشقوا طريق الغابون بالمعاول ليلاً من دون ان ينتظروا «الركيشة» !

وبالاضافة الى كثافة السكان تميز الدروز بطريقتهم في معاملة الاسير ، يعذبونه شتى انواع العذاب ، بالسكين والنار يحفرون الصليب على جسده ثم يذبحونه أو يقطعونه هذا ما فعلوه بجرجس داوود من حارة حمزة بعد ان خطفوه وارسلوه لنا في كيس نايلون مع الاسرائيليين .

الاسرائيليون

يوم تسلمي قطاع بحمدون كانت القيادة الاسرائيلية العامة آنذاك بتسلم الجنرال أمنون في عاليه ، والكولونيل داني في بحمدون ، وهذا الاخير كان غالباً ما يقصف متاريس الدروز عندما يبدأون باطلاق النار . وقبل ذهابه الى بلاده التقيته في دير الكحلونية عند المدبر حويس رئيس

الدير ، فسألني :

«أين الشعب في بحمدون ، أليس من مسيحيين في هذه المنطقة ؟»

فاجابه المدبر :

«إنها مصيف . . . اضافة الى ان طريق عاليه مقطوعة » .

في اليوم التالي كان يستعد للعودة الى اسرائيل بعدما تسلم سواه مكانه ، وفيما كان يتصل بفتاة من القريّة مودعاً طلب اليه المدبر حويس ان يهتم بفتح طريق عاليه قبل سفره فقال له : على رئيسكم ان يفتح الطريق (Your President must open the road) بعده تسلم الكولونيل دورون بحمدون مع نائبه بوسي والمسؤول العملاني رامي . .

في اليوم الأول لتسلمه وصل دورون مع ضابط يدعى عادل وطوق مركز قيادتنا في بحمدون طالباً اليّ تسليمه أسيراً درزياً . فقلت له : لدي أوامر بألا أسلم الأسير الى أحد . عندها ثارت ثائرته وراح يهددني ، لكني كررت له القول : انت لديك أوامر بأن تأخذه وأنا معي أوامر بألا اسلمك إياه فأفعل ما تشاء . ظل دورون صامتاً على الرغم من تحريض عادل له ، وبدا عليه انه انسان طيب ، فقلت له إنني لن اسلم الأسير إلا في مقابل مسيحي كان قد خطفه الدروز .

وهذا ما حصل بالفعل إذ اتصل بعاطف سلوم الذي أحضر معه المخطوف الى القيادة الاسرائيلية وتمت عملية التبادل . ومنذ ذلك الحين نشأت علاقة جيدة مع دورون وسيئة مع عادل الذي كان يعمل ما يريده الدروز في مقابل ما يغدقون عليه من هدايا ثمينة ! أما دورون فطلب اليّ اعلامه بكل حادث ، فكان ينزل شخصياً بالدبابة مع مساعده لوقف الاشتباكات . ومرة اطلق عليه الدروز قذيفة «ب ـ ٧» . فقصفهم بالدبابات . وعندما عين «الحكيم» بيار الضاهر ليكون «الارتباط» مع الاسرائيليين قامت علاقة جيدة بين الاثنين . وكان الكولونيل دورون على مستوى عالٍ من الثقافة والخلق ، وهو يعتبر حادثة «صبرا وشاتيلا» غلطة كبيرة ، وينظر الى «الحكيم» نظرة احترام واعجاب .

وأما نائبه بوسي فكان مرحاً ، يكره الحرب ، ولكنه كيهودي يعتبر نفسه في خطر ولا بد له من خوض المعارك . همه الكبير الحد من عدد القتلى الاسرائيليين الذين يتساقطون على الطرقات وايجاد الاسلوب الذي سيشرح فيه الأمر لذويهم . كان مع عملية «سلام الجليل» لكنه ضد وجود جيش الدفاع الاسرائيلي في الشوف : إما الحسم أو الانسحاب . وهو يصف المسيحيين بأنهم «أولاد ولا يعملون بجدية . . . وعلى «الحكيم» ان يقوم بعمل ما مشترك مع اليهود» .

معظم الاسرائيليين كانوا يطرحون السؤال اياه :

لماذا لا يوجد شعب في بحمدون ؟ وفي كل الاجتماعات كانوا يرددون عبارة «لو كان بشير حياً لما كان حدث ما يحدث اليوم» .

كان الاسرائيليون يربطون كل شيء بالاتفاق مع أمين الجميل ، ويعزون كل أمر إلى عدم توقيعه اتفاق ١٧ أيار . فكنا كلما طلبنا منهم تسهيل مهمة أو تسوية مشكلة أو عدم التحيز في المعاملة . . . يقولون لنا : «انتم وأمين الجميل واحد ، فلماذا لا تطلبون ذلك منه ؟» .

كنت اشعر بان معظمهم يريد مساعدتنا ، لكن التعليمات المعطاة لهم من قياداتهم هي بعكس إرادتهم . . .

وذات يوم تمركز الدروز في بنايات قرب مطعم «المطعم» . كنا اتفقنا قبلاً مع الاسرائيليين على منع تمركز أحد فيها : سألت دورون لماذا لا يسحبونهم ، فأجابني : «لماذا لا تعطونهم وزيراً ؟ . . .» عند ذاك تركت بيارو عندهم وانصرفت ، ولم أعد أكلم أحداً منهم إلى ان جاؤوا بعد مدة الى مركزنا وطلبوا ان يشربوا القهوة عندي . . .

قصف الدروز مرة قتاله وراس الحرف بمدافع ١٦٠ ملم ، فطلبنا من مدفعية الميدان في بيروت ان تقصف القريّة . ولكن عندما بدأت مدفعيتنا بذلك قصف دورون متراساً لنا في رأس الحرف فجرح اثنان من رفاقنا ، وطلب وقف القصف فوراً . غير انني صححت للمدفعية رمايتها بحيث وجهتها الى مركز الاسرائيليين في القريّة الذي أصيب ببضع قذائف ، وطلبت الى دورون ان يوقف أولاً القصف الاشتراكي لمراكزنا ، فما كان منه إلا أن قصف مراكزهم فتوقف القصف علينا وعليهم .

وثمة حادثة ثانية زادت في توتر العلاقات بيننا وبين الاسرائيليين : فقد حصل اشتباك بين حارة حمزة وبعلشميه فتدخلت دبابة إسرائيلية وسددت مدفعها نحو دير الكحلونية واطلقت قذيفة اصابت باب كنيسة مار الياس وبالطبع لم تكن توجد هناك متاريس . عندها اتصلت بهم وقلت لهم انه أفضل لنا ان تقصف قيادتنا من أن تقصف كنيسة لنا ، فاعتذروا عن الحادثة معتبرينها حصلت خطأ .

ثم وقع اشتباك آخر قبل ايلول سقط لنا فيه شهيد على تلة شاناي وقتيل للدروز ، فوصل الاسرائيليون بالدبابات وتكلم معي أحدهم قائلاً وهو يشير الى الشهيد المسجى على الارض : معه دقيقتان لكي يغادر التلة ! . عندئذ كدت انقض عليه وأقتله لأنه لم يكن لدينا أي وسيلة لسحب رفيقنا الشهيد ، وقد فعلنا ذلك فور تمكننا من ذلك .

علاقة الحكيم بالاسرائيليين

كان «الحكيم» شخصية محترمة من الاسرائيليين ، عناصر وقيادة . معظم ضباطهم يعرفون عنه حتى قبل ان يروه . وكانوا يتصلون به كلما أرادوا وقف الاشتباكات حتى في جبهة سوق الغرب التي لم تكن تدخل في نطاق عمله . غير ان علاقة «الحكيم» بأمنون لم تكن جيدة: فالدروز كانوا دائماً موجودين عند أمنون ، وهذا الأخير كان يريد من «الحكيم» أن يحذو حذوهم في حين كان الحكيم لا يجتمع معه الا قليلاً ولعمل معين . هذه العلاقة ساءت كثيراً في أعقاب مجزرة كفرحيم - دير دوريت في الحادي والعشرين من أيار ، يومذاك قتل الدروز تسعة من شباب دير دوريت فاحتجزنا ستين درزياً من بعقلين وقتل منهم أربعة عشر، وعقب ذلك موجة خطف عمت الجبل والمتن .

على الأثر اجتمع «الحكيم» بأمنون ومعه اللوائح بالقتلى والمفقودين ، فيما كانت الأخبار تصل تباعاً عن قتلى ومخطوفين جدد ، مما جعل جو الاجتماع متوتراً .

سأل أمنون «الحكيم» :

ـ ماذا تفعلون إذا انسحبنا من الجبل ؟

أجابه «الحكيم» :

ـ هذا يتوقف على التوقيت ، فإذا انسحبتم في هذا الوقت تحدث «مسادا»[1]. أما بعد سنة فالأمر يختلف .

اقتراح مشروع استراتيجي

جل ما كان يعمله الحكيم مع الاسرائيليين ، من موقعه كقائد للجبل ، هو ترتيب الأمور ، وتطويق ذيول الأحداث التي تقع ، اضافة الى تسهيل عملية التنقل من الجبل واليه . ولكن كانت

---

(١) «Vers l'an 70 après l'apparition du Christ et au Christianisme, l'emperreur romain Titus, réputé pour sa «grande bonté» prit la tête d'une expédition «pacificatrice» Contre le peuple d'Israël en révolte, Jérusalem, capitale d'Israël, fut prise, le temple de Davide détruit et le peuple «élu» dispersé à travers le monde. La bataille de la fortesse de MASSADA, dans la région montagneuse et désertique de la mer morte où, après un siège très long, les derniers survivants assoifés et affamés préférèrent à la rédition le suicide collectif, fut l'acte suprême et symbolique de la résistance du peuple juif face à la domination romaine». Le conflit judeio — arab. P. 15

للحكيم طروحاته الاستراتيجية. فعندما سأله مرة الجنرال ماتان الذي حل محل أمنون شو المطلوب من دولة اسرائيل ؟

رد «الحكيم» : «هذه منطقة مسيحية وستبقى مسيحية» .

المشكلة الكبرى هي في عدم وجود طريق ، وهناك حلان لهذه المشكلة : إما معركة لفتح الطريق، وإما حل استراتيجي يقضي باقامة لواء مدرع في المنطقة تتعهدون انتم بالتجهيز والتدريب ، وفي المقابل نتعهد نحن باقامة منطقة عازلة في عين زحلتا حتى الدامور تدعمونها مثل منطقة سعد حداد .

ماتان : هل تنجح ؟

الحكيم : «لو سعد حداد رجال كان يجب ان يكون في طرابلس» .

ماتان : اريد خطيطة لذلك . . .

وعلى الفور قدم «الحكيم» كل ما يتعلق بالمشروع ، الذي نقله ماتان الى أمير دروري وموشي ليفي . وكان الحكيم من خلال هذا الطرح يريد استكشاف النوايا الاسرائيلية . وسرعان ما جاء الجواب الاسرائيلي سلباً بحجة ان القيادة الاسرائيلية تملك تصوراً مختلفاً .

هذا التصور المختلف الذي تذرعت به القيادة الاسرائيلية تبين في ما بعد أنه مشروع درزي مماثل تقريباً لمشروع «الحكيم» ويقضي باقامة منطقة عازلة ، ولكن ، درزية !

كان الاسرائيليون ينظرون الينا كأقلية في الجبل مقابل الكثافة الدرزية ويعتقدون أنهم يستطيعون اقامة منطقة عازلة من دون لواء مدرعات اسرائيلي ، بل عن طريق الدروز . وكانوا واثقين من أنهم سيربحون ، وبالفعل فقد ربحوا ، ونفذ المشروع الدرزي في اقامة منطقة عازلة بين الجيش الاسرائيلي وبين السوريين والفلسطينيين . . .

لذلك دأب الاسرائيليون على مساعدة الدروز . وفي ما يلي مثل على تلك المساعدة : كنا في بحمدون مع بوسي (نائب الكولونيل دورون) حين مر جيب اسرائيلي فيه الميجر عادل ووراءه كميون يتجه من القريّة الى عاليه . كان ذلك بعد الاتفاق الذي تم بازالة المظاهر المسلحة وغيرها . . . سأل بوسي عادل : «هل يوجد شيء في الكميون ؟» قال : «لا أبداً .» ولكن بيارو طلب تفتيش الكميون . فتحه بوسي فوجده مليئاً بالاسلحة فاحتجزه عنده ولكنهم سلموه للدروز عندما انسحبوا من الجبل .

جولة القائد فادي فرام في الجبل

فيما كانت ورشة التحدي الكبير تعم كل مكان في الجبل ، من دون ان تقوى صواريخ الغراد على منع شق أي طريق بين قرية وقرية ، أو وقف العمل في انشاء جسر . . . ازداد عدد المقاتلين زيادة ملحوظة ، وبدأت رسائل ابناء الجبل تنقل صورة الواقع الى ذويهم في بيروت ، وكانت رسائل الشاعر راجي عشقوتي خير دليل على التطور النوعي والسريع الذي شهدته المنطقة في مدة قصيرة وفي مختلف الميادين العسكرية والاقتصادية والتربوية والحياتية . . .

وعكست هذه الرسائل تخوف الدروز حيال ما يجري : «الدرزي يهيىء نفسه لمعركة مع قواتنا ويصعب عليه أمر المواجهة يوماً بعد يوم بسبب التنظيم والانضباط اللذين يشهدهما القطاع الواقع تحت أمرة الدكتور جعجع[1] .

أما التقرير التالي الذي ورد من منطقة عاليه الى رئاسة الاركان من الاستاذ أسعد أبو رعد المسؤول المدني فإنه ينقل صورة واضحة عن التطور الذي حصل في المنطقة هذا نصه :

حضرة رئيس الاركان

تقرير عن الأوضاع المدنية لمنطقة عاليه العليا :

أولاً : المدارس : اصبح لدينا حتى تاريخه أربع مدارس تعمل وفقاً للاصول وهي :

١ ـ بحمدون المحطة : راهبات العائلة المقدسة ٣٠٠ تلميذ و١٨ استاذاً .

٢ ـ بحمدون الضيعة : تكميلية رسمية ١٠٨ تلاميذ و٧ اساتذة .

٣ ـ بحمدون الضيعة : الراهبات الانطونيات ١٠٠ تلميذ و٨ معلمات وراهبتين .

٤ ـ المنصورية التعزانية الراهبات الانطونيات ١٠٥ تلاميذ و٨ معلمات وراهبتين .

٥ ـ مدرسة رشميا : الراهبات الانطونيات تبدأ في خلال اسبوع .

ثانياً : الخدمات الاجتماعية :

كشفت لجنة من موظفي الاسكان على المنازل المتضررة وتمكن نحو ٧٥ معوزاً ، من الاستحصال على هبات قيمة الواحدة خمسة آلاف ليرة .

ـ الطرقات : استحصلنا على اعتماد بقيمة ٣٨٠ الف ليرة لنعيد تأهيل طريق مجدل المعوش ، والعمل يبدأ في خلال اسبوع . واستحصلنا على ٣ آلاف طن اسفلت لطريق بحمدون رشميا ، أما

---

(١) ـ من رسالة راجي عشقوتي الى القائد ٧/ ٤/ ٨٣ .



ـ جولة القائد في الجبل ـ بيت الدين ـ



ـ وفي دير مار مارون ـ المعوش

طريق رشميا بسرين حبرمون عين الحلزون ففي صدد ايجاد اعتماد لها .

ثالثاً : الوضع العام :

ازدياد في عودة اهالي القرى لفتح المدارس والخلاصة . . . ارتياح ملموس لدى كافة الاهالي والأمور كلها سائرة في شهكل حسن .

٨٣/٤/٢١

كل هذه الاجواء المشجعه دفعت بالقائد فادي فرام ، يرافقه رئيس الاركان العامة فؤاد ابو ناضر وبعض المسؤولين الى القيام بجولة[1] شاملة في منطقة الجبل ، استقبلته في بحمدون مع الحكيم حيث مر على المكان الذي كنا ندرب الشباب فيه ، وتابع جولته الى باقي مناطق الجبل . وقد كتب يومها ، ايضاً ، راجي عشقوتي :

ـ «لقد زرتنا في الشوف ، انها مغامرة ، تحركت الاوساط الدرزية واستنكرت هذا التحدي باستنفار استمر يومين ، وفي بعض المناطق ، كفرحيم مثلاً ، انتشر مسلحون اشتراكيون بلباس القتال ، واندهشنا لعلمنا بأن المسؤولين الاسرائيليين يمنعون مثل هذه المظاهر .

مع محبتي : راجي عشقوتي»

(١) زيارة فادي فرام في ٢٩/ ٣/ ٨٣ .

الانذار الثاني

رافق تسلم الجيش «بيروت الكبرى» في ١٥ شباط ١٩٨٣ تعاقب سلسلة احداث في الجبل . وقد صرح الاستاذ كريم بقرادوني في ٢٥ شباط أن لا معنى لبيروت الكبرى من دون الجبل ، ذلك ان أحداث الجبل ظلت تطول بيروت فتتساقط القذائف من المتن الأعلى على المناطق الشرقية .

واستمرت السياسة الاسرائيلية محافظة على ابقاء التوتر الكبير في الجبل ، وموجهة انذارها الثاني الى الحكم اللبناني والى المسيحيين . وفي ٦ أيار ، وبعد أحداث الحي الغربي في عاليه في ٧ شباط، أقدمت القوات الاسرائيلية على تسهيل اكبر عملية هجوم على بلدة المطلة شنها مئات من الدروز تألبوا من مختلف قرى الشوف وعاليه والمتن . . . وشهدت المطلة وتلال حصروت يومذاك أعنف المعارك والهجمات ، والهجمات المضادة ، استطاعت بنتيجتها القوات اللبنانية توجيه ضربة قاسية للدروز الذين سقط لهم ما لا يقل عن أربعين قتيلاً عدا الجرحى والأسرى .

وفيما كان الدروز يهاجمون المطلة ، ومع حلول الليل ، هاجمت مجموعات كبيرة منهم عين الجديدة مستهدفة حي «الخان» هناك الشبيه بالحي الغربي في عاليه . غير أن نصيب الدروز في هذه المعركة لم يكن بأفضل من سواها فاستطاع شبابنا في عين الجديدة بقيادة «مارون» أن ينزلوا بالمهاجمين أفدح الخسائر بحيث ظلت جثثهم حتى ظهر اليوم الثاني في أرض المعركة دون ان يتمكنوا من سحبها . في هذه الاثناء كان الاسرائيليون يتفرجون وعندما طلب منهم هشام ناصر الدين سحب الجثث قال له «بوسي» : «يظهر ان خطتك لم تمشِ يا عزيزي» .

. . . ولم يكف الاسرائيليون ، حتى ذلك الحين ، عن مواجهتنا بالاسئلة المعهودة : لماذا لا يوجد شعب في بحمدون ؟

ماذا ستفعلون إذا انسحبنا من الجبل ؟

لماذا لا تطلبون من أمين الجميل ان يفعل لكم ما تريدون ان نفعله لكم نحن ؟

وقبل ان يعود دورون الى اسرائيل تكلم مع بيارو ووجه له «نصيحة» ذات مدلول يتخطى إطار علاقة المودة التي كانت تربط بين الرجلين : وخلاصة النصيحة ان القائد الاسرائيلي تمنى على

بيارو ان يترك المنطقة ويبحث عن مستقبله في مكان آخر غير الجبل قبل فوات الأوان . ومما قاله : «ان الدروز أقوى وسيحتلون المنطقة ... تذكر كلامي ، وأعمل بنصيحتي ...»

كذلك طلب مني «رامي» مساعد دورون الشيء إياه ، وقال لي مودعاً : أتمنى ان أراك ثانية قطعة واحدة ... (I wish to see you one piece)

وهذه «النصيحة» كانت أيضاً هدية الكولونيل أميرام ومساعده أيال اللذين حلا محل دورون ورامي !...

وكانت هذه النصائح ، اضافة الى جواب ماتان عن المشروع الدرزي ، كافية لتكوين صورة واضحة عما سيؤول إليه الوضع في الجبل .

شارون في عين تريز

في مطلع الصيف قام شارون بجولة على الجبل ، مرَّ على عين تريز مع دروري وامنون ، طلب مني الحكيم أن أحضر الاجتماع :

بعد ان رحب «الحكيم» بشارون قال هذا الأخير : «سنة مرت ، وانظر أين نحن يا سمير . . .»

فقال «الحكيم» : الحق عليكم ، راهنتم على شخص وليس على شعب» . ثم حاول اقناع شارون بعقد اجتماع عمل لكنني شعرت بأن الوزير الاسرائيلي بات في وضع يائس ، خصوصاً عندما قال :

«هذا شغل أولاد ، ما الذي يقوم به المسيحيون اليوم . لازم حدا يوقف ويقول نحن كشعب نريد هكذا . . . حددوا مواقفكم وليكن أحد منكم رجلاً . . .» .

كانت تلك المرة الأولى التي يلتقي فيها شارون «الحكيم» ولكن بدا أن هذا اللقاء قد حصل بعد فوات الأوان . كذلك مر أيضاً وزير الدفاع موشي ارينز على عين تريز والتقى «الحكيم» ولكن مصير الجبل كان قد كتب ، وما كان «الحكيم» يحاول ان يفعله من موقعه يومذاك هو ما كان يجب ان يتحقق منذ أكثر من سنة ومن مواقع الذين يعتبرون انفسهم قادة الشعب المسيحي . لذلك بدا ان ما يسعى «الحكيم» الى تحقيقه هو كسب بعض الوقت . فدورة الجبل كان يلزمها أربع سنوات لكي تصل الى الاكتفاء الذاتي عسكرياً ومدنياً ، وبالتالي ليتمكن الجبل من مواجهة عشرات السنين من الاعداد الدرزي للحرب المؤكدة . وهذا ما يفسر رده على الاسرائيليين عندما يسألونه عما سيفعل في حال انسحابهم إذ كان يقول : «ذلك يختلف بحسب التوقيت» .

وجاء شهر تموز ليحمل الدليل القاطع على ان الانسحاب الاسرائيلي لن يتعدى أشهراً ثلاثة في أفضل الاحتمالات . وقد وردت تأكيدات على هذا الانسحاب في الصحف المحلية والأجنبية ، ووسائل الاعلام ، والمصادر الدبلوماسية العربية والاجنبية . . . غير ان «الحكم» أصر على سياسته الأميركية مما دفع الرئيس شمعون الى التساؤ ل (٩ تموز) : «هل نحصر آمالنا بتدخل اميركي لم يكتب له النجاح» ؟

في الرابع عشر من تموز حددت اسرائيل نهر الأولي خطاً لاعادة توزيع قواتها ، في محاولة منها لأقناع من لم يقتنع بعد بجدية قرار الانسحاب .

ثم اعقبت ذلك بتأكيد أكثر جدية عندما اعترضت تظاهرة درزية بعثة من ضباط الجيش في عاليه كانت عائدة من استكشاف المنطقة فسقط قتيلان و١٨ جريحاً .

الوضع في الجبل في مطلع آب

يمكن تلخيص الوضع الذي كان سائداً في الجبل ، في مطلع آب ، على الشكل الآتي :

أولاً : الوضع العسكري :

قسم الجبل الى قطاعات عدة ترتبط بعين تريز مقر قيادة «الحكيم» .

وكان «الحكيم» يبدأ نهاره في الساعة التاسعة صباحاً ، يعطي التوجيهات الضرورية وبرنامج العمل اليومي ، ومن ثم ينطلق الى الجبهات ليشرف على التنفيذ عن كثب .

في المساء يجتمع بالمسؤولين عن الاجهزة العسكرية والادارية لتقويم العمل ووضع الدراسات ، ثم يتلو التقارير الأمنية ويتابع التحضير ، وينام في الساعة الثالثة صباحاً ، وأحياناً في السادسة .

أما عند وقوع اشتباكات فكان يشرف على إدارتها مباشرة ، ويكفي ان يسمع الشباب صوته عبر الجهاز يعطي التوجيهات بكل هدوء وحزم ، وأحياناً بروح النكتة . . . حتى يطمئنوا ويزدادوا اندفاعاً وثقة .

وطوال ثمانية أشهر لم ينزل «الحكيم» الى بيروت سوى بضع مرات وذلك بهدف ترتيب وضع الجبهة الشمالية واجراء اتصالات هامة . وقد اضطر ذات مرة الى النزول سيراً على القدمين عبر طريق سرجبال ـ الدبية إذ كانت طريق عاليه مقطوعة .

عندما كان أحدنا يدخل مكتب «الحكيم» في عين تريز سرعان ما يشعر بأنه خارج الجبل : على الحائط صورة كبيرة لوجه السيدة العذراء وقد ارتفع الصليب على امتداد عنقها ، فيما يشيع في الغرفة جو من الدفء والطمأنينة رغم صقيع الثلج أو حرارة الاشتباكات . . .

أما القطاعات العسكرية فكانت كما يلي :

قطاع بحمدون : تسلمته انا ، وكانت تتركز فيه معظم الأحيان المواجهة العسكرية مع عاليه والمتن والجرد الدرزي .

ـ قطاع رشميا (غسان منسى) .

ـ قطاع كفرقطرا (خالد ابو خالد) .

ـ قطاع المعوش (ميلاد علماوي) .

ـ قطاع الودايا (سهيل منسى) .

ـ ثكنة بيت الدين (جورج ابو سمرا) .

ـ دير القمر (روبير فرحات) وكان لها وضع خاص . . .

ـ دير دوريت (فهد جرجس) .

كما تسلم تلة كفرنبرخ ميلاد رحمه فيما تسلّم معاصر بيت الدين جوزيف الحاج .

وكان يساعد «الحكيم» في عين تريز كل من نادر سكر (يعاون «الحكيم» وينوب عنه) وجورج انطون (ادارة ولوجستية) غسان (استخبارات)، بيار عبيد (مدفعية) ، اليونور فضول (مساندة) ، انطوان عنداري (صواريخ) ، قزحيا كساب(هندسة)، قبلان أبي رعد وجيمي وخازن (الاحتياط والتدريب) شحاده شواح (العمليات) جان عاقوري (العسكر الدائم ونخيم ديرسير) الاستاذ موسى (الشعبة الخامسة) الاستاذ اميل رحمه وحبيب رحمه (العلاقات العامة) . . . كما ساعد «الحكيم» الدكتور جورج سعاده في اقليم الشوف والاستاذ اسعد ابي رعد في اقليم عاليه . . .

وتقضي الأمانة والانصاف بالقول ان كل هذه الاجهزة قد انجزت المهام المنوطة بها على الوجه الأمثل وفي حدود الامكانات المتوافرة والمهلة الزمنية المحدودة جداً . وكان بنتيجة ذلك ان أصبحت الثقة بالمؤسسة مطلقة وبات زمام الموقف العسكري في يدنا بعد سلسلة ردود حاسمة على كل اعتداء استهدف مراكزنا وقرانا . وعرف الدروز والاسرائيليون على السواء ان ردة فعلنا على كل عدوان ستكون قاسية جداً . وجاءت حوادث كفرحيم ودير دوريت لتؤكد ذلك : فقد خطف الدروز اشخاصاً من دير دوريت على طريق كفرحيم وذبحوهم ، فأعتقلنا عدداً من الدروز على طريق دير دوريت بعقلين . وعندما قتل الدروز ثلاثة من شبابنا قتلنا منهم اربعة عشر ، وتبين فيما بعد أنهم قتلوا لنا تسعة . وعرف الدروز بعد ذلك ان زمن اعتداءاتهم التي لا رد عليها قد ولى الى غير عودة .

في هذا الوقت كانت حساباتنا قائمة على ان الدروز قد حشدوا منذ العام ١٩٧٥ أقصى ما بامكانهم حشده وهو ما استطعنا اليوم مواجهته ، وما تغلبنا عليه في معركة المطلة ، لذلك علينا استكمال التعبئة والتدريب والاعمار في الجبل لنستطيع الانتقال من مرحلة التفوق عليهم الى القيام

بعمل هجومي لفتح الطريق الى بيروت . من أجل ذلك أصبح نهار العمل عندنا ثماني عشرة ساعة ، والليل ست ساعات فقط ، واحياناً ثلاث ساعات غير كاملة . وكانت متعتي أنني أرى كل نتيجة ذلك ترتسم ساعة فساعة ويوماً بعد يوم على جغرافية الجبل وفي تاريخ شعبه .

هكذا أصبح كل الجبل عاملاً بحيث بات عدد المتفرغين كما يأتي :

كانون الثاني : ٢٥٠ ، شباط : ٣٠٠ ، اذار : ٦٠٠ ، نيسان : ١٥٠٠ ، أيار : ١٧٣٥ ، حزيران : ١٩٠٠ ، تموز : ٢٠٢٢ ، آب : ٢٣٠٠ .

وإذا عرفنا ان الذين تهجروا الى دير القمر لم يكن عددهم يفوق السبعة آلاف ندرك ان الجبل كله كان يعمل في تلك الورشة العنفوانية ما عدا الاطفال والعجز . . .

ثانياً : البنية التحتية :

أ ـ الاتصالات :

يمكن تلخيص الوضع الذي كان قائماً قبل صعودنا الى الجبل بما يلي : انقطاع الاتصالات كلياً بين القرى والبلدات في مختلف مناطق الجبل وبيروت من جهة ومع بعضها بعضاً من جهة أخرى . وسبب ذلك عائد الى النظام القائم لوزارة البريد والبرق والهاتف القاضي بتمرير كل الاتصالات عبر البلدات الدرزية ، وهذا ما تسبب في انقطاع الاتصال بصورة نهائية ، مع الاشارة الى ان هناك قرى عديدة نائية لم تشملها أصلاً خريطة الاتصالات في الدولة .

أما بعد صعودنا الى الجبل فقد تم تأمين الاتصالات بين مختلف القرى وربطها مباشرة ببيروت وباقي المناطق اللبنانية عبر خطوط لاسلكية حديثة ، فيما ربط بعضها ببعض بواسطة خطوط سلكية واجهزة لاسلكية بالطريقة الفضلى الممكنة . وعلى سبيل المثال تأمنت الاتصالات ما بين سرجبال ، راس الحرف ، قتاله ، عين الجديدة ، المريجات ، عين الحلزون ، وذلك باستحداث مركز رئيس للاتصالات في رويسة النعمان .

ب ـ الطرق والانشاءات :

نظراً لتعرض الكثيرين من أبناء الجبل المسيحيين للقتل والخطف والقنص في اثناء تنقلهم من بلدة الى أخرى ، كان من المفترض سلوك طرق أخرى لتفادي هذه الخسائر ولتأمين الحاجيات الملحة لكل قرية مع أبنائها . لذلك جرى شق بعض الطرق الحيوية بين بلدة وأخرى ساهمت في شكل فعلي وأكيد في انسحاب الأهالي في خلال المعركة الأخيرة التي وقعت في الجبل .

وقد يكون في الجدول التالي ما يكفي لاعطاء فكرة عن الطرق التي استحدثت وظروف العمل فيها ، والفوائد التي جناها منها الأهالي والمقاتلون على السواء :

اسم الطريق	طولها	ملاحظات
١ ـ عين الجديدة ـ بحمدون	٣ كلم	
٢ ـ الرجمة ـ المنصورية	٣ كلم	سهلت انسحاب أهالي الرجمة ـ بخشتيه ـ عين الجديدة .
٣ ـ المنصورية ـ الرويسة (رقم ١)	٤ كلم	سهلت انسحاب أهالي قطاع بحمدون ـ الكحلونية .
٤ ـ المنصورية ـ الرويسة (رقم ٢)	٣ كلم	مكّنت أهالي قطاع بحمدون ـ الكحلونية من الانسحاب .
٥ ـ المنصورية ـ مرج شرتون	٥ كلم	صاروخ من نوع صقر استهدف الجرافة ، أصابها ولم ينفجر .
٦ ـ بسرين ـ حبرون ـ عين الحلزون	٨ كلم	سهلت انسحاب أهالي عين الحلزون ـ حبرمون .
٧ ـ جسر عميق ـ سلفايا	٣ كلم	
٨ ـ سلفايا ـ رمحالا	٢ كلم	سهلت انسحاب أهالي دفون ورمحالا
٩ ـ رمحالا ـ دفون	٣ كلم	سهلت انسحاب أهالي دفون
١٠ ـ المريجات ـ المعوش	٢ كلم	
١١ ـ مار مارون المعوش ـ جسر عميق	٥ كلم	سهلت انسحاب أهالي قطاع المعوش كافة
١٢ ـ وادي الست ـ جسر عميق	٥ كلم	سهلت انسحاب أهالي المطلة ـ وادي الست ـ الفواره ـ بريح
١٣ ـ الفوارة ـ وادي الست	١ كلم	
١٤ ـ مجد المعوش ـ شوريت	٢ كلم	سهلت انسحاب أهالي شوريت
١٥ ـ عميق ـ كفرقطرة	٢,٥ كلم	سهلت انسحاب أهالي قطاع رشميا ـ بحمدون المعوش .
١٦ ـ كفرقطرة ـ دير القمر	٤ كلم	
١٧ ـ كفرقطرة ـ معاصر بيت الدين	٤ كلم	
١٨ ـ المعاصر ـ دير دوريت	٥ كلم	
١٩ ـ المعاصر ـ ضهور بيت الدين	٢ كلم	
٢٠ ـ دير دوريت ـ الودايا	١ كلم	لم نستطع إكمالها بسبب قربها من الدروز

اضافة الى انشاء الجسور (أحدها يربط سلفايا بر محالا طوله ٨ أمتار وتكاليفه مئتا الف ليرة) وتوزيع لوحات دليل السائق على مفترقات الطرق ، تسلمت المؤسسة التعهدات من الدولة بدل المتعهدين الرسميين والمحليين لتسريع التنفيذ ومنها تعبيد طريقي مار مارون المعوش - رشميا ، وبحمدون - عين تريز .

كما أمنت المعدات الضرورية لتوفير كل الحاجات من البحص والرمل والزفت وسواها ، وتأمين مشغل لصيانة الآليات .

ثالثاً : الحاجيات الحياتية :

على الصعد الحياتية تم شراء المواسم التموينية من الأهالي ، بهدف اعادة الحركة الاقتصادية وتنشيط التجارة في الجبل ، بحيث أصبحت كل المواد المنتجة محلياً تباع في داخل المنطقة الجبلية ويسوق فائض الى بيروت بطرق سرية . بالمقابل كانت المواد التموينية الأولية غير المتوافرة في الجبل تستورد من المناطق الشرقية ، وخصوصاً المحروقات . كما زودت بعض المناطق بآليات عسكرية لتأمين النقليات .

في ما خص شؤون الاستشفاء تم تأمين المستشفيات الآتية :

- مستشفى الصليب (رئيسي) في دير القمر يعالج كافة الحالات .

- مستشفى ميداني في بحمدون ، يعالج الحالات المستعجلة مع اسعافات أولية .

- مستشفى استحدث في بحمدون الضيعة ، يعالج كل الحالات (مشابه لمستشفى دير القمر) وكان من المفترض البدء باستعماله حيث انتهينا من انشائه قبل وقت قصير من بدء المعركة مع عيادة لطب الاسنان .

- عيادة لطب الاسنان في دير القمر .

وقبل ذلك لم يكن هناك ما يمكن الاعتماد عليه حتى في قضايا الاسعافات الأولية وتدارك الحالات الصحية الطارئة .

الفرصة الأخيرة

في ما يشبه الانذار التحذيري الذي يسبق لحظة الانفجار المدمر أعلن «الحكيم» في الرابع من آب ان القوات اللبنانية لن تنسحب من الجبل مرتكزاً بذلك على كلام الشيخ بيار له : «انا أقول لك متى تنسحب من الجبل» .

وعن حل المسألة اللبنانية دعا الى اعتماد حل جذري عبر تغيير شامل للبنية الاجتماعية في لبنان ، وأشار الى ان هذا الحل قد يسمى اتحاداً فدرالياً أو كونفدرالياً ، أو لامركزياً ، أو صيغة جديدة لتحالف ١٩٤٣ . . .

وقال الحكيم : «ان بلوغ هذا الهدف يقتضي تنظيم عمليات انتقال للسكان وهذا أفضل من ترك الناس يتقاتلون في ما بينهم أو تسيطر فئة منهم على أخرى ، فأسباب الصراع عميقة والدروز يرون ان حقهم حكم هذا الجبل» . . .

ومن سخرية القدر ان يكون كلام «الحكيم» هذا قد قوبل برفض شامل آنذاك ! .

وهكذا بدأ التسارع نحو الهاوية وكأنه رسالة مقروءة في المواقف المعلنة والخفية .

موقف الحكم اللبناني :

لقد وضع الحكم اللبناني كل أوراقه في يد الولايات المتحدة الاميركية ، وقرر ملء الفراغ الذي سيحدثه الانسحاب الاسرائيلي من الجبل من دون التنسيق مع اسرائيل . . . كما انه أهمل المذكرة الدرزية التي وجهت اليه يومذاك ورفض تسلمها .

موقف اسرائيل :

ان طموح اسرائيل ، دون شك ، كان أبعد بكثير من الاتفاق الذي توصلت اليه مع لبنان في السابع عشر من أيار ، وعلى رغم ذلك فان الحكم لم يوقع هذا الاتفاق . وقد حاولت اسرائيل ، عبر الزعماء المسيحيين ، تغيير هذا الموقف اللبناني إلا أنها لم تفلح في ذلك .

وكانت الفرصة الأخيرة في السادس من آب عندما زار شارون بيروت والتقى زعماء مسيحيين

ولا سيما منهم الشيخ بيار الجميل . وقد قال شارون[1] :

«قد تكون زيارتي هذه زيارة الفرصة الاخيرة جئت أنذركم بأننا سنترك قريباً الشوف ، لا استطيع أن أقول متى ولكن قريباً . منذ ثمانية شهور ، وفي خلال لقائنا في كانون الثاني نبهتكم . انكم تعلقون آمالاً كبيرة على الولايات المتحدة ، وتتلقون منها كل ما يجب أن تفعلوه» .

- «ولكنكم مثلنا حلفاء للاميركيين» ، أجاب بيار الجميل ، «انتم بحاجة اليهم مثلنا» .

- «هذا صحيح ولكن هناك فرق بيننا» ، أجاب شارون «وهو حتى ننجز أعمالنا ، لم نتكل ابداً سوى على أنفسنا . التضامن والتنسيق مع واشنطن ، نعم . التبعية بكل شيء ، كلا . لان الاميركيين يبحثون دائماً عن حلول اميركية لمشاكلهم مع السوريين ، السعوديين ، الروس ، الفلسطينيين» . . .

«تبقى، أضاف شارون لبيار الجميل ، امكانية أخرى لتقريب وجهات النظر بين الحكم الجديد واسرائيل عليكم قبول اتفاق السلام بين البلدين ، يجب أن تسلكوا طريق اورشليم ، توقفوا عن ادارة ظهوركم لنا . حتى الآن وزراؤكم لم يتوقفوا عن انتقادنا . يضعوننا في الصف الواحد مع السوريين ، نحن محتلون غزاة! نحن لا نطلب الشيء الكثير : على الأقل مسؤول مسيحي يظهر علناً معرفته لكل ما فعلناه لاجل استقلالكم» .

وطلب شارون ايضاً من الرئيس امين الجميل اعلاناً صريحاً بالاحتلال السوري ودعوة الرئيس الاسد لسحب جيشه .

«تطلبون بعد ذلك انتشار القوات الدولية بين الخطوط الاسرائيلية والسورية ، بطريقة ما لاحتواء قوات دمشق» .

قميص بيضاء وربطة عنق سوداء ، ما زال يرتديهما حداداً على ابنه بشير ، بيار الجميل بدا مرتاباً. يبدو له الشك بأن عرض شارون السريع سيكون له أية فرصة للنجاح من جهة أمين الجميل .

الرئيس الشاب قال لوالده : «ليذهب الاسرائيليون اذا كانوا يصرون . الاميركيون والفرنسيون يحلون مكانهم في الشوف الى الوقت الذي نحرك فيه كل جيشنا . ولكن ، في الواقع لا اعتقد بأن الاسرائيليين سيرحلون» . . .

- «كل ما استطيع أن أؤكد لك» ، قال شارون ، «هو انه قد بقي لكم عدة ايام ، ربما عدة ساعات ، لانتهاز هذه الفرصة الاخيرة . كل ما أطلبه هو يد ممدودة» .

---

(1) - مجلة «باري ماتش» الفرنسية .

لم يكن هناك من يد ممدودة . آل الجميل لم يصدقوا بأنه سيكون هناك انسحاب اسرائيلي .

ـ «لا تتركونا نسقط» ، قال بيار الجميل . «يوماً ما ستكونون بحاجة لصنع السلام مع العرب ، ستحتاجون الى الوسطاء . لن تجدوا أفضل منا للعب دور الوسيط» .

حركة يائسة صدرت عن شارون . لم يكن يستطيع التفسير لمكلمه بأن القرارات الخطيرة لم تعد تتعلق به وبأن الاكثرية في الحكومة الاسرائيلية خاب أملها في المسيحيين الموارنة وأصبحوا يعتمدون على الدروز . . .

في هذا اليوم من آب ١٩٨٣ ، لعب أريل شارون ورقته الاخيرة لمصلحة الكتائب . وقبل أن يترك بيروت زار البيت المركزي القديم لبشير الجميل لأول مرة منذ انفجار الرابع عشر من ايلول الذي قضى على الرئيس اللبناني الشاب . لقد أزيل الخراب وبدأ البناء . هناك كانت زيارة شارون في المكان المحدد الذي أصيبت فيه سياسته المسيحية بالضربة القاضية» .

. . بعد بضعة أيام كان جيش الدفاع الاسرائيلي يبدأ تحركاته تمهيداً لمغادرة الشوف قبيل بدء الانسحاب الاسرائيلي الكبير . . .

بعد شارون أرينز يحاول . . .

في غضون ذلك ، وقبل ان تصبح «الكارثة» أمراً محتوماً جاء ارينـز في محاولـة أخيرة ـ في السادس عشر من آب ـ لعله ينجح في مقابلة رئيس الجمهورية وترتيب الأمور معه . وقد كان مستعداً لتأخير موضوع الانسحاب من الجبل إذا ما طلب منه ذلك الرئيس الجميل . غير ان الرئيس رفض مقابلة وزير الدفاع الاسرائيلي فتوجه هذا الأخير الى الشيخ بيار الجميل حيث اجتمعا فترة وخرجا ، فقال الشيخ بيار لقائد القوات اللبنانية آنذاك «مش معقول . . . شو منقدر نتفاهم مع ارينز ؟ وهذا كان أفضل اجتماع» .

أما ارينز فقال لقائد القوات : «الاجتماع كان كارثة . . . كارثة . . . كارثة . . .»[1] .

ثم عقد الوزير الاسرائيلي مؤتمراً صحفياً في اليرزة وأعلن خلاله :

ـ ان الاسرائيليين سينسحبون الى نهر الأولي في مدة أقصاها الخامس عشر من ايلول .

ـ ان عدم التوصل الى ما يتيح دخول الجيش سيؤدي الى فراغ أمني خطير .

ـ ان اسرائيل لن تتخلى عن الدروز في لبنان .

ـ ان على السلطة البدء بحل مشكلة الجبل بلقاء للاطراف المتنازعين .

وتلاحقت الانذارات الاسرائيلية الواحد تلو الآخر ، فحذر ارينز (في ١٨ آب) من حرب أهلية ، ملقياً تبعة تلك الحرب المتوقعة على «الحكومة اللبنانية التي ترفض التنسيق» مع الاسرائيليين في عملية الانسحاب من الجبل .

وكان الدروز على أتم الاستعداد ليجيروا تطورات السياسة الاسرائيلية ، وتدهور العلاقة الاسرائيلية ـ المسيحية لمصلحتهم ، فرد وليد جنبلاط على تحية العطف الاسرائيلي على دروز لبنان بمثلها ، وأشار في تصريح له (في ٢٢ آب) الى ان الاسرائيليين يهتمون بوجود اربعة آلاف درزي في جيشهم . . .

(١) قائد القوات .

والكشف عن هذا «الغزل» الاسرائيلي الدرزي كان قد بدأ قبل مدة ، وفي هذا الصدد كتبت جريدة ها آرتس الاسرائيلية في أوائل آب :

«من جهة جنبلاط يؤيد سوريا واعداء اسرائيل ، ومن الجهة الاخرى هناك دروز كثيرون خصوصاً من بين اتباع جنبلاط على استعداد للعمل ضد الفدائيين كلما اقتربت ساعة الانسحاب من الشوف . وهذا مما يزيد الضغوط الدرزية علينا . . . هناك ضباط في الاحتياط من ابناء الطائفة الدرزية ومن أصحاب الرتب الاخرى الذين يقولون بصراحة ووضوح انه اذا تخلت اسرائيل عن اخوانهم سيضطرون الى اجتياز الحدود ، بل حتى الفرار من الجيش الاسرائيلي . . .

«ان اسرائيل ستقوم قبيل الانسحاب بتسليم السلاح الثقيل الى الدروز من مؤيدي جنبلاط. ربما يبدو هذا ، وكأن الجيش الاسرائيلي يساعد السوريين بطريقة غير مباشرة ، لكن دائرة السخرية التي وقعت اسرائيل في داخلها لا تترك مجالات لتلافي مثل هذه الخطورة اذا كنا نرغب بالانسحاب من لبنان بأقل قدر من الخسائر» .

وفي لفتة منها الى تحسن العلاقات مع الدروز أعلنت اسرائيل ان لا تجنيد إجبارياً لدروز الجولان . . . .

الجبل يحبس انفاسه

لما لم تجدِ الانذارات الاسرائيلية المتلاحقة والمتفاوتة جدية وتجاوباً، أظهرت اسرائيل ما يمكن اعتباره تحولاً في الموقف ، ولكن نحو المزيد من السلبية . فبعد ان كان المسؤ ولون الاسرائيليون يكتفون بحث الحكومة اللبنانية والحكم على التعاون والتنسيق ، انتقلوا الى اعلان موقف رافض لدخول الجيش اللبناني الى الجبل . هذا الموقف المستجد أعلنه (في ٢٦ آب) موشي ارينز بقوله : «لا نسلم بدخول الجيش قبل اتفاق مع الدروز» . وكانت الرسالة واضحة لمن يريد ان يقرأ ويتأكد ان اسرائيل ممسكة جيداً بالورقة الدرزية ومطمئنة جداً اليها .

ولعل الرئيس شمعون قد استشعر بذلك عندما سارع ، في أعقاب هذا ، الى المطالبة بالتنسيق مع الاسرائيليين لادخال الجيش الى الجبل . غير ان جنبلاط ـ وقد وجد نفسه في موقع القوي ـ سارع ، بدوره ، الى ما يمكن تسميته باعلان الحرب فدعا الى المواجهة في الجبل :«لأن ساعة التحدي الكبير تقترب» . . .

هكذا حبس الجبل انفاسه منتظراً لحظة الاستحقاق الكبير الذي لا بد منه . . .

في هذه الاثناء كنا ارسلنا مئة طفل من الجبل الى كسروان بالتعاون مع مؤسسة «هيلب ليبانون» لقضاء فترة هناك ، وكان وقت عودتهم الى الجبل قد حان . طلبنا من الاسرائيليين مواكبتهم في عاليه ، وكان «الحكيم» قد اتفق مع داغان على الموضوع ، كما كنا احضرنا «الاوتوبيسات» لنقل الاطفال . وعندما اتصل بيارو بالكولونيل الاسرائيلي «إميل» المسؤ ول عن تأمين المواكبة ـ وكنا على علاقة جيدة به ـ قال هذا الأخير لبيارو : «شو بدك بهالشغلة ، خلي الاولاد تحت» (يقصد في كسروان) . فسأله بيارو عما يقصد بهذا الكلام فقال «هل انت مصر على ان يصبحوا يتامى أو يتشردوا ؟ هناك مئة ولد تستطيع تخليصهم من مذبحة ، فاسمع مني ودعهم حيث هم» ولما رفض بيارو نصيحة اميل قال له هذا : «أريد اذناً لك . . . » وأقفل الخط. عند ذلك اتصل بيارو بالجنرال ماتان وطلب منه تأمين المهمة .

غير اننا لم نستطع نقل الأطفال بسبب القصف العنيف الذي كانت تتعرض له بيروت وكانت فرحة «اميل» كبيرة إذ علم بذلك وراح يردد : «لم يكن ضميري ليستطيع تحملها» . . .

وفيما كان الجبل يشهد زيارات استكشافية للضباط والمسؤولين الاسرائيليين الكبار (ليفي ودروري . . .) وضباط من «القوة المتعددة الجنسيات» والجيش اللبناني ، كنا نحضر لكل الاحتمالات بحيث وضعنا الخطط الدفاعية الكاملة عن الجبل وركزنا بشكل خاص على قطاع بحمدون أكثر من سواه .

على صعيد الحكم عقد اجتماع قبل المعركة باسبوع في بكفيا حضره : رئيس الجمهورية ، قائد الجيش ، نائب رئيس حزب الكتائب آنذاك ورئيس الحزب منذ ايلول ١٩٨٤ ، الدكتور ايلي كرامي ، قائد القوات اللبنانية فادي فرام ، رئيس اركان القوات الدكتور فؤاد ابو ناضر ، مدير المخابرات في الجيش العقيد سيمون قسيس . في هذا الاجتماع قال الرئيس ان الاسرائيليين سينسحبون ، وسيتسلم الجيش الجبل ، المطلوب اقفال الثكن . . . وطلب ترتيب الأمر مع العماد ابراهيم طنوس قائد الجيش .

حاول القائد اقناع الرئيس بوجوب بقاء بعض البنية التحتية للقوات اللبنانية في الجبل ، لكن الرئيس رفض ذلك وقال : «أنا فقط الضمانة للمسيحيين ! . . .» .

ثم عقد اجتماع بين قائد الجيش والقوات اللبنانية لترتيب موضوع اقفال الثكن في الجبل ، تلاه اجتماع بين قيادة القوات ومسؤولين اسرائيليين اتفق خلاله على تسهيل دخول الجيش اللبناني . . . لكن تبين ان هذه الاجتماعات قد تخطاها الزمن ولم تعد ذات مغزى أو جدوى . وإذا كان الاسرائيليون قد سمحوا لنا بادخال بعض ما نريد الى الجبل فاننا اكتشفنا انهم سبقونا في السماح للدروز بادخال كل ما يريدون من الاسلحة والذخائر والمعدات بمواكبة اسرائيلية . وقبل ثلاثة ايام من المعركة التقطنا على التنصت برقية تشير الى عزم الدروز على تمرير ثلاث شاحنات من صوفر فأرسلت قوة لاعتراضهم وابلغت «أيال» بذلك ، فما كان منه إلا أن بادرني بقوله :

«إذا تعرضوا لشيء ما سأدمر بحمدون» !

الضاحية . . . تسبق الجبل

. . وفجأة انفجر الوضع في الضاحية الجنوبية للعاصمة بين حركة «أمل» والجيش اللبناني ، وشارك «المارينز» بالقتال الذي بلغ ذروته في نهاية شهر آب عندما استشهد ١٥ من الجيش واثنان من المارينز وعشرون مدنياً ومئة وثلاثون جريحاً واحتلت «أمل» مبنى التلفزيون في تلة الخياط . وراحت الاشتباكات تعنف وتتسع حتى اعادت رسم «خطوط التماس» التي كانت قائمة في حرب السنتين .

حتى ذلك الوقت ، أي قبل معركة الجبل بثمان واربعين ساعة تبلورت المواقف على الشكل الآتي :

الرئيس الجميل تساءل عن أبعاد استدراج الجيش الى معركة جانبية في بيروت والضاحية فيما هو يستعد لدخول الجبل .

فرنسا أبدت قلقها البالغ حيال التدهور المستجد في لبنان . . .

لجنة «إدارة الازمات» الاميركية عكفت على درس الوضع اللبناني ، والرئيس الأميركي أمر بارسال الفين من رجال المارينز الى لبنان .

وليد جنبلاط أعلن : «اننا نعتبر أنفسنا في حالة حرب مع الحكم» ، أما شيخ عقل الدروز محمد أبو شقرا فكان في غاية الوضوح عندما أكد : «ان التصميم على مواجهة الجيش في الجبل أصبح أمراً لا مفر منه» .

نبيه بري ، من جهته ، أعلن تضامنه ضد الحكم وقال : «الحكم دخل الوفاق بدبابة فلن ندخله نحن راجلين» .

. . . وحتى موسكو قالت إنها لن تقف غير مبالية حيال تطور الاحداث في لبنان ! . . .

في هذه الاثناء حصلت مجزرة في قرية بمريم ذهب ضحيتها أربعة وعشرون من ابنائها المسيحيين ، بينهم كاهن القرية .

وبدأ الشعور بدنو المعركة يتزايد عند الجميع ، وقبل يوم واحد من اندلاعها التقى فادي فرام قائد القوات اللبنانية وديع حداد مستشار رئيس الجمهورية :

سأل حداد : «إذا انسحب الاسرائيليون من دون ان يقولوا لنا ولم يصعد الجيش ، ماذا تفعلون ؟»

رد فرام : «ننسحب من بحمدون ، لأن المقصود ليس نحن بل القصر الجمهوري» .

فقال حداد : «طنوس (يقصد قائد الجيش) أخبر رئيس الجمهورية بأن سمير جعجع متفق مع الاسرائيليين وسيدعمونه للصمود ٦ أشهر في الجبل . . .»

ومن يدري ، فلعل جواب حداد الأخير كان بمثابة اشعار مهذب بأن الجيش اللبناني لن يتدخل في معركة الجبل إن هي وقعت ! .

غير ان «الحكيم» كان يملك معطيات مناقضة تماماً لما قاله مستشار الرئيس لقائد القوات اللبنانية وذلك لأن:

«الحكم مباشرة أعطاني وعداً بتدخل الجيش ، من الرئيس وقائد الجيش ، قبل الدروز بذلك أم لم يقبلوا ، والذي عزز هذا الرأي عندي هو حسم الجيش لاحداث بيروت الغربية . . . وفي

اسوأ الحالات اذا لم يستطع احتلال مناطق درزية ، فإنه يستطيع فتح معبر الى الجبل . بالاضافة الى هجوم شبابنا وصمودنا نحن في بحمدون . فمطلوب منا الصمود ١٢ ساعة في بحمدون» .

وفيما كان «الحكيم» يتنقل متجولاً بين المناطق والمراكز في الجبل كانت القيادة في بيروت ترسل مئتين وخمسين مقاتلاً توزعوا على الشوف وعاليه وتركز الجهد للدفاع عن بحمدون ، فكان لا بد ، لتحقيق هذا الهدف ، من السيطرة على التلال التي من دونها تعتبر البلدة ساقطة عسكرياً . وحتى هذا الوقت لم يكن الاسرائيليون قد انسحبوا من تلك التلال التي يحتاج التمركز فيها وتحصينها الى وقت غير قصير . ذلك لان خط الدفاع عن بحمدون يمتد من تلة بيضون قرب بعلشميه ، مروراً بحي الدمشقية في المحطة ، فاوتوستراد صوفر ـ جبل عرام ـ تلة الضبعة والمنى ، الى جبل الرصيف ـ جبل الورق ـ تلة الردة وحتى «شجرة الهوا» في المنصورية . وبهذا يصبح خط الدفاع ممتداً بشكل نصف دائرة تحيط ببحمدون على مسافة ثلاثة كيلومترات .

وعندما وزعنا المجموعات على هذا الخط تبين انه يلزمنا أضعاف الاعداد الموجودة .

فقواتنا في بحمدون كانت كالآتي :

٢٥٠ من المقاتلين .

ـ قاعدتا صواريخ مضادة للدروع .

ـ اسلحة مساندة ، «١٠٦» عدد ٢ وبعض الرشاشات . . .

ومعلوم ان السرية في الحرب (١٠٠ مقاتل) ، تستطيع تأمين جهة عرضها ٢٠٠ متر ، أي ان القوات المتوافرة لدينا كانت تستطيع تأمين ٥٠٠ متر من أصل ٣ كلم على جبهة بحمدون . لذلك اضطررنا الى وضع حضيرة احياناً (عشر عناصر) على محور طوله ٣٠٠ متر .

كانت التعليمات الصادرة تقضي بالصمود مهما كلف الامر ، وذلك حتى تفتح طريق بيروت وتصل الامدادات ! . . .

في المقابل ، كان الدروز في شبه تعبئة كاملة لم يشهد التاريخ الدرزي المعاصر مثيلاً لها . فسوريا مفتوحة عليهم مع ما في ذلك من دعم بالعتاد والرجال ، واسرائيل ايضاً تسهل لهم كل شيء سياسياً وعلى الارض .

وفي ١ ايلول طلب هشام ناصر الدين من داود حامد تأمين جراحين وأدوية وأموال للعناصر من نبيه بري ، في إطار التنسيق الكامل بين الاثنين لخوض المعركة .

الفصل الثالث

المعركة

عندما كانت الدبابات تغير معالم الجغرافيا في بحمدون ،
كانوا يتكلمون عن إنصاف التاريخ في القصر الجمهوري !

"- طلبت الفلسطينيين ، لأني كنت بحاجة للمساعدة ."

(J'ai fait appel aux palestiniens car j'avais besoin d'aide) (١)

بحمدون : انتحار بطولة ! ... في ظل « ولدنة » ولا أخلاقية سياسية .

---

(١) - جنبلاط ٢٨/٨/١٩٨٤ الماغازين .

. . .«والآن تستطيعون ان تفنوا بعضكم . . .»

الثالث من ايلول سيطر جو رهيب على الجبل بكامله :

في المساء سينسحب الاسرائيليون الى خط الأولي ، والكل يعرف ماذا ستكون النتيجة !

الجميع ، كل واحد . . . يقترب من النتيجة ، بالضحكة الصفراء حيناً ، باللامبالاة تارة . . . وغالباً بالتحدي .

ذلك المساء بث التلفزيون الاسرائيلي مقابلة اجراها معي . سألني :

ـ ماذا سيحدث بعد انسحاب الجيش الاسرائيلي ؟

أجبت :

ـ لماذا تسألونني وانتم أول العارفين ؟ . . . ستحدث مجازر . . .

«الهجوم الرئيس سيكون عبر رويسات صوفر ، بحمدون ، باتجاه عاليه وبعبدا ، وذلك بمساعدة السوريين والفلسطينيين . . .»

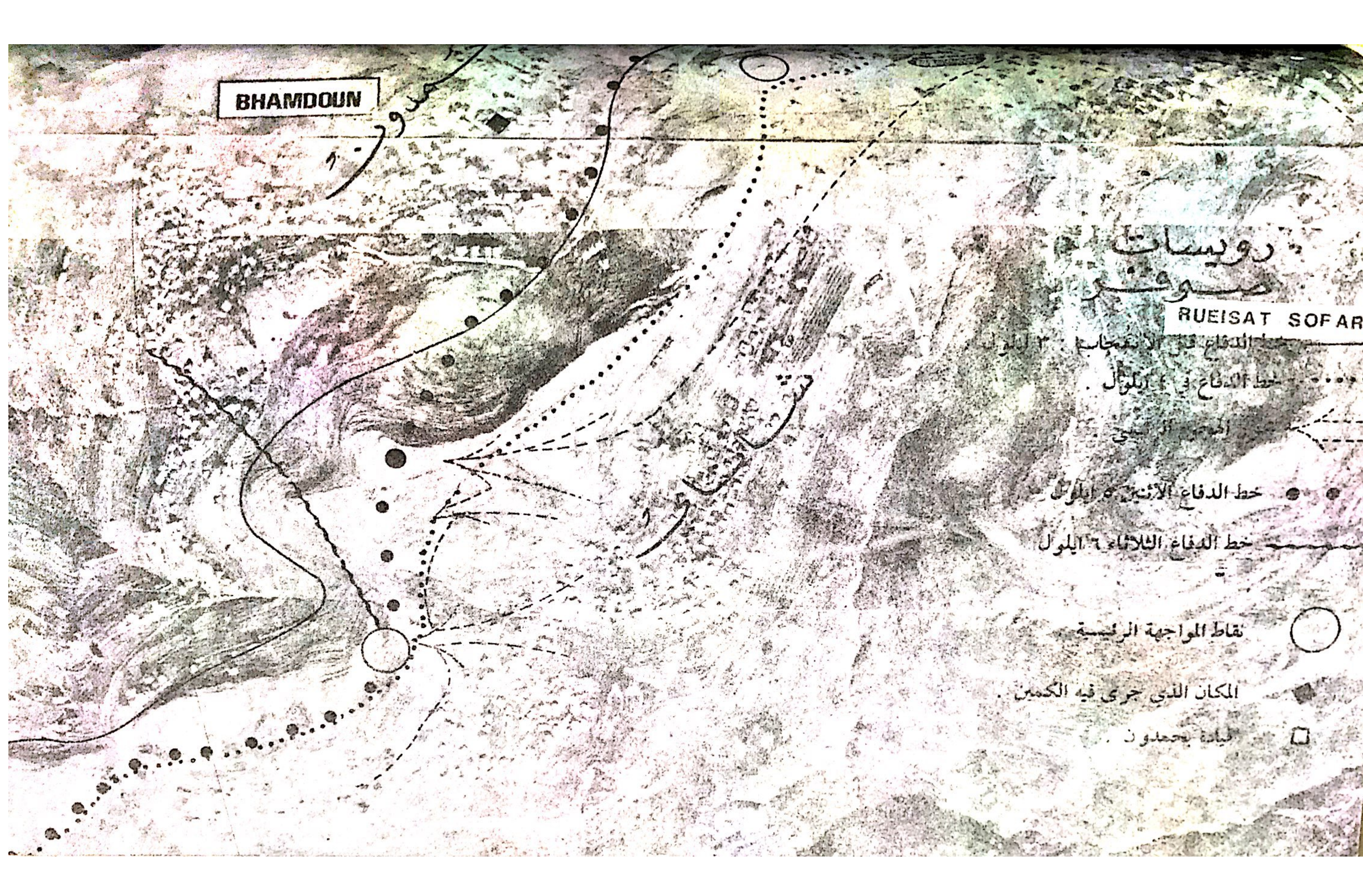
. . . وكانت سلسلة اجتماعات متتالية عقدناها مع الاسرائيليين لتنسيق الانسحابات ! . وبما انني كنت المسؤول عن بحمدون مكثت مع الكولونيل أميرام لمتابعة الوضع على الأرض .

الساعة السابعة مساءً وصل موشي ليفي الى مقر القيادة الاسرائيلية في بحمدون يرافقه ضباط وتلفزيون الجيش الاسرائيلي .

الجنود الاسرائيليون كانوا في فرحة لا توصف : اليوم الى الأولي ، وغداً الى اسرائيل بعيداً عن العمليات الفدائية ضدهم التي تكاثرت في الآونة الأخيرة ، أما بعدهم فليكن الطوفان !

وبدأت مؤشرات الطوفان بالظهور وسط ذلك الليل المشحون ، ولم يكن سوى البسمة من وسيلة لتحمل ثقل تلك الاجواء المهيمنة .

مع ذهاب موشي ليفي دخلت ملالة العمليات الاسرائيلية واتجهنا نحو صوفر . الليل المطبق


BHAMDOUN
رويسات صوفر
RUEISAT SOFAR
خط الدفاع قبل الانسحاب : ٣ أيلول
خط الدفاع في ٤ أيلول .
خط الدفاع الاثنين ٥ أيلول
خط الدفاع الثلاثاء ٦ أيلول
نقاط المواجهة الرئيسية .
المكان الذي جرى فيه الكمين .


BAALCHMAY
ELHARF

مخيم على المنطقة يعكره هدير الملالات والدبابات المتحركة بشكل دائم ، السوريون لا يبعدون كثيراً عنا ، لذلك كان كل شيء يتم في الظلام.

أول أمر بالانسحاب اعطي للاسرائيليين المتمركزين في تلة الروس جنوب بتاتر ، ثم تلة العلم والردة . . . كل شيء كان يسير بانتظام وكنت أفهم كل ما يتكلمونه بالعبرية .

بعدئذ انطلقت بنا الملالة الى تلة بيضون قرب بعلشميه ، اتصلت «بالحكيم» لأبلغه ماذا يجري : تقدم شبابنا الى تلة الروس وجرت معركة مع الدروز سيطرنا على أثرها على التلة وعلى بقية التلال التي انسحب منها الاسرائيليون .

لكن أميرام طلب مني وقف الاشتباكات ، ولم يكن ذلك ممكناً بعدما اشتبكنا مع الدروز وأصبحنا وإياهم وجهاً لوجه .

قال لي أميرام: «لقد أخلينا موقع جبل عرام» بينما كانت الملالة تتوقف بنا عند آخر بحمدون المحطة لناحية عالية . وهناك وقف الضابط الاسرائيلي ليقول لي :

«تستطيعون الآن ان تفنوا بعضكم . . . ولكن دعونا نبتعد قليلاً» . . .

. . وعندما وصلت الى الاوتوستراد بدت بحمدون وكأنها في وضح النهار :

الطائرات الاسرائيلية «تمطر» القنابل المضيئة ، والانفجارات تفجر عتمة الليل والرصاص يسمع في كل مكان . . .

لقد بدأت المعركة فور ان أصبح الجبل بلا الاسرائيليين ! .

انتقلت الى مربض بحمدون المحطة وطلبت تأمين تغطية مدفعية للشباب الذين سيتقدمون الى جبل عرام ، وبالفعل سيطر مقاتلونا على كل التلال الممتدة من بيضون الى الضيعة ، حتى المنصورية ، وأصبح التمركز على الشكل الآتي :

- بيضون : مجموعة من المحطة والكحلونية (جان خيرالله) .
- الدمشقية : «بيروت» (سمير الشعار) .
- جبل عرام : «بيروت» (غازي هارون) مجموعة «بشري» (بسام جعجع) .
- الضبعة - المنى - الرصيف : غوسطا (الياس عقيقي) .
- جبل الورق - تلة شاناي : شباب بحمدون الضيعة ومعهم «مارون وديع» .
- الردة والعلم - المنصورية (ريشار الهبر) .

وكانت تلة شاناي الأهم بنظرنا لأنها اذا ما سقطت أمكن تطويق بحمدون من الخلف ، لذلك وضعت معاوني «مارون» على هذه التلة لمعرفتي بالمقدرة التي يتمتع بها . ولم يلبث مارون ان أتصل بي طالباً التوجه نحوه ، فتوجهت نحوه ومعي طربيه فيا كانت القذائف تتساقط بغزارة شديدة . عندما وصلت أشرت على الشباب هناك بعدم التجمع في مكان أو أكثر لأن القصف كان عنيفاً ومعظم القذائف المتساقطة كانت من عياري ٨١ و٨٢ ملم . وهذا النوع من القذائف مؤذٍ جداً ومعيق للتحرك على الجبهة .

كانوا بحاجة الى ذخيرة فرحت انقلها إليهم في التلة ، بعدما صرفوا كميات منها لا بأس بها أثناء اشتباك كان لا يزال مستمراً مع الدروز . وقد سقط هؤلاء سبعة قتلى ظلت جثثهم عند التلة أصيب أندره متى في رأسه لكنني لم أستطع معرفة خطورة اصابته أو رؤية جرحه في الليل. كل ما استطعت التأكد منه هو أنه ما زال على قيد الحياة ، فسارعت بحمله الى الطريق تمهيداً لنقله الى المستشفى . غير أن قذيفة سقطت على مقربة مني اصابتني احدى شظاياها بيدي . ربطت الجرح وأكملت مهمة نقل اندره الى مستشفى بحمدون حيث عالجه الدكتور جان ابي يونس .

هناك فقط عرفت ان اندره فقد قسماً غير قليل من رأسه ، لكنه كان يتنفس ... ثم اسلم الروح .

الأحد ٤ ايلول . . .
بحمدون تحولت دخاناً

ما إن أطل صباح يوم الأحد الرابع من ايلول حتى اطلت معه كل أنواع القذائف ومختلف اشكال الدمار والحرائق . وراحت حرارة القصف تزداد كلما ازدادت حرارة الشمس ، غير ان السباق لم يستمر لأن الدخان وضباب البارود المحترق تغلب على الشمس وحجب نورها . ووسط هذه وتلك كانت المعارك تزداد حدة وشراسة ، فيما البطولة والشهادة تتألقان بعنفوان على جبل عرام وتلة شاناي وسواهما . كان الشباب مصرين على تعويض عدم التكافؤ مع العدو في العديد والعتاد بالبطولة والشهادة :

فعلى جبل عرام تعرضت قواتنا لهجوم على «فيلتين» يتمركزون فيهما وأصيب العدد الأكبر منهم ، فتوجهت الى البنايات الكائنة في أسفل الجبل حيث وجدت مجموعة «بيروت» ، هي الأخرى ، قد أصيب نصفها غير ان قائدها كان لا يزال يقاتل على التلة ويطلب امداده بالذخيرة والمقاتلين . . . لم يكن هناك ما يمكن الاحتماء أو التدرؤ به من نار الدبابات المتواصلة ، وعلى رغم ذلك رفض غازي الانسحاب ، لكنه قال في آخر اتصال بنا «لن استطيع الاستمرار . . . الوضع سيء جداً . . .». وما كاد يكمل كلامه حتى اصابته قذيفة دبابة فتشظى جسده في الأرجاء وتدحرج رأسه على الأرض أمام رفاقه . كذلك استشهد معه السنبك[1] وعادل الهبر . أما الناجون من تلك التلة اللعينة فكانوا مجموعة صغيرة ، وأما مجموعة بيروت فأصبحت كلها خارج المعركة بين شهيد وجريح ، واضطررت لتسلم محور جبل عرام . أخذت معي اثنين من المقاتلين والتحقنا بخمسة كانوا لا يزالون يقاومون في «فيلا» تبعد عشرة أمتار عن رأس «الجبل» . كانت «الفيلا» متينة جداً لكن مدافع الدبابات أصرت على دكها فصمدنا . عند ذاك حاول المهاجمون اقتحامها مرات عدة فلم ينجحوا ، وأوقعنا في صفوفهم الكثير من القتلى انتشروا بالقرب منا ، مما اضطرهم لوقف الهجوم . حتى هذا الوقت كانت المعارك مقتصرة على جبهة بحمدون فطلبت من «الحكيم» ان يأتي الى هناك حيث يمكنه مراقبة سير القتال عن كثب . غير اننا كنا نقاتل ونتحرك ونتنقل من دون ملالات ، من دون جيبات (خسرناها بالقصف) والقذائف تزرع المنطقة كل شبر بقذيفة .

---

(١) السنبك : طوله حوالى المتر . شهد حرب الاسواق منذ ١٩٧٥ حجمه صغير ، يستطيع التسلل الى كل مكان . قام بعمليات عدة في عمق خطوط العدو وكان له الأثر الفعّال في ارباكه .

يوم طويل من القتال المضني امضيناه بلا توقف وبلا طعام . وكذلك كان يوم مارون على تلة شاناي فاستطاع صد كل الهجمات التي استهدفت التلة لكنه خسر العديد من المقاتلين بين شهيد وجريح فأرسلنا اليه في المساء حضيرة من شبابنا (١٠) .

كانت «الفيلا» التي أتمركز فيها كبيرة جداً تلزمها فصيلة كاملة لحمايتها . فالدروز لا يبعدون عنها أكثر من عشرة أمتار مما يجعلها محوراً في حد ذاته . مع حلول الظلام باتت «الفيلا» كقصر «دراغولا» : عناصر قليلة في داخلها ولا حماية على الجوانب بسبب قلة المقاتلين . طلب «الحكيم» مني أن أتوجه اليه على ان يرسل من يحل محلي .

في هذه الاثناء كانت قواتنا في الشحار الغربي تشن هجوماً عنيفاً على كفرمتى . وفي هذا اليوم ، الرابع من ايلول عند الساعة الثامنة والدقيقة الاربعين صباحاً أجريت مكالمة باللغة الانكليزية بين شريف فياض وضابط اسرائيلي . . . ادعى فياض خلالها ان : «الجيش اللبناني والقوات اللبنانية يشنان هجوماً على كفرمتى ، واننا غير قادرين على تحمل هذا ! . . . نرجو منكم التدخل السريع» . والحقيقة هي ان الجيش لم يتدخل قط ، ولعله لو فعل لكانت ربما تبدلت معطيات كثيرة . أما الذي كان يحصل فهو العكس تماماً إذ إن الاسرائيليين ، في محاولة منهم للضغط علينا في كفرمتى ، ضربوا قطع مساندة لنا قرب سلفايا كانت تؤمن الهجوم مما اضطرنا الى قصف الدبابات الاسرائيلية التي انسحبت في أثر ذلك الى دير القمر . واستمرت المعارك في كفرمتى داخل الأحياء السكنية ، فانهارت معنويات المجموعات الاشتراكية ونقلوا قتالهم الى الخطوط الخلفية بعدما أجلوا النساء والأطفال والعجزة . . .

وعند الساعة الخامسة عشرة والدقيقة الثالثة والاربعين اتصل ضابط اسرائيلي بشريف فياض وهشام ناصر الدين مؤكداً لهما أنه يسمع على اجهزة التنصت لهجة سورية في داخل الدبابات مما يعني أن هناك تدخلاً سورياً في المعارك الدائرة على جبهة بحمدون .

وعلى الرغم من هذا التدخل المزدوج ، الاسرائيلي السوري ، سقطت كفرمتى والتلال المحيطة بها بأيدي قواتنا ، وتراجعت خطوط المواجهة الاشتراكية الى البنّية. وقد أكد المسؤول الاشتراكي عن كفرمتى انه لم تعد لقواته القدرة على شن هجوم معاكس بسبب فداحة الخسائر البشرية والمعنويات المنهارة .

لم يأتِ عصر ذلك اليوم حتى أتصل وليد جنبلاط بأنور الفطايري طالباً اليه التوجه فوراً الى البقاع ومقابلة «أبو موسى» (زعيم المنشقين عن عرفات) وطلب مساعدته في معارك الجبل والعودة بجواب نهائي هذه الليلة .

بعد أقل من ساعتين على هذا الاتصال سقط بعض تلال المريجات في الشوف بيد الاشتراكيين ، عقب ذلك ابلغ وليد جنبلاط بقبول «أبو موسى» بالتدخل الى جانب الاشتراكيين في حرب الجبل . وسرعان ما وصلت الى مستديرة صوفر خمسون آلية عسكرية للفلسطينيين كانت طليعة قوافل من الدبابات وقاطرات المدافع . . .

ثم عنف التدخل السوري المدفعي والتقطت برقية مشفرة ما بين شتورا والمختارة هذا مضمونها : كتيبة مدفعية سورية في المغيته ـ المتن ستقصف منطقة المشرف ـ مثلث خلده عند تقدم الجيش اللبناني والتصحيح يكون من الحزب التقدمي الاشتراكي . في هذا الوقت كانت القوات اللبنانية تتقدم من سوق الغرب باتجاه عيتات وكيفون تحت قصف مدفعي سوري فلسطيني اشتراكي . . . مركز .

في نهاية هذا اليوم كانت الحصيلة كما يأتي :

استطعنا صد كل الهجمات التي شنت على مواقعنا رغم عدم وجود أي دبابات في حوزتنا لمواجهة ارتال الدبابات المهاجمة ، وحاجتنا الماسة للملالات للتنقل ، وسقوط العديد من الضحايا في صفوفنا مما جعل مناطق عدة من الجبهة خالية من المدافعين . وبسبب التدخل الخارجي الى جانب الاشتراكيين اضطررنا لاعادة ترتيب خط دفاعنا .

عند منتصف الليل طلبني «الحكيم» من الفيلا وقال لي : «غداً سيكون الوضع أقسى» ثم قمنا بجولة في منطقة عرام ورويسات صوفر لوضع خط دفاع متكامل وطلب اليّ الانسحاب من «الفيلا» التي كنت فيها بعد تلغيمها.

وعلى جبهة الشحار الغربي كان يقود الهجوم رئيس الاركان الدكتور فؤاد ابو ناصر شخصياً ، وقد اقتحم بنفسه أول منزل في كفرمتى بعدما واجه الشباب صعوبة في الاختراق نظراً للتحصينات المنيعة وبسبب شدة القصف . فقد كان مقدراً لمعركة كفرمتى نحو ساعتين بحيث يصل الهجوم نهار الأحد (أي اليوم) الى قبر شمون ومنها يصبح ممكناً ارسال الامدادات الينا عن طريق دفون ـ رمحالا ـ عين تريز ـ بحمدون . . . غير ان خرق دفاعات كفرمتى استغرق من الرابعة صباحاً حتى الخامسة من بعد الظهر ، ووصل الشباب الى كفرمتى مع بدء حلول الظلام . ولم تنتهِ العملية عملية تطهير المنازل التي ذهب ضحيتها خطأ بعض المدنيين بسبب كونها تمت ليلاً إلا في الساعة الخامسة من صباح الاثنين .

استشهد في كفرمتى ثلاثة من قادة المجموعات هم : ايدي الأسمر ، جوزيف حداد ، جوزيف مطر اضافة الى أربعة آخرين وعدد من الجرحى .

هكذا كان الوضع بعد ست وثلاثين ساعة من بدء القتال : العديد من الشهداء والجرحى وليس عندنا بدلاً منهم. الشباب انهكهم القتال . كلهم بلا نوم ، معظمهم من دون طعام لعجزنا عن ايصاله اليهم . . .

لكن جنبلاط لم يستطع شرب «المتّي» في بحمدون خلال اثنتي عشرة ساعة كما وعدوه ! . . .

الاثنين ٥ ايلول :
. . . إنه يوم الدبابات

أشرقت شمس هذا النهار ، الخامس من ايلول ، على جبهة بحمدون وليس عليها أكثر من خمسين مقاتلاً موزعين من تلة بيضون الى تلة شاناي .

إنه يوم الدبابات بشكل حاسم ! . . .

عند خط دفاعنا الذي حددناه ليلاً كان هناك بناية مسيطرة اصطلح الدروز على تسميتها في اتصالاتهم بـ «الشمسية» ، كان يجب ان يتمركز فيها الشباب ليلاً . انتقلت لتفقد البناية بعدما قيل لي ان لا أحد فيها ، وأخذت معي خمسة شباب ، قطعنا مسافة مئة متر في أرض مكشوفة ولم تطلق علينا أية طلقة . . . هناك ، خصوصاً في الحرب ، ما يسمى بالحدس عند المقاتل لعله هو الذي دفعني لأن افتح قنبلة يدوية وأمسكها بيدي اليسرى ، فيما البندقية باليمنى . ولم أكد أطل من وراء السور الخارجي «للفيلا» حتى فوجئت بفلسطيني على مسافة مترين ، لكنه كان أشد مفاجأة مني فارتبك لحظة كانت كافية لأن احيا انا لا هو ، أما المفاجأة الكبرى بالنسبة الينا فجاءت عند اكتشافنا أن في الفيلا أكثر من عشرين مقاتلاً ، مدعومين بمساندة قريبة . . . لذلك عدلنا عن دخولها وعدنا الى خط البنايات الدفاعي . وقد حاول الدروز بعد ذلك مهاجمتنا انطلاقاً من تلك «الفيلا» غير انهم فقدوا عشرات القتلى والجرحى نتيجة تحركهم في أرض مكشوفة .

اتصل الحكيم ليسألني عن تلك الفيلا فأجبته بأنها أصبحت بيدهم . . . بعد قليل نظرت لناحية اوتوستراد صوفر فصغرت الدنيا في عيني : رأيت الحكيم يحمل بيده المصابة بندقيته الى جانب بعض الشباب في مواجهة محور الهجوم الاساسي الذي تتقدم منه الدبابات . . . القصف كان هائلاً ولا سيما الدبابات . بنايات بكاملها كانت تتساقط وأضحى المتن والجرد كله فوهات مدافع تصب حممها على بحمدون في هذا الوقت اتصل الحكيم بأخي انطوان ليعالج الدبابات بالصواريخ وبالفعل فقد استطاع اعطاب احداها بصاروخ ميلان .

أصبح لا بد من اقتحام تلك «الفيلا» جاء الحكيم وأرسل بعض المقاتلين من مجموعة البقاع ليؤمنوا الحماية لكنهم اصيبوا جميعاً انه مشهد مؤثر ، سقط احدهم على الارض ورفع يده مستغيثاً بنا ، فيما أصيب آخر بقذيفة (ب ـ ٧) في بطنه فتناثرت قطع جسده ممتزجة بالتراب وبقطع الحديد

واستشهد ثلاثة على الفور: منصور الهيبي، سليمان سعاده، جان رشدان.

«يا الله هذا لا يصدق» قالها الحكيم بعفوية . . .

لاحقتنا قذائف الدبابات الى زوايا غرف الابنية التي نتمركز فيها ، أصيب الحكيم بشظية صغيرة في كتفه وأصابت قذيفة اخرى جورج حنوش من مجموعة البقاع ايضاً فما بقي منه اثر . . .

ثم اتصل نادر ليبلغنا عن كمين على طريق بحمدون الداخلية التي تؤدي الى القيادة .

عليك بمعالجة الموضوع يا بول «قال الحكيم» . وطلب من نادر استدعاء انطوان ليتصدى لدبابات بدأت طلائعها تظهر على التلال» .

توجهت الى هناك ، الى مكان الكمين .

رأيت مدنياً لم أعره انتباهاً .

مرت سيارة قرب الكمين ، اطلقوا عليها النار ، اصطدمت بالحائط .

هناك سيارتا «جيب» وسيارة مرسيدس كلها مدمرة .

ثمة جثث على الارض ، بعضها ربما كان لا يزال على قيد الحياة . . .

مر نادر ومعه بعض الشباب بقربي واشتبكوا مع عناصر الكمين وقتلوهم وعادوا على اعقابهم الى مركز القيادة .

وصل «الحكيم» ، شاهد طلائع الدبابات على التلال ، طلب الى نادر استعجال أخي انطوان ليهتم بها . . .

سمعت نادر يقول «للحكيم» : «انطوان ما عاد يستطيع ذلك !» .

نظر اليّ «الحكيم» وكأنه يحاول ان يستكشف ما إذا كنت قد سمعت جيداً ما قاله نادر على الجهاز . .

عرفت بأن أخي قد استشهد ، ولكن لم أعرف أين أو كيف حصل ذلك .

دلف أحد مرافقي الى مكان الكمين وعاد ليخبرني بأن انطوان كان بين الذين استشهدوا عند الكمين ، وان جثته لا تزال في الجيب الى جانب الطريق .

كان لذلك الكمين اللعين أثر سلبي في سير المعركة في بحمدون : بعد ان أصيب العديد من شبابنا باتت مسافات عريضة عند تلة الضبعة والمنى دون مدافعة . تسللت مجموعة من هناك ووصلت الى وسط بحمدون ، ثم الطريق الداخلية حيث قطعت الطريق بالحجارة . وعندما وصل

الجيب الذي كان فيه أخي ورفاقه اعترضوه وسألوهم من انتم ؟، فعرفهم نايف وصرخ برفاقه : «انتبهوا ، اشتراكيي» واطلق النار عليهم فقتل اثنين منهم قبل ان يقتلوا اخي ورفيقه غسان . أما نايف فقد أصيب برصاصة لكنه نجا وكذلك شوقي . وقتل في الكمين طوني وردان وآخر كان على جيب ١٠٦ مع جورج مرهج الذي نجا هو ايضاً .

وقد حاول غسان الذي كان مع أخي في الجيب القاء قنبلة يدوية بعدما أصيب بالرصاص ولكن قواه خارت فاحتضن القنبلة وطوى عليها لكي لا يؤذي رفاقه فانفجرت به .

... أصبح الوضع ، عند الساعة الواحدة ، كما يأتي :

تلة بيضون يبدو انها لن تستطيع الصمود طويلاً بسبب عنف القصف وقلة العناصر المدافعة. محور رويسات صوفر ـ الاوتوستراد يتعرض لضغط شديد لكن المهاجمين فشلوا حتى الساعة في التقدم . جبل عرام الذي اخليناه الليلة الفائتة لا يزال معهم ، كما سقطت بأيديهم تلتا الضبعة والمنى. لم يبق في تلة شاناي سوى عشرة من شبابنا ، فيما أصبحت الدبابات العدوة في عمق المعركة من دون ان يعود في أيدينا ـ بعد استشهاد أخي انطوان مع غسان واصابة باقي طاقم الصواريخ ـ ما نجبه به هذا السيل من الدبابات الزاحفة . حتى قذائف بـــ ـ ٧ نفدت منا .

إضافة الى ذلك أبلغنا من بيروت بأنهم لا يستطيعون تأمين الغطاء المدفعي المطلوب لنا بسبب عدم توافر القذائف !

بقي لنا اربعون مقاتلاً على امتداد الجبهة ، كلهم متعب ، مرهق ، جائع ، نعسان ... وهجوم عنيف لا يعرف التوقف . كانت فرحتي كبيرة عندما عثرت على بعض الماء فشربت من دون تردد .

ليست أصعب من قنات ولكن ...

جاء دور راجمات الصواريخ ، تعربد على المرتفعات ، تقذف صواريخها دفعات وليس في امكاننا اسكاتها .

قراءة جديدة للخريطة تشير الى ان قطاع الكحلونية سيصبح معزولاً اذا استمر الوضع في الاتجاه الذي يسير فيه ، لا سيا وان الأخبار عن عملية كفرمتى لم تكن مشجعة بمعنى ان رفاقنا لن يستطيعوا تأمين الطريق وامدادنا بالدعم . كان يجب ان نفعل شيئاً ما قبل ان تقع الكارثة .

كنت حينذاك لا أزال و«الحكيم» نراقب تقدم الزحف على جبل عرام وتلة الضبعة ـ المنى: الدبابات والمقاتلون وجهنم من النار تصب غضبها وحقدها علينا دونما توقف..

كان لا مفر من الاعتصام بالعقل والمنطق في تلك اللحظات الحرجة ، الحاسمة من المعركة ناديت الحكيم وجلسنا معاً في وسط الغرفة :

- «حكيم» ، إنها ليست أصعب من قنات ، ولكن في النهاية سنخسر الاثنين معاً : الأرض والشعب ، ولكن الشعب أهم من الأرض . . .

- يعني ؟ . . .

- يجب ان نفعل شيئاً ما قبل المساء . . . القرار لك في كل حال .

بعد هذا الحوار أطرق «الحكيم» قليلاً لينتصب كعادته ، قائداً ناضجاً ، شجاعاً ، متواضعاً ، يعرف ماذا يريد وماذا يجب ان يفعل :

«خليك هون . . . أنا رايح الى قيادة بحمدون» .

بقيت ، ومعي بعض الشباب ، طوال بعد ظهر ذلك اليوم وأنا اعرف أي قرار سيتخذه «الحكيم» . حتى ذلك الوقت كان الشباب يتصدون بما تبقى لهم من اسلحة للدبابات المهاجمة على اوتوستراد صوفر ، كذلك تمكنا صد هجوم المشاة على المحور الذي أنا فيه . لكن التلال المجاورة كانت سقطت كلها ، والضغط لا يزال يشتد على تلة شاناي . . .

خفت حدة المعركة قليلاً ، فنزلت الى مكان الكمين حيث التقيت بجورج مرهج الذي بدا شارد الذهن بعدما نجا من الموت المؤكد . . . كنت أحب جورج كثيراً لكن قذيفة أحبته أكثر مني فيما بعد .

جثة أخي لا تزال في الجيب الذي قتل فيه على بعد عشرة امتار مني ، لكنني لم أذهب لرؤيته أو لوداعه : أردت أن أحتفظ بصورته «الحية» . . . وبمن بقي حياً في بحمدون .

طلبت الى جورج ان يؤمن الطريق هناك لئلا يقطعها الاشتراكيون بكمين آخر ثانية ، فتمركز ، ومعه ثلاثة شباب ، في إحدى البنايات . ثم قفلت عائداً الى البناية التي اتمركز فيها ومكثت حتى الليل .

كان الوضع قاسياً جداً في قيادة بحمدون حيث أرسل «الحكيم» نادر الى رويسة النعمان لاجراء اتصالات ببيروت . وعندما أخبر نادر بيروت بصعوبة الموقف وقال لهم ان بحمدون ستسقط إذا لم تصلنا الامدادات ، سألوه : «لماذا لا تستطيعون الصمود ؟»! .

عندها اتصل «بنازو» طالباً إرسال بعض الدبابات بطريق كفرمتى - جسر القاضي ، فقيل له إن الطريق مزروعة بالالغام . طلب بعض الاحتياط فضحك نازو متسائلاً : «وهل عندنا احتياط ؟» .

توقفت التغطية المدفعية ، فيما كل المراكز تطلب الذخيرة بالحاح .

لم يعد لدينا «جيبات» .

القيادة تتعرض للقصف والقنص .

تعطلت الاتصالات بسبب انقطاع الكابلات .

بحمدون تحترق !

تتالت النداءات من الرويسة تحذر «الحكيم» وتطالبه بالخروج من بحمدون قبل حصارها لان في ذلك ، إذا حصل ، كارثة على الجبل كله . وسرعان ما فرضت علينا التطورات التي جرت على الأرض التحرك بسرعة :

بدأ هجوم عنيف وكثيف من بعلشميه على بحمدون المحطة وبيضون وسقط بعض المتاريس لعدم تمكننا من تعزيزها بالمقاتلين .

شيئاً فشيئاً بدأت تتضح معالم كماشة سيتعرض لها قطاع الكحلونية ، فأوعز «الحكيم» الى من كانوا في الكحلونية بالانسحاب من المنطقة على وجه السرعة . وبعناية الهية استطاع أهالي منطقة الكحلونية ، راس الحرف ، قتاله الانسحاب تحت جنح الضباب الكثيف الذي غطى المنطقة والذي لولاه لما نجا أحد . هكذا ، وبما يشبه المعجزة ، وصل الجميع ، حتى العجائز ، الى بحمدون .

أخطر عملية اجلاء

فقدت عاملة الاشارة في محطة بحمدون السيطرة على أعصابها وراحت تصرخ ، فيما كان «الحكيم» يعطي عبدو أمراً بابلاغ الأهالي وجوب الانسحاب الى المنصورية .

دقائق معدودة وامتلأت ساحة بحمدون بالنساء والاطفال والصراخ : شرفات المنازل على الأرض ، «الكابلات» تقطع الطرقات ، لا يسمع سوى دوي القذائف وصراخ النساء والاطفال ولف الدخان الجميع . . . على طريق بحمدون المنصورية ، سار بضع مقاتلين في الطليعة وبدأت أكبر وأخطر عملية اجلاء للمدنيين .

من البناية التي كنت اتمركز فيها رحت اتأمل غند الثامنة ليلاً تلك القافلة النازحة من بحمدون باتجاه المنصورية ، صراخ اطفال تقطعه أصوات القذائف ، سيارات تمر دون ان تضيء مصابيحها ، انه ليس فيلماً سينمائياً بل واقعاً بدا كالكذبة وبدأت أصوات المهاجمين تقترب .

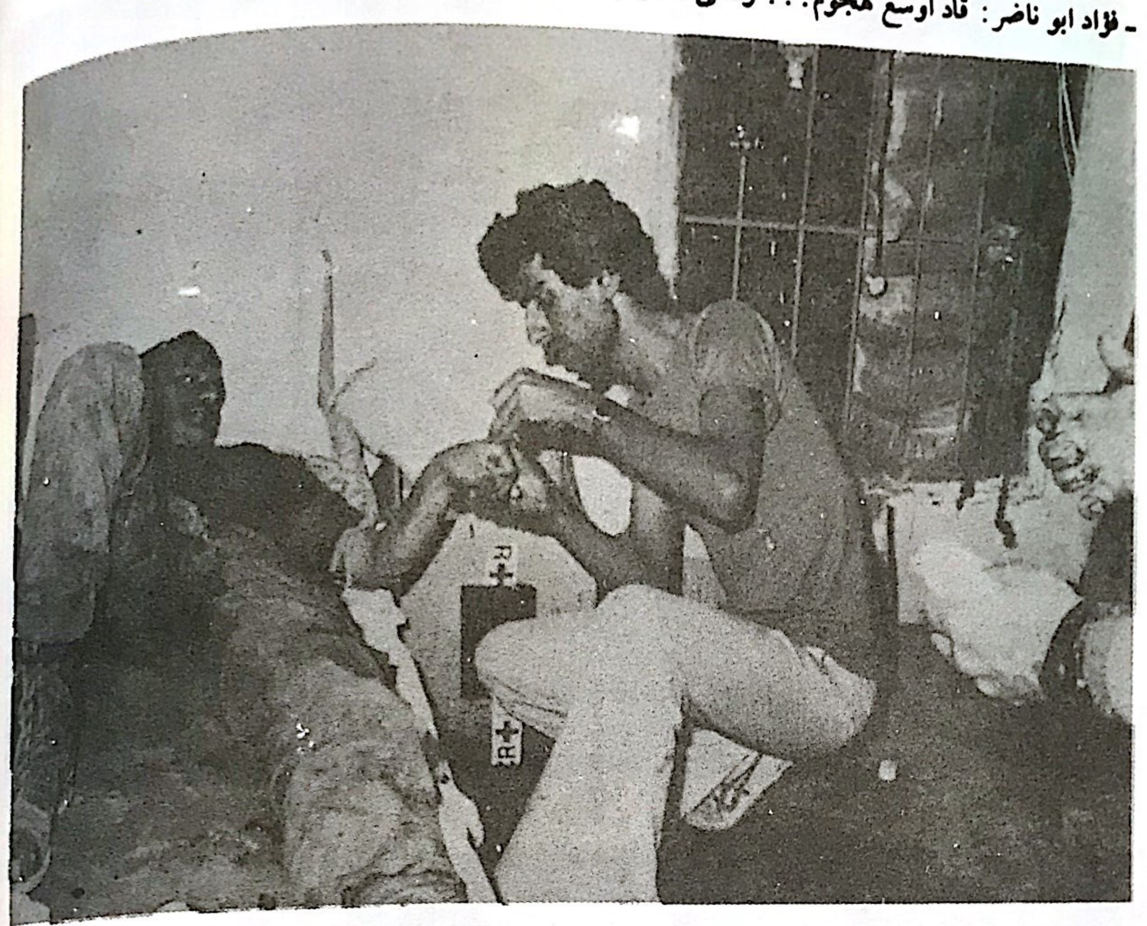
وأصبح بامكاني سماع أصواتهم : «انتبه هنا يوجد كتائب . . .» .



على جباههم تلال من المعاناة



ـ فؤاد ابو ناصر: قاد أوسع هجوم... وتلقى اصابة بالغة...





ـ كفرمتى... الشحار، الثمن كان غالياً جداً..

وصلوا الى مشارف بحمدون القريبة كلها ، ولم نعد نسيطر سوى على الممر الذي وقع فيه الكمين . . .

أخذ التعب والجوع والنعاس آخر ما تبقى فيّ .

جثة أخي لا تزال قبالتي على الطريق . . .

ناداني أحدهم : «الحكيم» يريدك ان ترتب انسحاب المجموعات عن الجبهة . . .

أبلغت مجموعة البقاع التي كانت قريبة مني ، ثم عدت الى اوتوستراد صوفر لارتب انسحاب مجموعاتنا الخاصة التي كانت لا تزال صامدة هناك دخلت مركز قيادتي في بحمدون فلم أجد هناك سوى الدماء والدمار والجدران التي راحت تتشح بالسواد .

««الحكيم» يريدك وانت لا زلت هنا ؟» . . . قالها رفيق بعصبية ظاهرة .

عبثاً فتشت في غرفتي عن مفكرة دونت فيها مذكراتي . . يئست من البحث ، ونزلت الى الطريق فسألني «الحكيم» عما إذا كان كل شيء قد تم فأجبته بالايجاب .

دفعنا كل المجموعات قبلنا وبقيت معه وجورج انطون والحرس ، ثم توجهنا الى بحمدون الضيعة حيث عرفت أنهم أخذوا جثة أخي لكنني لم أسألهم الى أي مكان أخذوها ! . ناديت جورج مرهج فلم يجب . كان نائماً فأيقظته وتابع معنا .

في طريق الانسحاب نظرت الى بحمدون فلم تكن هي بحمدون ، الشوارع مغطاة بالحجارة وبقايا الاشجار وأثاث المنازل ، وفي مركز بحمدون الضيعة لم يكن أحد يقوى على الوقوف لشدة التعب . . . كان مشهداً مؤثراً للغاية . . .

أصبح خط دفاعنا هنا ، في بحمدون الضيعة ، لأن إصاباتنا كانت كثيفة ، وكنا نخشى تطويق قطاع الكحلونية وقتل الأهالي المدنيين . لذلك أمر «الحكيم» عين الجديدة وبخشتيه بالانسحاب الى الرجمة على رغم ان الوضع فيهما كان لا يزال مقبولاً . فأوتوستراد بحمدون سيكون بيد الاشتراكيين بعد انسحابنا من المحطة .

ثم وردت أنباء مزعجة من قطاع الشوف حيث جرى خرق لجبهة المريجات عبر هجوم قاده شريف فياض وبات هذا المحور يهدد بعزل الشوف عن عاليه . وهذا ما سبب لنا قلقاً شديداً .

ماذا عن الشحار

في الوقت الذي كان فيه سمير جعجع على اوتوستراد بحمدون ، كان فؤاد ابو ناصر يتابع أوسع هجوم تشنه القوات اللبنانية في تاريخها واستطاعت احتلال البنيه بعد ١٢ ساعة من القتال ، لكن القصف كان عنيفاً فأصيب فؤاد بجرح بالغ في يده نقل على أثره الى بيروت للمعالجة ، لكنه عاد فيما بعد وأكمل المعركة . وقد استطاع المغاوير بقيادة بوب بمعركة ضارية وذكية من احتلال تلة الروس الاستراتيجية على رغم عدم وجود التغطية المدفعية الضرورية (قذيفة كل ٥ دقائق من بيروت) .

ولكن على رغم وصول القوات اللبنانية الى البنيه فلم تصل الينا اية امدادات الى بحمدون رغم خسارتنا القسم الكبير من الشباب بين قتيل وجريح . . . من الناحية الدرزية لا بد من الاعتراف بأن التدخل الفلسطيني كان بالقدر الحاسم في المعركة ؛ اضافة الى ذلك أوفدت القيادة الاشتراكية مبعوثها عاطف سلوم الى مناطق بدغان ـ المشرفة ـ مجدل بعنا لحث الناس على الدخول في معركة بحمدون وبكل امكاناتهم «انها معركة مصير الأمة الدرزية» (حسب قول العرم) .

قاد الهجوم على محور بحمدون انور الفطايري بدعم كامل بشري وناري من الفلسطينيين والسوريين .

معركة الزعماء المسيحيين

على الرغم من كل هذه الابعاد الخطيرة التي اتخذتها الحرب حتى ذلك الوقت ، والتي توجب اتخاذ القرارات المصيرية الحاسمة ، فان الجبهة المسيحية كانت تقريباً في شبه شلل كامل .

فالاجتماع الذي تداعى لحضوره في المجلس الحربي كل من كميل شمعون ، بيار الجميل ، فادي فرام ، الأباتي نعمان ، وعدد من المسؤولين لم يسفر عن شيء . ذلك ان الرئيس شمعون اتصل معتذراً عن عدم تمكّنه من الحضور. والشيخ بيار الجميل وصل وصافح الجميع ودخل في خلوة مع الدكتور ايلي كرامه وبعض المسؤولين تاركاً الباقين في الخارج . وانتظر الأباتي نعمان طويلاً قبل ان ينفذ صبره ويدفع الباب ويصيح بالمجتمعين : «هل نحن أولاد صغار ؟ انتم لا تقررون وحدكم عن المسيحيين» .

من هناك توجه الأباتي ، مع شاكر ابو سليمان ، الى منزل الرئيس شمعون وقال له : «ارتدِ ثيابك لنذهب لعند الرئيس» . ارتدى شمعون ثيابه وتوجه الجميع الى القصر فوجدوا رئيس الجمهورية في غرفة العمليات مع ايلي سالم ، شفيق الوزان ، الفريد ماضي ، وديع حداد . . .

ـ قال الأباتي : «اسمحوا لنا لنجتمع بالرئيس . . .» .

ـ رد الرئيس : «ليبقَ الوزان» .

ـ الاباتي : «ليبقَ الوزان ولكن بعدها أريد أن اتكلم معك على انفراد» !

ـ شمعون (للرئيس) : «يجب ان ترسلوا الجيش ، إذا سقطت بحمدون ستكون مشكلة» .

ـ الرئيس : «انتم لستم مسيحيين ، ميشال عون قال لي ان الجيش لا يستطيع الوصول[1] . والوزان ساعد القوات اللبنانية وسينصفنا التاريخ» .

وعندما لمس الأباتي ان الوقت يضيع سدى ، وان شمعون كان «ناعماً» ، دق بخاتمه على الطاولة وقال بعصبية ظاهرة : «اسمحلي ، انت عملت واجباتك كما قلت والتاريخ سوف ينصفك ، التاريخ لن يدين أحداً سوى أنت والوزان ! . . .» .

واستطرد الأباتي قائلاً وسط صمت الحاضرين : «وليد (يقصد وليد جنبلاط) صديق لي ، ولكن أنت عدوه ورأسك هو هدف وليد وبري . انتم لم تقوموا بواجبكم أبداً . . . أي انسان يعرف ان هناك قوتين أساسيتين على الأرض : سوريا واسرائيل . أصبح لكم ٥ أشهر وانتم تتكلمون مع اميركا وماكفرلين اللذين هما في مياه البحر ، وتتكلمون مع السعودية وبندر وهما في رمال الصحراء . لولا عملتم بضمير أو تذهب الى سوريا وتخلص شعبك أو تذهب الى اسرائيل وتخلص شعبك . . . انت تقول انك ساعدت القوات اللبنانية . انتم حرقتوها ، وأكثر من ذلك حاولوا بتسليمكم كل شيء فلم تتسلموا !» .

وتابع الأباتي :

«سأل ارينز شارل مالك : إذا لم تستطيعوا مقاومة الدروز في الجبل فهل تعتقد ان الحكم يسقط ام لا ؟» ليلتها صعدت اليك وقلت لك خلصنا من هذه المشكلة . . . انك لم تصعد الى الجبل لاعتبارات شكلية فقط وذلك لعدم تواجد الجيش اللبناني مع الجيش الاسرائيلي على نفس الارض وذلك لمدة قصيرة من الوقت . . .»

وعلى الأثر اختلى الأباتي بالرئيس وقال له : «دخيلك خلص الموضوع واتصل بارينز . . .»

فرد الرئيس : «الجواب سيكون الساعة الخامسة . . .»

في باب القصر التقى الأباتي وديع حداد فقال له : «إذا لم تتصل بي من الآن وحتى الساعة الخامسة فسيكون حسابك عندي» .

---

(١) ـ كانت القوات اللبنانية قد احتلت كفرمتى وأصبح في الامكان التوجه الى جسر القاضي فبحمدون من دون معركة .

وكان واضحاً ان حداد لن يتصل بالأباتي تلك الليلة ولا فيما بعد ، وسقط الجبل ، وفجرت سيارة الأباتي ، والجواب لم يأتِ بعد !

أما القائد فادي فرام فطالب الدولة بارسال الجيش وناشد العالم الحر تنفيذ التزاماته حيال لبنان . . .

وأما «إذاعة صوت لبنان» فقد اكتفت بتذكير الناس «بأن مستقبل لبنان هو الذي يكتب في هذه الساعات الحاسمة فوق تلال بحمدون وروابي الجبل . . .» وغاب عن «صوت لبنان» أن مستقبل الشعوب وقدرها وتاريخها انما تكتب في زمن التحضير للمعركة وكيفية مواجهتها .

الأجواء الاقليمية ٤ ـ ٥ ايلول

ـ ٤ ايلول : دمشق حذرت الجيش اللبناني من دخول الجبل . (كانت اسرائيل قد فعلت ذلك في وقت سابق) .

ـ ٤ ايلول : ارينز انتقد لبنان ودعاه الى ابرام الاتفاق ، ولم ينسَ تحذير سوريا من التدخل !

ـ ٥ ايلول : سوريا طالبت بمقاطعة لبنان . . .

ـ ٥ ايلول : ارينز لم يستبعد محاولة السوريين اسقاط الجبل ! .

. . . وكان على خمسين مقاتلاً في بحمدون ان يقفوا في مواجهة خلل فاضح في الميزانين السياسي والعسكري للمعركة ! . . .

الثلاثاء ٦ ايلول :
أطول يوم في التاريخ . . .

ان ما تصدى له وقاومه الشباب في بحمدون بصدورهم لليوم الثالث على التوالي تضافرت ، فيما بعد ، لمقاومته البوارج الأميركية والطائرات الحربية والدبابات ، والخطوط الحمر . . . في سوق الغرب ! .

طلب إليّ الحكيم انشاء خط دفاع في بحمدون الضيعة ، فاصطحبت معي مجموعة من الشباب وانتشرنا من «جبل الرصيف» حتى أسفل القرية .

في هذه الاثناء اتصل بنا مارون من تلة شاناي ليبلغ «الحكيم» بأن الوضع هناك لم يعد مقبولاً ، ولكن «الحكيم» أشار اليه بالبقاء والصمود مهما يكن الثمن غالياً .

ماذا تعني عبارة «الوضع لم يعد مقبولاً» ؟

لم يشهد موقع ما في تاريخ الحروب ما شهدته تلة شاناي من بطولة . فمنذ مساء السبت ، الموعد الذي تسلم فيه مارون التلة ، وحتى هذا اليوم الثلاثاء ، لم ينقطع سيل قذائف الدبابات والمدافع والرشاشات الثقيلة والمتوسطة . وكان الاسرائيليون قد جعلوا من هذه التلة التي لا يزيد قطرها عن الأمتار العشرة مربضاً للدبابات واحاطوها بمراكز محصنة للرماة .

شن الدروز على التلة هجومهم الأول ليل السبت فسقط لهم عدد من القتلى والجرحى ولا تزال جثث سبعة منهم ملقاة على أرض المعركة . صباح الأحد شنوا هجوماً آخر مهدوا له بقصف مدفعي شديد (١٦٠ ملم) . مقاتلونا الموجودون في الحفرة هناك لم يكن بامكانهم رؤ ية المهاجين إلا متى بلغوا أطرافها ، لذلك تحولت المعركة في إحدى مراحلها ، معركة قنابل يدوية على بعد ثلاثة أمتار في الأكثر .

صباح الاثنين نجحنا في مد مارون بمجموعة خاصة من شبابنا ، فاستطاع الصمود على الرغم من استشهاد خمسة معه . ثم صعّدت الدبابات الاشتراكية والسورية قصفها للتلة بشكل متواصل حتى صباح هذا اليوم الثلاثاء . في غضون ذلك نجح الاشتراكيون في احتلال جبل الرصيف المسيطر على تلة شاناي ، وتضافرت الدبابات والهواوين في قصفها بما لا يقل عن مئة قذيفة أصابت

وسطها الذي أصبح حفرة كبيرة يمتزج فيها الحديد والتراب باللحم والدم والاشلاء . . .

«الوضع صعب جداً» . . . يا «حكيم» ، قال مارون عند الساعة العاشرة . كل الذين كانوا مع مارون على تلة البطولة الاسطورية كانوا ساعتذاك قد استشهدوا أو جرحوا ، ما عدا جوزيف وهو فتى في السادسة عشرة من عمره ، استشهد كل من اندره متى ، عماد الهاشم ، كسرى الهبر ، انطوان طوق وأصيب خمسة عشر آخرون اصابات بالغة . كان المهاجمون يعرفون ذلك تماماً ، فبدأوا هجومات المشاة :

هجوم أول . . . تلاه آخر . . . ثالث . . . رابع . . .

قال مارون ، المصاب في رأسه وفي رجله لجوزيف :

«اذهب انت . . . انا استطيع ان اتدبر أمري . . . إذهب !» .

ذهب جوزيف . . .

أطل اسطون دبابة من فوق الحفرة .

أمسك مارون ببندقيته واندفع نحو الدبابة والدم ينزف من رأسه وقدمه فقتل ثلاثة من المهاجمين المتسللين وراء الدبابة .

اطلقت الدبابة قذيفة من مدفعها في داخل الحفرة كان ضغطها كافياً لالقاء مارون خارج الحفرة ، كان يعرف ، ويريد ، ما يفعل . . «أدرك انه ينتحر» . . . فادار وجهه نحو بحمدون فيما طاردته قذائف دبابات جبل الرصيف .

احترقت رقبته . . . لكنه تابع سيره باتجاه مركز للشباب الذين اطلقوا عليه النار لأنهم لم يعرفوه . . لكنه لم يصب من رفاقه وطلب منهم مقاتلين ليعود الى التلة ، الى تلة شاناي .

هكذا ، بسقوط تلة شاناي ، سيطر الاشتراكيون بالنار على الطريق المؤدية الى بحمدون ، وأصبح الوضع على الصورة الآتية :

إذ نزل الاشتراكيون الى الطريق فإن أحداً بعد ذلك لن يستطيع الانسحاب من بحمدون . . .

حدث ذلك عند الساعة العاشرة والنصف صباحاً ، أي بعد دقائق معدودة من الأمر بالانسحاب الذي وجهه «الحكيم» وطلب اليّ موافاته في أول طريق بطلون السفلى .

أرسلت الشباب أمامي الى المكان المحدد ، لكنني أحسست بأن شيئاً ما ، أقوى مني ،

يشدني الى البقاء هناك . تمنيت ان ابقى في بحمدون ، أقاتل حتى نفاذ ذخيرتي ، ان أموت ولا انسحب . . .

حاصرتني صور الشباب ، رفقائي الذين استشهدوا معي . . . من بينهم أخي .

لم أشأ ان اذهب من دون هؤلاء . . .

ورائي قافلة من الشهداء ، وأمامي قافلة من الوف النساء والاطفال والعجزة . . .

هذه تناديني ، وتلك تناشدني حمايتها من الموت والذل :

قافلتان تتجاذباني في اتجاهين متضادين . . .

. . . وانتصرت الثانية ، واجتذبني صراخ الاطفال صوب القدر المحتوم .

كان «الحكيم» لا يزال ينتظرني عند طريق بحمدون ـ بطلون التي ينهمر عليها رصاص الدروز بغزارة ، مما اضطرنا الى التغلغل عبره الكروم.أما جورج مرهج الذي سبقنا على الطريق المذكورة فقضى بإحدى القذائف التي كانت تلاحقنا الى الحقول .

مع اطلالتنا على قرية بطلون استرحنا قليلاً . كان وجه «الحكيم» تعباً ، مرهقاً ، ارتسمت عليه الكارثة بكل مرارتها ، رغم أنه كان يكتم ذلك . أكلنا بعض العنب الذي رطب أفواهنا الجافة حتى اليباس ، قبل ان نكمل طريقنا عبر الكروم الى المنصورية . هناك كان الشباب ينسحبون من تلة العلم الاستراتيجية جداً من دون ان يشتبكوا مع أحد .

كان مقرراً أن يمتد خط دفاعنا الى المنصورية بسبب ضيق رقعة المواجهة هناك . وكان على مارون ، أيضاً ، أن يأخذ مجموعة مقاتلين ويصل بهم إلى التلة حتى لو سقط نصفهم على الطريق . وكنت قد تسلمت خط الدفاع الأساسي «النعايس» في البلدة مع خمسة من الشباب . وصل المنسحبون من تلة العلم وقالوا «للحكيم» انه لم يبقَ أحد في المتاريس . أما مارون ومجموعته فظنوني ورفاقي من الاشتراكيين ، بعدما قال لهم المنسحبون من التلة ذلك ، واطلقوا علينا النار . أوفدت اليهم من يأمرهم بالكف عن اطلاق النار وارسال حضيرة لنا لدعمنا ، لكن الرسول ناداني قائلاً انه لم يبقَ أحد في المنصورية . عندها طلب «الحكيم» من الموجودين الانسحاب الى رشميا ، وكلف مارون بابلاغي ذلك . لكنني نزلت الى المنصورية حيث وجدت مارون وحده ، مع طربيه ، ولم أجد أحداً سواهما في البلدة . كانت هناك آليتان محملتان بالاسلحة تابعتان لمركز المنصورية ما زالتا متوقفتين أمام المركز ، فطلبت الى طربيه أن يدمرهما فأطلق عليهما قذيفتي ب ـ ٧ فاحترقتا .

كانت عملية الانسحاب نحو الرويسة شاقة جداً . ارتال السيارات متوقفة في الطرقات تلهو بها القذائف بعضها محترق وبعضها الآخر لم يكمل احتراقه بعد ، وقد تركها أصحابها وتابعوا انسحابهم سيراً على الأقدام تحت وابل من رصاص «المضاد» المنطلق من عين حالا وعاليه .

أرسلت الشباب بسيارة الى رويسة النعمان وأكملت الطريق سيراً انا ومارون الى شرتون التي وصلناها الساعة الثانية من بعد الظهر والدماء تسيل منا فتمتزج بالعرق المتصبب عنا . . . مع اطلالة راهبات المستوصف علينا لم نصدق اننا ما زلنا على الأرض بل اعتقدنا باننا على مشارف السماء .

وأخيراً ، بعد ثلاثة أيام من دون نوم ولا طعام، تسنى لمارون من ان تضمد له جروح رأسه ورجله ـ كما ضمدت انا الجرح في يدي ـ وكانت لنا جلسة استراحة وكأس حليب وثياب استبدلنا بها ما كان علينا من اسمال بالية . بل كان لنا أكثر من ذلك كله : ماء ساخن لازالة الدماء المتجمدة على جسمينا قبل ان يأتي الاستاذ جوزيف وينقلنا بسيارته الى عين تريز .

هذه المرة كان علينا إقامة خط دفاع في رويسة النعمان ، فأتصل فؤاد «بالحكيم» وسأله عما سيفعل ، فأجابه : «سنقيم خط دفاع في الرويسة أولاً . . . فإذا وصلتم كان به ، وإذا لم تصلوا سنعمل مثل مسادا» . فرد فؤاد قائلاً : «لا تنسَ الطاسة وذخيرة الصليب» .

لم أكد استريح قليلاً بعد حمام ساخن حتى جاءني غسان قائلاً : «لم يبقَ أحد في كفرعميه !» .

ذهبت وحدي الى كفرعميه ، وفي الطريق التقيت «البطل» فاصطحبته معي . هناك شاهدت ادوار الشرتوني يطلق النار باتجاه مجدليا وهو منسحب ، فعرفت انه يفعل ذلك لأنه لن يرى تلك الأرض الحبيبة الى قلبه ثانية . وفعلاً استشهد ادوار ـ فيما بعد ـ في دير القمر .

فتيات الاشارة ومعهن شاب واحد . . . كان هؤلاء آخر من بقي في كفرعميه . تمركزت مع البطل في المتراس المواجه للغابون ، فتقدمت مني إحدى الفتيات (تريز) وسألتني :

ـ أين انطوان ؟

ـ مات . . . قلت ببرودة قاتلة ، وراحت الفتاة تبكي بصوت عالٍ لأنها كانت عرفت أخي الذي أمضى بضعة أشهر في كفرعميه .

وجه أمّة في وجه قائد

ذلك الوجه ، الذي أطل في باب مركز القيادة في عين تريز ، وجه «الحكيم» تلك الساعة ، لن أنساه ما حييت . من بين حطام ذلك الوجه تطل عينان حمراوان يمكنك من خلالهما أن تقرأ تاريخ أمتنا المسيحية بلونه الارجواني ، الدموي ، القاني . ما بين عينيه وأعلى هامته عشرات القرى المسيحية المهجورة لتوها ، فيما قوافل النازحين تشق دروبها اثلاماً وخنادق عميقة على امتداد جبهة «الحكيم» المتعبة .

وكأنما هو لم يعد يملك سوى ذلك النصف ابتسامة نظر الى حبيب رحمه (امانة سر عين تريز) وقال :

«شفت يا خيي حبيب ما في فيلم سينما من كذب . . .

كان الشاب يتطاير من دون ما يبقى منه أثر . . . معركة وخسرناها . . . » ثم أتصل «الحكيم» بوالدته التي كان وصلها خبر إصابته في المعركة وقال لها انه ما زال حياً .

في هذا الوقت تردى الوضع كثيراً في قطاع المعوش إذ احتل الاشتراكيون شوريت ، وشارفوا على الوصول الى مار مارون . كما احتلوا الجعايل وكفرنيس ودخلوا البيره ، وكان واضحاً أنه لن يمر وقت طويل حتى تقطع الطريق الى دير القمر .

أما قطاع المعوش فلم تجرِ فيه أية معركة ، وأول بلدة مواجهة كانت المريجات التي لم يكن يوجد فيها طوال مدة وجودنا في الجبل اكثر من عشرة اشخاص يختلفون باستمرار على من سيترأس البلدة ! وقبل المعركة أرسلنا فصيلة مقاتلين من مجموعة فرن الشباك الى هناك حيث تمركزت في «شق العجوز» . وعندما قام شريف فياض بعملية جس نبض على ذلك المحور أنسحب في أثرها قسم كبير من الشباب ، وهذا ما دفعه الى تكرار العملية من دون أن يكون ذلك داخلاً في الخطة الاساسية . وقد جاء سقوط بحمدون ليعطي الاشتراكيين دعماً كبيراً مقابل التأثير المعنوي السلبي الذي خلفه على مقاتلينا . وكان أن استولى الاشتراكيون الذين دخلوا المريجات على الجهاز اللاسلكي الخاص بنا وراحوا يتدخلون بيننا على السمع ويرسلون البرقيات مما تسبب في ارباك قطاع المعوش بأكمله .

هكذا كان لا بد من الانسحاب الى دير القمر قبل ان تقطع الطريق عند جسر عميق : الفواره ، وادي الست ، دفون ، رمحالا ، شرتون ، سلفايا ، عين الحلزون ، بسرين ، رشميا . . . الجميع الى دير القمر ! فيما توجهت من كفرعميه الى عين تريز حيث كانوا يجمعون المستندات ويحرقونها .

على أثر وصول البرقية التي تطلب الى الأهالي الانسحاب من عين الحلزون حصل خلاف حول ترك البلدة أو البقاء فيها . وعين الحلزون قرية نموذجية من قرى الجبل ، يحيط بها الدروز من كل الجهات ، وهي قرية زراعية لم يغادرها أحد من ابنائها الذين كانوا القدوة في الدفاع عن قريتهم . في صف الذين رفضوا مغادرة القرية وقف المسؤول كميل الهبر ، «الحنون» ، بعدما أرسل ابنه شمعون (١٢ سنة) مع من قرروا الذهاب الى دير القمر . في المساء اتصل «الحكيم» بالحنون وكرر له طلب الانسحاب ففعل ، وعند وصوله الى بسرين صادف جثة ملقاة على الطريق فقلبها ليرى ما إذا كان فيها نبض حياة فلم يجد فتركها وأكمل طريقه . في دير القمر سأل الحنون عن إبنه فقوبل سؤاله بالوجوم والأسى . لقد استشهد ابنه شمعون في بسرين ، أما جثته فكانت تلك التي صادفها الوالد ولم يتعرف اليها ، فيما عرفها شخص كان معه ولم يشأ ان يخبر الحنون بأن الجثة هي لولده .

ولكن قد يكون ما حصل في رشميا أقرب الى التصديق : رفض رجل مغادرة بيته الذي بناه بسنوات العمر وحبات القلب لكن أولاده أصروا وألحوا عليه فأذعن لمشيئتهم . غير أنه لم يبتعد عن باب البيت أكثر من خطوتين حتى التفت الى الخلف وخرَّ صريعاً عند عتبة بيت لم يقوَ على هجره . ترك الأبناء جثة أبيهم حيث هي ونجوا بأنفسهم . . . انه صراع البقاء .

راحت القذائف تتساقط على عين تريز وجوارها وكأنها حجارة يقذف بها الراعي الغاضب ليجمع شمل القطيع الموزع وتوجيهه نحو الحظيرة قبل حلول الظلام . هكذا بدت الطريق الممتدة من جسر عميق الى مار عبدا وكأنها جلجلة حقيقية : من الوادي الى الجبل كانت القافلة الكبيرة تجتاز درب صليب ارتفع على جبال دير القمر . كل يحمل صليبه ، الأطفال حملوه باكراً فكان صراخهم يختلط بولولة أمهاتهم وحشرجات آبائهم وأنين أجدادهم المتعبين . العجائز كانوا يتعاونون على حمل صلبانهم على ظهورهم المقوسة فيتكي أحدهم على الاخر ، بينما عصيهم تنغرس في الأرض رافضة ان تقتلع منها .

قافلة الذعر والصراخ والمأساة تسابق الموت والبقاء ، السقوط والاستمرار ، وسط أصوات المدافع والرصاص تزلزل طريق الجلجلة الطويلة المدماة بالاقدام الطرية والجروح الباكية . . .

«وأنا في الطريق الى دير القمر تلك الليلة ، أحسست وكأنني مدفوعة فوق سيل من طوفان أو على ظهر زلزال نحو النهاية أو القيامة . لم أكن أريد الذهاب برغم الخوف من الموت لكنني أخذت

نفساً عميقاً وملأت صدري قدر المستطاع من هواء قرية لن أراها ثانية» . . . قالت لي فيما بعد إحدى بنات الجبل .

كل الذين نزحوا عن قراهم لم يحملوا معهم شيئاً ، بعضهم خرج بثياب النوم ، البعض الآخر نصف عارٍ . . . حفاة . أم فقدت طفلها في الطريق ، وأخرى «نسيته» عند جارتها ! . أخت أضاعت أخاها ، أب يحمل على كتفيه ثلاثة أطفال ويمشي حافي القدمين ، فيسقط أحد الأطفال الثلاثة منه دون ان يلاحظ سقوطه ويكمل سيره هائماً وكأنه في حلم أو كابوس . . .

راهبات ورهبان وكهنة يتراكضون مذعورين هرباً من القذائف المنهمرة من كل صوب واتجاه .

جموع متألبة كالسيل المذعور المدفوع بقوة الموت . . .

إنه الجبل كله ينزلق .

يزحف .

يهاجر .

ينحسر .

ينكمش .

يتقزم .

. . . ويتقوقع في دير القمر ! .

وهناك ، في دير القمر ، بدأت المأساة تتعملق . . .

. . وتداعى الجبل كله ، وتساقط ، وتكوم ، واحتقن في دير القمر .

هوى من تلال البطولة ومتاريس الشهادة وقمم المجد ، إلى حيث الخوف والجوع والدموع . . . والموت الذي يطول من يشاء ، قرعة أو اختياراً أو صدفة . . . وصلنا الى دير القمر ويا لها من ليلة رهيبة : خوف ورعب وموت وقذائف عشوائية . رصاص القنص يطول الجميع . عند الساعة التاسعة ليلاً كانت دير القمر تحتضن جميع المسيحيين من ستين قرية . ومن بقي في بيته ذبح ذبح النعاج .

ألوف المسيحيين مشوا جلجلتهم من القرى الجبلية الى جبل مار عبدا في دير القمر ، فلم يسبق لجبل في التاريخ ان شهد ما شهده جبل مار عبدا تلك الليلة .

وفيما كان الرصاص يقطع الطريق ما بين عميق وكفرقطرا ، وارتال السيارات تتوقف في الطريق الترابية التي فتحناها ، قتل طفل وحيد على ذراعي أمه فما انقذها من ذلك سوى الجنون .

لم يتسع الدير والمدرسة إلا لجزء يسير من تلك الكتلة البشرية الهائلة التي رزح الجبل تحت ثقل مأساتها . وتساقط بعض القذائف في محيط الدير فكان دويها كافياً لجعل تلك الأمواج البشرية تتلاطم وتتدافع ويتساقط بعضها بين الأقدام المذعورة . ولم تمض لحظات حتى كان الجميع في الزوايا وعند الجدران وتحت السلالم ، وتكوم المئات من الخائفين في الغرف والممرات .

سألته :

كيفك يا حبيب . . .

قال ، وكأن صوته صدى يردده الجبل المهزوم :

ـ «أنا مت ، ولكن لا أعرف ماذا أفعل بهذه الجثة» . . . وأشار الى نفسه ! .

وفي دير القمر ، ساعة بعد ساعة ، كانت تتضح معالم المأساة ، وقسماتها ، وتفاصيلها العميقة العميقة جداً حتى الضمير الانساني .

أحدهم ماتت والدته فألقى بجثتها قرب حائط في خارج الدير ، وصلت فتاة مرهقة فقعدت على الجثة دون أن تنظر اليها ، لكنها سرعان ما صاحت هلعاً وكادت تجن .

هكذا بدا أنه لم تعد هناك قيمة أو أهمية لأي شيء سوى البقاء ، فبدأت الترانيم والصلوات والابتهالات تتعالى ممتزجة بصراخ الاطفال الجياع : انه المفر الوحيد من الخطر والخوف على الحياة .

الجميع عيون ضارعة الى الله .

الكل يتوسلون لابعاد هذه الكأس .

أما الأطفال فما كانوا يعرفون ان الكأس التي تقدم لهم في دير القمر هي كأس معتقة جداً ، ومزمنة جداً في هذا الشرق الباحث بعد عن ذاته الضائعة على طريق الجلجلة .

ماذا جرى في باقي المناطق ؟

وفيما كانت طلائع الجبل النازح تتقوقع في دير القمر كانت مسيرة الزحف والانزلاق تستكمل في غير مكان :

قطاع الودايا (سهيل منسى) صمد ببطولة أمام هجمات الاشتراكيين على مراكزنا في سرجبال

ووادي الدير وبنويتي ووادي بنحلاي . ثم نجح المهاجمون في خرق جبهة بنويتي وجرت معركة ضارية استشهد لنا خلالها ثمانية رفاق . ولم يتمكن مقاتلونا هناك الذين قاموا بهجوم معاكس من استرداد المنطقة .

ثم سيطر المهاجمون على وادي بنحلاي ، فطلب «الحكيم» سحب المدنيين الى دير القمر تحت تغطية مدفعية من دير القمر . لكن سهيل وجد صعوبة كبيرة في سحب الأهالي لأنهم كانوا مصرِّين على البقاء في قراهم والموت في منازلهم . بعد ذلك سحب المقاتلين والمدنيين الى الدبيه ، ومنها الى المشرف .

بلدتا بيت الدين والمعاصر كانتا لا تزالان في أيدينا غير ان الروح المعنوية لشبابنا فيهما كانت متدنية جداً نتيجة سقوط كل المنطقة المحيطة بأيدي الدروز . . . ولكن حتى تلك الليلة كان «الحكيم» لا يزال يأمل بالفرج الآتي من كفرمتى لذلك طلب الى مجموعة معينة البقاء في عميق بانتظار التطورات .

انحسرت شمس ذلك النهار ، الثلاثاء في السادس من أيلول ، على «أطول يوم في التاريخ» لأنه اختصر مئات السنين في يوم وعشرات الكيلومترات في جلجلة ، وستين قرية في دير القمر . . . بل لعله اختصر مأساة كل مسيحيي الشرق في دير لبناني صغير فوق قمة مار عبدا المحاصرة كالجزيرة وسط بحر لا يكاد يستقر ويهدأ حيناً حتى يعود فيثور غالباً .

مجازر متلاحقة من بمريم وراس المتن ، الى البيره ومعاصر بيت الدين ، وفي الوسط انتهت في بحمدون معركة بلا رحمة ولا أسرى .

الاربعاء ٧ ايلول

في هذا اليوم دخل الاشتراكيون القرى التي انسحبنا منها : البيره ، كفرنيس ، المعوش ، بسرين ، عين الحلزون . . . وتابعوا تقدمهم باتجاه رويسة النعمان . في المساء طلب وليد جنبلاط من جماعته وضع كل إمكاناتهم على محور عبيه ومنع القوات اللبنانية من التقدم الى قبر شمون ، كما طلب منع خروج أي شخص من دير القمر إلا بأمر شخصي منه . في هذا الوقت طلب مني «الحكيم» ان ننفذ اعادة انتشار نحو جسر القاضي لتحقيق الاتصال بقواتنا ، فأخذت مجموعة وتوجهنا الى جسر عميق ، ومن هناك أرسلنا مجموعة الى جسر القاضي وبدأنا نحضر للعودة الى رشميا ، بعدما أرسلنا مجموعة الى تلة معاصر بيت الدين .

وفي هذا اليوم ، أيضاً ، وصل الجيش اللبناني الى سوق الغرب ، فيما وصلت القوات اللبنانية الى المفارق السبع عبر قبر شمون .

ذلك اليوم انتظرنا طويلاً وصول قواتنا من قبر شمون الى جسر القاضي ولكن عبثاً كنا ننتظر . . . فالذي ظهر هو طلائع الآليات الاشتراكية تدخل رشميا حيث راحت ألسنة النيران وأعمدة الدخان تتصاعد منها ، بينما اتجه المهاجمون نحو عين تريز وشرتون وسواهما . . . ومع هبوط الليل كان لا بد من سحب المجموعة الى عميق بعدما يئسنا من الفرج الآتي من بيروت عبر جسر القاضي !. وفي طريق انسحابنا دخلنا منزل أحد الرفاق في الكنيسة ، أكلنا من خيرات البيوت القروية الزاخرة بالمؤونة قبل ان نعود الى عالم الحصار والجوع في دير القمر . أخذنا معنا عشرة أكياس من الطحين ، وبعض المأكولات ، أما أنا فاكتفيت بعلبة حليب . في طريقنا أيضاً مررنا بكفرقطرا التي رفض بعض أهاليها مغادرتها .

أما شبابنا الذين في تلة المعاصر فقد استشهد منهم ثلاثة هم جوزيف اللقيس ، فادي شبيعة ، ميلاد رحمة ، في اثناء هجوم عنيف شنه عليهم الاشتراكيون ، قبل ان يطلب «الحكيم» من الجميع التوجه الى دير القمر . وكانت محاولة إعادة الانتشار الرصاصة الاخيرة في رأس أمل الاتصال بالشحار الغربي الذي اتضح لنا أنه سراب ووهم .

الموقف السياسي في ٨ ايلول

ـ تل أبيب أكدت وجود خبراء سوفيات في الجبل ، فيما أعلنت الولايات المتحدة الاميركية عن انها تحمل سوريا مسؤولية كبيرة في ما يجري في الجبل .

ـ دمشق أعلنت بلسان وزير دفاعها عن استعدادها لتقديم كل دعم الى «جبهة الخلاص الوطني» .

ـ سماء لبنان شهدت طلعات عدة لطيران القوة المتعددة الجنسيات .

ـ الشيخ بيار «ربما وصلنا الى اتخاذ قرار» .

عين الحور ـ البرجين

يوم الجمعة ، التاسع من ايلول ، كان يوماً صعباً على جبهة عين الحور ـ البرجين . يومذاك طلب المسؤول الاشتراكي عن عمليات الشوف تجهيز وحدات قتالية بالسرعة القصوى لتنفيذ عملية عين الحور ـ البرجين . وفي نفس الوقت طلب الى المجموعات الفلسطينية التي احتلت بيت الدين التوجه الى غرفة عمليات «بدي» لتنفيذ المهمة ، كما طلب شريف فياض سرية من قيادة المختارة . وصلت تعزيزات الى منطقة عاليه ومحور قبر شمون ، وسريتان إحداهما من الشوف والثانية من صوفر لتدعيم محور عاليه . أما سرية حاصبيا وراشيا فتسلمت محور قبر شمون وتلال بيصور ، ووضعت مدفعية السوريين في المتن بتصرف جبهة قبر شمون .

هكذا أصبح مجموع القوى المعدة لعملية عين الحور ـ البرجين كافياً جداً .

وصباح اليوم التالي بدأ الهجوم بقصف مدفعي عنيف وزحف مدرع على محوري عين الحور والتلال المحيطة . غير أن المقاومة الباسلة منعت المهاجمين من التقدم مدة طويلة قبل أن تسقط البرجين وتليها عين الحور . على الأثر سارعت قوات من المغاوير والوحدات الاضافية التابعة لنا الى القيام بهجوم معاكس أدى الى استرداد البلدتين : وكان ذلك أقرب الى الخيال منه الى الواقع والامكانات .

سياسياً

- اسرائيل حذرت من مجزرة في دير القمر .

- وليد جنبلاط أعطى «وعد شرف» بعدم التعرض لدير القمر .

- منذ هذا اليوم لم تعد محاور القتال تشهد أي تقدم على الأرض رغم ضراوة المعارك .

واتضح هدف الحرب ، إذ أشار اليه سهم الجحافل الفلسطينية الاشتراكية السورية المتجهة الى سوق الغرب ، حيث دارت معارك هي ذروة في الضراوة والشراسة استبسل فيها الجيش اللبناني ضباطاً ورتباء وأفراداً ورسم خطاً أحمر لا يسمح باختراقه .

عند هذا الخط الأحمر بدأت تتبلور مواقف محلية واقليمية ودولية على الشكل التالي :

- ٩/١٠

- ريغان : لم نتوقع الحرب في الجبل .

- ارينز : اسرائيل تواصل العمل لتحقيق اتفاق بين اللبنانيين .

- شمعون : يشكر الحكومة الاسرائيلية لموقفها من دير القمر .

- توغل الاسرائيليون ١٥ كلم في الشوف للمرة الثانية .

- ٩/١١ - انهى الجيش اللبناني تمركزه في الشحار .

- اسرائيل : «على مسيحيي لبنان ان يتعلموا السير على أقدامهم» .

- واشنطن وتل أبيب تبادلتا معلومات عن حرب الجبل .

- مجزرة في البيرة ضد المسيحيين .

- نداء من خريش للصلاة من اجل دير القمر .

٩/١٢ - تل ابيب : ٢٠٠٠ فلسطيني في عاليه والشوف .

٩/١٤ - نزاع بين ارينز وشارون الذي دعا الى انقاذ دير القمر .

٩/١٨ - ارينز : نتفهم دفاع الدروز عن قراهم . . . ولكن لا حاجة الى تحطيم بوابات بيروت .

عدم الابقاء على الدجاج

ماذا حصل في قرى الجبل بعد نزوح المسيحيين عنها إلى دير القمر ؟

هل بقي هناك ، في القرى المهجورة ، من يمكنه الادلاء بشهادته للتاريخ .

كانت الأوامر المعطاة للمهاجمين واضحة ، حازمة : قتل كل حي في بحمدون ، حتى الدجاج ... ولكن على رغم ذلك بقي هناك بعض الشهود، ممن نجوا بالصدفة أو بواسطة بعض الخيرين الذين لم تستطع شهوة القتل أن تدمر كل معالم الانسان في ذواتهم.

* الياس متى من بحمدون ، عمره عشرون عاماً ، لم يستطع نسيان الكابوس ، وقد لا ينجح في تناسيه أبداً :

كنت مع أمي وأختي (١٣ سنة) عند جارنا إبراهيم متى (٧٠ سنة) وعائلته صباح الثلاثاء عندما بدأ الرصاص يدخل من النوافذ . تسلقت الى «التتخيتة» واختبأت هناك ، ثم حطم المسلحون الباب ودخلوا الى البيت ، وقالوا لمن كان فيه : «نحن دروز ... مش أحسن من الكتائب ؟»... ثم انصرفوا بعدما طلبوا الى الموجودين البقاء في المنزل .

مكثنا هناك لا نجرؤ على الحراك حتى صباح الاربعاء عندما عادوا ثانية وطلبت أمي اليهم ابلاغ سليم القنطار من عاليه رغبتها في التحدث اليه . وبالفعل حضر سليم يوم الخميس في ملالة تقله مع صحافيين اميركيين وانكليز تحدثوا الينا وصورونا ، أما الدروز فقالوا للصحافيين انهم ابقوا علينا ولم يقتلونا . ثم تركونا ليعودوا نهار الجمعة حين طلب منهم صاحب البيت ان يعطونا رسالة لعدم التعرض لنا . فقال أحدهم : «سنكتب ذلك على الحائط» . في هذا الوقت كنت مختبئاً في الحمام حيث فوجئت بدخول شاب مسلح !... يا الله انه رمزي غريزي من بعلشميه أحد رفاق المدرسة . لا أدري لماذا تظاهرت أمامه بأنني مشلول ، ولكنه خرج وقال لرفاقه لا يوجد أحد في الحمام ، ثم أخرجوا الجميع من المنزل . لحظات انطلق الرصاص ، وسمعت صراخ اختي ... انتظرت حلول الليل ومشيت باتجاه بخشتيه . كانت بحمدون تحترق . مررت على كرم جدي حيث أكلت العنب وشربت الماء . كنت أسير بلا سلاح ، لكنني كنت أصلي بلا انقطاع . وصلت الى الغابون ، وصباح السبت الى الصنوبرات حيث كان القصف عنيفاً في سوق الغرب . وعندما



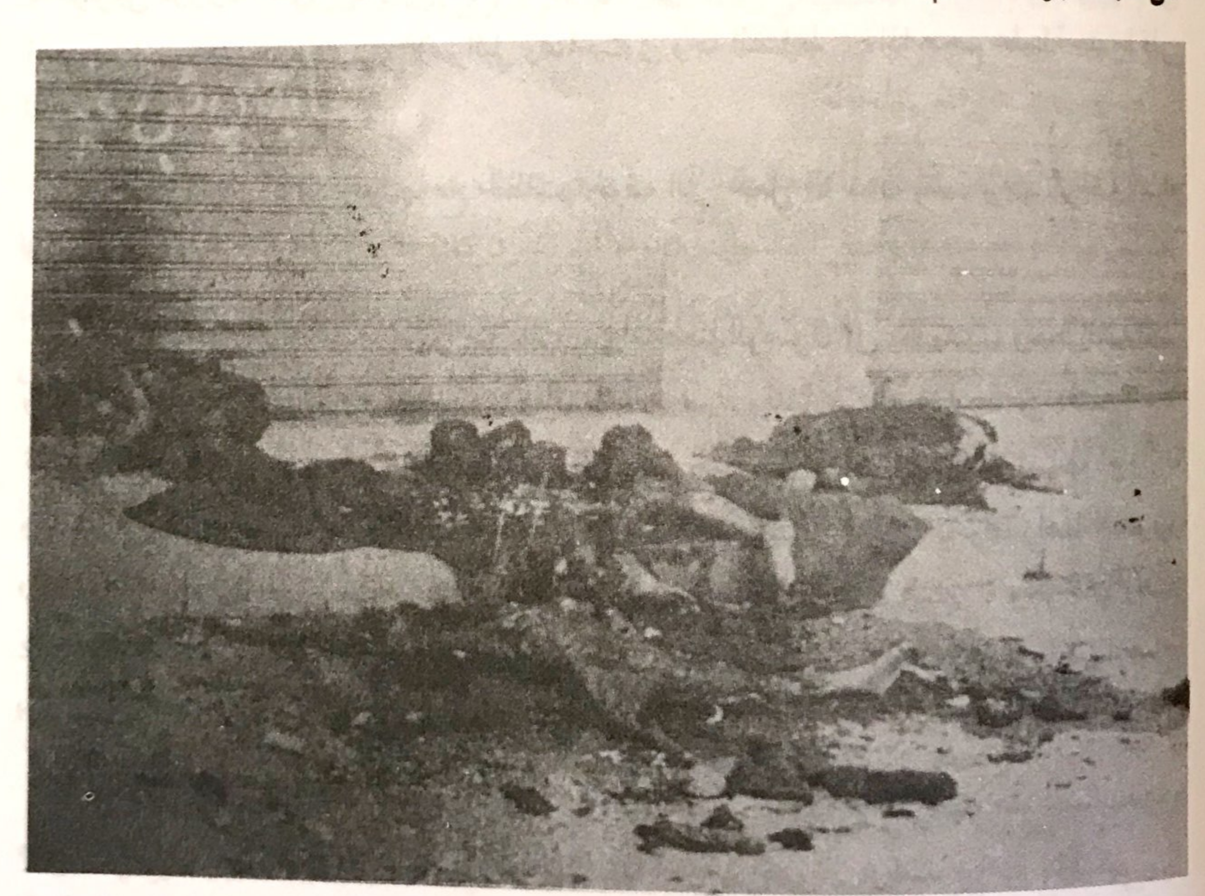




لم أسمع في الخارج سوى صراخ أختي هويدى



ثمن فنجان قهوة قدمته لهم . . . !



والقاهم الدروز في شوارع بحمدون : حقيقة لا ترحم .

وصلت الى قرب تلة المدور رآني الدروز وصرخوا : «اقتلوه . . . اقتلوه» وأطلقوا النار عليّ فقفزت من على «شير» عالٍ وسقطت على شجرة صنوبر ، من دون ان أصاب بأذى . استأنفت الجري باتجاه طريق مزفتة والدروز لا ينقطعون عن اطلاق النار عليّ . تعثرت بشريط فوقعت ، ولم أكد ارتطم بالأرض حتى انفجر لغم بجواري أصابني في صدري ويدي ، لكنني تابعت اندفاعي نحو مركز للجيش اللبناني حتى وصلت اليه . من هناك نقلوني بملالة لم أكد أراها حتى هويت ولم أعد أرى شيئاً .

أما الذين كانوا معي في بحمدون وقتلهم الدروز فهم :

ابراهيم نعمان (٧٥ سنة) وزوجته (٧٠ سنة) وابنتهما نعمات (٤٥ سنة) . نجيب متى (٦٠ سنة) وابنه (٣٠ سنة) وزوجته (٥٠ سنة) وأخوه (٤٥ سنة) . اضافة الى أمي فريدة (٤٥ سنة) وأختي هويدة (١٣ سنة) .

* أستير ميشال مراد من قتاله (٥٠ سنة) ، غير متزوجة لأنها نذرت نفسها لخدمة والديها المقعدين في الفراش لثلاث عشرة سنة خلت . تعرفت بأستير ووالدها المختار يوم اجتمعت في منزله بالكولونيل دورون الذي كان ينوي هدم المتاريس التي أقامها الأهالي في البلدة . يومذاك وقفت أستير مع اختها في وجه «الجيب» الاسرائيلي وصاحت في وجه الضابط : «اذا هجم علينا أحد ما فلن تأتي انت للدفاع عنا» .

قالت ، وهي تروي قصتها مع لحظات الخوف التي تجعل الانسان يقف وجهاً لوجه أمام الموت :

انسحبنا من قتاله عندما طلبوا منا ذلك ، واستطعنا الوصول الى بحمدون وسط القذائف والرصاص بأعجوبة . ثم وصل الدروز وقال لنا أحدهم ـ وقد زعم انه ضابط من «فتح» ـ لا تظهروا أمام أحد ! . ولم يكد هؤلاء يديرون ظهورهم حتى جاءت امرأة مسيحية اسمها أم وازن ونادت أمي التي ردت عليها قائلة «نحن هنا» . وعندما اتجهت أم وازن نحونا رآها الدروز وانتهروها لتعود الى البيت ثم امتزج الصراخ بأصوات الرصاص وألسنة النار ، وخرجوا وهم يصرخون : نحن اسياد هذه الأرض . . حتى الدجاجة سنقتلها . . وفعلاً كان صراخ الدجاج يسمع كصيحات الاطفال المذعورين .

قالت لي اختي : «لقد جاء دورنا وسوف يقتلوننا» . . . صباح الاربعاء عاد الضابط من «فتح» وقال : حضروا حالكم للنقل ولكن لا تدعوا أحداً يراكم . . . بعد ساعة ننقلكم . . وانتظرنا نصلي . . .

بعد ساعة تقريباً عاد الضابط ، الذي قال انه من آل حبيقة ، ومعه اثنان من رجاله غير اني قرأت شيئاً ما غير مطمئن في وجوههم . أخذوا سلاسل الذهب من اعناقنا ، وسألوا : أين المال ؟ فأعطيناهم كل ما كان معنا ، فطلبوا التذاكر : فنظر الى هوية أختي وقال لها غاضباً : انت مورانية ! والقاها أرضاً وسحقها بقدمه ! . . . في هذا الوقت كان أبي وأمي يصليان في فراشهما عندما دخل أحد المسلحين وأفرغ رصاص بندقيته في صدريهما فلطخ دمهما سقف الغرفة . ثم أقترب مني وانتزع صورة مار الياس من صدري وأطلق عليّ النار وذهب الجميع . بعد قليل عرفت انني أصبت بيدي وخاصرتي ، فربطت يدي بمنديل دهنته بزيت مار الياس واستلقيت قرب جثث امي وابي وأختي وتظاهرت بالموت ، وكان ذلك نهار الاربعاء .

صباح الخميس دخلوا المنزل ورأوني فطلبوا مني الخروج . عند الباب رأيتهم يقتلون رجلاً أرمنياً عمره سبعون عاماً ، ثم يقتلون أولاده بجانبه .

جاء دوري . . . لكن الصدفة انقذتني إذ ظهر في هذه اللحظة شخص اسمه رياض بو سعيد من بعلشميه وسألني : هل انت ابنة أبو منذر ؟ قلت : أجل يا رياض فوضعني بسيارته ونقلني الى بر الياس حيث سلمني الى مستوصف الهلال الأحمر . دفعوني نحو أحد الاطباء وقالوا له : هذه لك وتبين لي انه مسيحي ومعه اثنان أحدهم درزي والآخر مسلم .

*** سعيد خيرالله ـ المحطة :**

كنا أربعة عشر شخصاً ومعنا طفلان ، روزي (سنة ونصف السنة) وريتا (ثلاث سنوات) ، مختبئين في كاراج عندما وصل الفلسطينيون والاشتراكيون كان ذلك صباح الثلاثاء وكنا أحضرنا السم (ديمول) لكي نتناوله قبل ان يقتلونا . بدأ الكلب ينبح فشعرنا بدنو أجلنا ، لكن الزائر كان جدي (٩٥ سنة) الذي دخل وهو يشتم الكتائب لأنهم يريدون دخول بيته ـ على حد تصوره ـ وقال أريد ان أواجه رئيس المركز . . .

«لقد سقطت بحمدون يا جدي ، ولم يعد هناك كتائب . . . وسيذبحنا الدروز !». قلنا له .

«انتم لم تفعلوا شيئاً لكي يذبحوكم» . . . انني عائد الى بيتي . . . وعاد جدي الى بيته .

فجأة قررت أمي شيئاً ، نادت أحد المسلحين من الخارج ، كان فلسطينياً وعندما رآنا قال اشكروا ربكم لأن الدروز لم يروكم وإلا لكانوا ذبحوكم . . . كل من بقي هنا قد ذبح أو قتل . نحن لا نقتل المدنيين . انظروا ـ كشف عن بطنه ـ هنا خمسون «قطبة» بسبب مجازر صبرا وشاتيلا . نحن نريد الوصول الى بعبدا : نريد رأس رئيسكم . لبنان سيصبح بلداً عربياً ، ولا حكم

للمسيحيين بعد اليوم . نحن لم نشارك في القتال إلا بعدما قبل جنبلاط قدمي «أبو موسى» . . . ثم أحضر لنا بعض الخبز ، وقال : غداً نرى ماذا نفعل بكم ! .

لكنه لم يغب بضع دقائق حتى عاد ومعه مسؤ ولان فلسطينيان كبيران هما «أبو صالح» ، و«أبو نواف» وقالوا لنا : «بعد الذي رأيناه في سوق المحطة من ذبح وقتل نفضل ان تذهبوا الآن» . وأخذونا الى ضهور الشوير حيث سلمونا الى أول حاجز للجيش . . . وأخبرنا الفلسطينيون ان أحد المدافعين عن بحمدون ظل يطلق النار من داخل منزله حتى قتل خمسة منهم وجرح الكثيرين . وعندما اقتحموا المنزل بعد تطويقه أخذتهم دهشة كبيرة لأن المقاتل المدافع كان مقعداً على كرسي ! .

* أما في قرى شرتون ، رشميا ، البيره ، الفواره فقد قتل الدروز كل من بقي فيها من المسيحيين (حوالى ثلاثمئة ضحية) ، واستطاع الهرب والوصول الى دير القمر اثنان من المعوش هما : ادوار نون ونهرا ديب وذلك بعد سبعين يوماً قضياها في المغاور يقتاتان من «الزعرور» وعلف البقر . . . وكفرقطرا رفض أهلوها النزوح فقتل الدروز قسماً كبيراً منهم وهجروا الباقين فيما بعد .



وجد من يضع عليه غطاء



دير دوْريت : أحدث هندسة درزية



بحمدون : كلهم تركوا بصماتهم عليها

الفصل الرابع

حصار المئة يوم
في دير القمر

«لما لم تعد تكفي كثافة الجدران (٦ أمتار) في دير البلور وغيره في وادي العاصي ، تطلع المسيحيون الى قلعة لا تقهر فوجدوها في وادي قاديشا على سفح جبل الأرز . . . هيكل له جدران ترتفع حتى السماء . . . إنه الوادي المقدس ، تفوح منه رائحة البخور صلاة . . . فيه كان بطاركة من ذهب، عصيهم من خشب . . .»

في تلك الوادي تمركز المسيحيون زمن الاحتلال الاسلامي الذي دام الفاً وثلاثمئة سنة ، ولولاه لما بقي مسيحيون في لبنان . وتتابع الحصار : من وادي قنوبين ، الى حرب السنتين إثر الهجمة الفلسطينية العربية المتعددة الجنسيات التي استهدفت المسيحيين ولم تترك لهم سوى البحر منفذاً .

. . . وتكررت القصة إياها في أماكن مختلفة : الدامور ، جزين ، القبيات ، دير الأحمر ، الاشرفية مئة يوم ، زحلة ، الجبل ثمانية أشهر . والبوم هو اليوم الأول من حصار المئة يوم لدير القمر .

السادس من ايلول كان الجبل في دير القمر ، وفي ١٥ كانون الاول رحل الجبل الى بيروت .

ماذا كان في دير القمر ، ذلك اليوم ؟ .

على كل شبر مأساة ، وفي كل حنجرة غصة ، وفي كل صدر غضب على السياسات الذليلة ، الناس تملأ الطرقات ، البكاء والجوع في كل مكان .

في عالم المأساة هذا لم يكن هنالك أي مكان للاحساس بالحزن رغماً عن المأساة .

لا مكان للخوف في دير القمر .

ولا للفرح ايضاً .

رأيت بعضهم يقف في مكان مكشوف عارضاً جسده على بندقية القناص ، عن سابق تصميم شاهدت الناس ينامون في العراء وكأنهم خائفون من زلزال آخر يستيقظ فجأة فيأتي على ما لم يستطع هدمه الزلزال الأول .

بعضهم كان ينام في الكنيسة ، مصلوباً على بلاطاتها الباردة تحت قدمي المصلوب .

كنت أراقب ذلك بأعصاب باردة الى درجة أخافتني .

لم ينتابني أي شعور بالحزن ... لم تسقط مني دمعة واحدة ... حتى على أخي .

بالمقابل تملكني إحساس عارم بأن محبتي تتسع لكل الناس الغارقين في مأساة دير القمر ، وتمنيت لو أن لي ذراعين كذراعي ذلك الصليب المبسوطتين فوق جبل مار عبدا لاحتضن بهما «شعب» دير القمر وأحميه .

... لكن فتاة باغتتني عندما دنت مني ولم أسمع وقع قدميها ثم قالت لي : «دخيلكم خلونا معكم ... وعندما يهجمون علينا اقتلونا قبل ان يصلوا الينا» .

كيف أصبحنا هنا ؟ كيف سنخرج من هنا ؟ لم يكن أحد بعد - سوى «الحكيم» - قد وقف أمام هذا التحدي قائلاً لي :

«إنها خسارة استراتيجية ... تمالكت نفسي في دير القمر حتى النهاية ... مررت على الأهالي ... طوال ثمانية أشهر لم يعرفوا غيرنا . تعلقوا بنا ، مصيرهم بيدنا ، نعطيهم معنويات ، نركض أمامهم ... فضلت لو لم أعد أظهر على أحد . كلفتك يا بول باقامة الحزام الأمني في دير القمر ...»

«كان همي المدنيين ، لو كنا وحدنا لهان الأمر ،أحسست بأنني في حاجة الى الوحدة ... الى التداول في الأزمة مع اصدقاء على المستوى الاستراتيجي ! في دير القمر جلست اخطط للمرحلة المقبلة ، لاستثمار الخسارة : عليّ ان أفكر أولاً في حل قضية دير القمر ...» .

في هذا الوقت بدأت بوادر كارثة تظهر ، إذ سرعان ما فقدت المواد الاساسية من الخبز والطحين والحبوب ... وقد بكرّ «الحكيم» في التحسب لذلك عندما اتصل بالشيخ بيار الجميل وحذره من ان كارثة ستحصل في غضون أربعة أيام إذا لم يصل الصليب الاحمر الى البلدة المحاصرة ... فوعد الشيخ بيار خيراً .

غير ان ذلك «المجتمع» ، مجتمع دير القمر الذي تكون من «مجتمعات» قرى الجبل ومناطقه ، ما كان يستطيع التوقف عن الحياة بانتظار الصليب الأحمر : لا بد له من ان يستمر ، يأكل ، ينام ، يتحرك ، يحب ، يدخن ... يمارس ذاته بكل أحاسيسه النبيلة والوضيعة ، الروحية والجسدية ، القوية والضعيفة ...

وكان على «الحكيم» ان يكون مسؤ ولاً عن هذا المجتمع من شيخ سبعيني يطالبه بالرغيف ، الى رجل يريد بسيجارة ، الى أم تريد علبة حليب ، الى طفل يسأل عن لعبته وضحكته الضائعتين ، الى طبيب يطالب بالدواء . . . إضافة الى مسؤ ولية الدفاع عن حدود «الوطن» الصغير الناشىء حديثاً رغماً عنه .

كان على هذا الوطن ان يعيش على هامش ضيق جداً ما بين مطرقة القنص والقصف من الخارج وسندان الحاجات اليومية المتزايدة بالحاح من الداخل .

إنه الخطر الحقيقي المخيف ، الذي يضع كل «مواطن» في «وطن دير القمر» أمام ذاته وعلى محك حقيقته ، إذ ليس كالاحساس بالنهاية والموت ما يعيد الانسان إلى نفسه ويعري حقيقته أمام الأخرين وأمام الله .

هناك ، في دير القمر ، أفرز الواقع الذي لا يرحم أحداً أو يراعي أحداً ، الناس جماعات وأفراداً : الجبان والشجاع ، الشهم والحقير ، السخي والبخيل . . . الكبير والصغير . وهناك ، في تلك الأيام العصيبة ، انشطر الانسان نصفين : فهذا رجل يبعد اللقمة عن فمه ويعطيها لطفل جائع ، وذاك رجل يسابق اطفاله الجياع على لقمة ينتزعها من أيديهم !.

وصل رجل في السبعين من عمره وقال لي : «أريد مقابلة الحكيم» . قلت : «ما هي مشكلتك يا عم» ، أجاب : «انني جائع أريد رغيف خبز» . دخلت الى غرفة فيها أربعة ارغفة هي لمجموعة كاملة وعندما أخذت قطعة خبز بكت إحدى الفتيات .

هكذا اكتشفت ، ان كلام جدتي عن مجاعة الحرب العالمية الأولى الذي دفع الناس ، للتنقيب عن حبة الشعير في روث البقر كان صحيحاً .

ان مجتمعاً هذا شأنه هو مجتمع مرشح لمختلف أنواع الانفجارات الصحية ، والاجتماعية والاخلاقية والأمنية ، اذا لم تحسن ادارته . فالمسألة لم تكن مسألة جنود في معسكر أو لاجئين مدنيين في مخيم ، انها مسألة الجبل كله في بلدة وحدها . «دولة» ولدت صدفة ، في ظروف قاهرة ، تقتضي ادارة عاجلة ، حكيمة ، حازمة .

إدارة الحصار

الجبل الذي كان قائماً منذ ثلاثة أيام خلت ، أصبح بمدنييه ومؤسستنا العسكرية في دير القمر . ومن الطبيعي ان تكون ادارة الجبل في دير القمر أصعب بكثير من ادارة الجبل في الجبل نظراً للظروف المأسوية للفرد والجماعات ، وبسبب العمل الذي كان يتم في مناخ غير طبيعي ، ناهيك بالنقص في المواد والوسائل والحاجيات وفقدان الكثير من مقومات الحياة اليومية والأساسية .

أمام كنيسة مار عبدا ، في الباحة الواسعة ، انتصب رجل ليتحدث بلهجة الواثق من نفسه ، وبمنطق القائد الذي لا تسحقه الهزيمة مثلما لا يسكره النصر . وبشجاعة الرجل الرجل حدّث «الحكيم» المقاتلين الذين غصت بهم ساحة الكنيسة ، قال :

«لقد ربحتم الحرب كمقاتلين وخسرتها انا كقائد . طلبنا منكم الصمود اثنتي عشرة ساعة فصمدتم اثنتين وسبعين ساعة . . . والآن نحن هنا ، نحن في دير القمر ، وعلينا استيعاب الوضع الجديد . علينا حماية دير القمر ، فمن يستطيع العمل مع العسكر فليبق مع العسكر ، ومن يجد نفسه غير قادر على ذلك فباستطاعته ان يكون مع المدنيين . . .»

في المساء طلبني ليقول لي : «انت مسؤول عن العسكر ، المطلوب اقامة حزام أمني لدير القمر» .

بعد ذلك عقد اجتماعاً للمسؤولين عن الوحدات وطلب إلى كل منا ان يستمر بالعمل في الجهاز والسلاح اللذين ينتمي اليهما : (الادارة واللوجستية ، الاستخبارات ، الهندسة ، المدفعية ، المساندة . . .) .

ثم انتقل الى عقد سلسلة اجتماعات متتابعة مع المسؤولين المدنيين في دير القمر وفي مقدمتهم الاستاذ جورج ديب رئيس البلدية ، وذلك لترتيب أوضاع الناس النازحين لجهة تأمين المسكن والوسائل المعيشية . وشكلت على الأثر لجنة خاصة بشؤون المدنيين برئاسة الاستاذ ديب .

العمل العسكري

فجر اليوم الثاني لوصولنا الى دير القمر بدأت العمل على إقامة حزام أمني للبلدة كما طلب اليّ ذلك «الحكيم» . لكنني لم أكن استطيع أن أطرد من مخيلتي صورة مذبحة العام ١٨٦٠ ، التي كانت محفورة في ذاكرتي بحيث التقيها سواء في مدخل كنيسة سيدة التلة ، أو في سراي دير القمر ، أو عند كل جدار قديم تقعد عنده عائلة ، أو ما تبقى من عائلة ، باكية على أمس النزوح حالمة بغد العودة . ولعل أحداً لم يكن بعد يجرؤ على التفكير بأحلام العودة وصور المجازر البشعة ما زالت طرية في الأذهان . بل ان أحداً لم ينسَ بعد مجزرة العام ١٨٦٠ .

باشرت مهمتي بإعادة تجميع مجموعة خاصة كانت معي سابقاً هي مجموعة مار يوحنا . أمنت لهم مكاناً يجمعهم دائماً ويقيمون فيه ، ثم قمنا بجولة استكشافية في محيط دير القمر . وعلى الأثر وزعت المجموعات على محيط مار عبدا ـ تلة الصليب ، قصر الرئيس شمعون ، المنشية ، الدباغة . . . وسارع سلاح الهندسة إلى اقامة حزام من الالغام حول دير القمر وفي الطرق المؤدية اليها . وكانت هذه الخطوات بداية تنفيذ تصورنا لخط دفاعي دائري متكامل ، يلحظ اقامة المتاريس والخنادق .

عكفت المجموعات العسكرية على إنجاز الخط الدفاعي المطلوب بعزم واندفاع ، على رغم الصعوبات الكثيرة والحالة النفسية البائسة للمقاتلين . مقاتل خاوي البطن غالباً ، يعمل ساعات النهار الطويلة ، وبعض الليل ، في إقامة التحصينات حول بلدة محاصرة من جهاتها الأربع . لكن المقاتلين راحوا يعملون بروح العنفوان ، والتكاتف ، حتى ان النكتة كان لها ـ أحياناً ـ بعض الدلائل على اننا لم نزل على قيد الحياة ، فإذا بأحدهم (جوزيف ١٦ سنة من بشري) يقول : «آه لو استطيع الحصول على حرص بطاطا ، فكأنني أرى أمي !» .

كل ذلك كان يجري في ظل برنامج يومي منظم من القصف والقنص على دير القمر ، ثم راح زنار الحصار يضيق على البلدة ويستكمل باحكام . هكذا زرعت تلال البياضة ، وبيت الدين وبعقلين وكفرحيم بالمتاريس والرشاشات والمرابض ، وكلها تصب نيرانها على الجبل المتقوقع في دير القمر . وفي داخل البلدة المحاصرة ، بل في داخل كل فرد ، إحساس بالهزيمة ، الخوف ، الجوع ،

البرد ، النقمة ، الغضب . . . يدفعه لمقاتلة نفسه ويجعله بحاجة الى شيء ما ينفث فيه ثورته .
وقد تسبب هذا الوضع النفسي بحوادث مختلفة وتصادمات عفوية ، كانت نتيجة طبيعية للواقع السائد ولكن لم يكن ممكناً السماح باستمرارها وتماديها للخطر البالغ الذي قد ينجم عنها . من أجل ذلك بادر «الحكيم» الى انشاء جهاز شرطة خاص مهمته معالجة مثل هذه الحوادث بالحكمة والجدية اللتين تتطلبهما الظروف الصعبة التي مرّ بها.

من جهتهم استغل المحاصرون من وراء الأسوار الوضع القائم في الداخل . فاضافة الى تضييق الحصار بين الحين والآخر ، ورزنامة القصف والقنص المتواصلة ، راحوا يمارسون ضغوطات نفسية متنوعة : فتارة يحرقون بعض المنازل في بيت الدين المواجهة لدير القمر ، وتارة يقرعون الأجراس في الليل في دير دوريت قبل ان ينسفوا بضعة منازل . انفجار عنيف كل نصف ساعة لكي لا يغفو أحد ، تعقبه اصوات مثيرة تصدر من مكبرات للصوت : «سوف نذبحكم . . .» . «لن ينجو منكم مخبر» «ستموتون جوعاً» . «نحن آتون اليكم» . .

هذه العوامل فعلت فعلها في البعض الذي آثر الهرب عبر الأودية الى الدبية أو كفرمتى ، واستطاعت مجموعة اشخاص ذات يوم الوصول الى الدبية ولكنهم تعرضوا لكمين في سرجبال حيث فقد جان خيرالله ولم يعثر له على أثر . لذلك طلب إليّ «الحكيم» وقف محاولات الفرار لما فيها من خطر على حياة المحاولين من جهة وعلى صمود دير القمر من جهة ثانية . أما أنا ، وبالرغم من انني نفذت الطلب ، فقد كنت في قرارة نفسي أحبذ فرار البعض لتخفيف الكثافة في دير القمر من جهة ، ولأن الهاربين كانوا في الغالب ممن أرهقت اعصابهم وأصبح بقاؤهم يهدد صمود معنويات الباقين . وفي كل حال فقد كانت محاولة الفرار محفوفة بالخطر الشديد ، وبالتالي فانها بحاجة الى شجاعة نادرة .

بالمقابل أنجزت العمل المطلوب للخطة الدفاعية التي أصبحت جاهزة وفق أمر مهمة دفاع سميت فيما بعد «السلحفاة» .

أمر مهمة دفاع (السلحفاة)

١ ـ الجو العام :

على اثر معركة بحمدون وحفاظاً على أرواح المدنيين اضطررنا للمجيء الى دير القمر بعدما تأكد للقيادة ان متابعة المعركة أمر مستحيل بسبب عدم التوازن في القوى ولاسباب كثيرة نستعرضها في وقت آخر ، لذلك وبعد ان ظهر بعد عمليات القصف في الاسابيع الاخيرة انه ليس من المستبعد ان تأخذ قضية دير القمر منحى عسكرياً ، كان لا بد من اقامة خطة دفاعية متكاملة في العمق تحسباً للوقوع في أية مفاجآت مستقبلية خاصة اذا لم تنجح الحلول السياسية .

٢ ـ القوات المشتركة :

١ ـ يقوم بالدفاع عن دير القمر ٥ مجموعات مشاة موزعة على الشكل التالي :

- سرية (-) المتن الأعلى : الحنون .
- سرية (-) البقاع : جورج مزرعاني .
- فصيلة (+) من قرى الجبل : البطل .
- فصيلة (+) القرى وغوسطا : العقيقي وفهد .
- فصيلة (+) القرى : ميلاد علماوي .
- سرية احتياط الشمال : جان عاقوري .

٢ ـ يقوم بمساندة هذه القوات الاسلحة التالية :

١٢,٧ عدد ٤ .

١٤,٥ عدد ٥

١٠٦ عدد ٣

ب ١٠ عدد ٢

٢٣ ملم عدد ١

٩٠ ملم عدد ١ .

٣ ـ يقوم بتأمين تغطية مدفعية لهذه القوات مربضان مجهزان بهواوين ١٢٠ ملم و٨٢ ملم .

٤ ـ العدو : يقوم بتطويق دير القمر الآن حوالى ٣٠٠ عنصر موزعين في مراكز حرس وحواجز ومواقع عسكرية . . .

اما الاسلحة الموجهة مباشرة الى دير القمر فهي كالتالي :

١٢,٧	عدد ٤
١٤,٥	عدد ٥
١٠٦	عدد ٣
ب ١٠	عدد ٢
٢٣ ملم	عدد ١
٩٠ ملم	عدد ١

ـ ٢٣ ملم	عدد ٤
ـ ١٤,٥	عدد ٢
ـ ١٢,٧	عدد ٣
ـ مباشر	عدد ٣

* التفاصيل ستكون في ملحق خاص بالعدو .

ـ طرق عمل العدو والمحاور الأساسية :

ـ ١ محور أساسي رقم ١ معاصر بيت الدين ـ الرام ـ تلة البياضة باتجاه دير مار عبدا . توجد امكانية مناورة كبرى في هذا المحور أولاً للدبابات التي تستطيع ان تؤمن كثافة نيران مباشرة على منطقة الدير والفندقية وهي المنطقة الأكثر حيوية في الدفاع عن كامل دير القمر ، بالاضافة الى ذلك يستطيع المشاة أن يناوروا في هذا المحور بسبب اتساعه ووجود الأشجار بكثرة .

إذاً لكل هذه الأسباب وبعد تجارب سابقة في بحمدون وكفرمتى اعتقد ان هدف العدو الأول سيكون السيطرة على جبل مار عبدا .

٢ ـ محور أساسي رقم ٢ الطريق الاساسية معاصر بيت الدين ـ دير القمر مع محور ثانوي ،

السلبل الذي يصل حتى مرتفع ٩٠٠ متر على هذا المحور تستطيع ان تتقدم دبابات العدو مع حماية من المشاة بعد السيطرة على المرتفع المذكور .

٣ ـ محور أساسي رقم ٣ محور كفرحيم ـ دير القمر وهو محور مثالي لمناورة الدبابات وذلك بسبب طبيعة أرضه التي تسهل تقدم الآليات لذلك سيكون من المحاور الأساسية التي سيعتمد عليها العدو في تقدمه المدرع ، وهو التقدم الأكثر مثالية في المعركة .

٤ ـ هناك محاور أخرى ثانوية : بيت الدين ـ دير القمر عبر الوادي وهو محور ضيق غير صالح بالاضافة الى محاور التسلل كافة في جنوبي غربي دير القمر عبر الزيتون .

بناء على كل ما تقدم أخذنا في الحسبان في الخطة الدفاعية مواجهة المحاور الاساسية للعدو .

الأرض : تقسم الأرض في نطاق عمل قواتنا الى قسمين :

اولاً : المنطقة الجبلية الممتدة من المرتفع ٩٠٠ مروراً بتلة مار عبدا والفندقية ـ تلة الصليب ٩٩٩ ـ مرتفع ٩٥٨ ـ مرتفع ٩٠٧ ـ يشكل المرتفع ٩٠٠ مع مرتفع مار عبدا منطقة سيطرة على دير القمر وهي مفتاح التحكم بكامل البلدة . . . تتصل هذه التلال بعضها ببعض بطرقات ، جميعها مكشوفة على العدو .

ملاحظة : يجب إقامة دفاع دائري على هذه التلال لتساند بعضها البعض .

ثانياً : المنطقة المنحدرة من التلال حتى الوادي : تنتشر منازل دير القمر على هذا الانحدار الذي يخف في وسط البلدة ليعود فينحدر باتجاه الوادي . هذه المنطقة بكاملها ايضاً مكشوفة على العامو من ناحية بعقلين وبيت الدين . أكثرية بيوتها غير صالحة للسكن وقت القصف لذلك تجرى الأن عملية كشف على الأماكن الصالحة لكي يصار الى تحصينها ليلجأ اليها الناس .

ثالثاً : النيـة : اقامة خطة دفاع متكاملة جبهوياً وفي العمق وذلك بتقسيم المنطقة الى خمس قطاعات عمل ، إقامة التحصينات للاسلحة الفردية والثقيلة وربطها ببعضها في قيادة كل قطاع ، وربط القطاعات بعضها ببعض بالقيادة التي سيكون مقرها الأول متقدماً والثاني في وسط البلدة .

رابعاً : الطريقة : ترتكز الطريقة في إقامة هذه الخطة على الأسس التالية :

١ ـ تقسم منطقة العمل الى خمسة قطاعات عمل .

القطاع الاول : يمتد من المرتفع رقم ٩٠٠ ، مروراً بالطريق السفلى التي تؤدي الى مار عبدا وصولاً حتى المنطقة ٩٢٧ شرقي الصنوبرات (شارل قربان) .

القطاع الثاني : من الاحداثية ٩٢٧ حتى المرتفع ٩٠٧ وفي العمق مروراً بالوادي ـ الزراعة حتى أول كوع رئيسي بعد الزراعة المؤدي الى وسط دير القمر (الحنون) .

القطاع الثالث : ابتداء من المرتفع ٩٠٧ مروراً بالمدرسة والبريد مفرق طريق ابو أمين حتى المرتفع ٧٧٢ (مزرعاني) .

القطاع الرابع : من مفرق أبو أمين حتى الدباغة وفي العمق حتى الطريق الرئيسة داخل دير القمر (البطل) .

القطاع الخامس : من الدباغة حتى المرتفع ٩٠٠ ، وفي العمق من الوادي ، تحت مار عبدا ، لجهة الجنوب الغربي مروراً بالسرايا وكنيسة سيدة التلة .

٢ ـ يقوم قائد كل قطاع بتوزيع عناصره في القطاع حسب طبيعة الأرض وفي الأماكن المشتركة على العدو ، والتي من الممكن ان يتسلل منها ايضاً . لذلك يعمل على إقامة المتاريس الاساسية وربطها بعضها ببعض بواسطة الخنادق وصولاً لمركز قيادة القطاع الثانوي ومنها الى قيادة القطاع الرئيسي ، ويعمل على تثبيت اسلحة المساندة الضرورية في قطاعه .

بالاضافة الى ذلك يقوم بتحصين العمق حيث تواجد المدنيين ليكون كل مكان في القطاع صالحاً للرماية على العدو في حال سقوط أي نقطة في النقاط الأساسية .

٣ ـ بما ان منطقة العمل مكشوفة على العدو ، وبما ان امكانية التحرك ستكون صعبة جداً ومستحيلة في بعض الاحيان ، لذلك كان لا بد من تأمين اكتفاء ذاتي في كل قطاع على صعيد العدد والعتاد والمساندة المباشرة . لذلك يجب ان يكون في كل قطاع احتياطي خاص به لصعوبة وصول الامدادات وقت المعركة . كذلك بالنسبة للذخيرة والاسعافات الاولية التي تكون مع كل مقاتل بالاضافة الى مركز أساسي لتجمع الجرحى ليصار الى نقلهم الى المستشفى .

٤ ـ الاحتياط : سيتوزع الاحتياط في مركزين أساسيين : احتياط لمنطقة الجبل سيكون في مار عبدا ، واحتياط للوسط ويكون في البلدة في بناء يعين لاحقاً . . . يجب ان يصار الى تقسيم هذا الاحتياط من الآن وحسب الخطة الموضوعة .

٥ ـ المساندة : ستوزع اسلحة المساندة حسب محاور تقدم العدو الرئيسة وليس لاسكات اسلحته البعيدة ، وذلك لعدم توفر العدد والذخيرة الكافية لذلك ستوزع على محورين أساسيين :

الوحدة	المهمة الاساسية	المهمة الثانوية	ملاحظات
شارل قربان ـ سرية مشاة ـ ١٢,٧ ـ ب ١٠ ـ ١٤,٥ ـ ١٠٦ ـ قاعدة صواريخ ميلان	الدفاع عن جبل مار عبدا من المرتفع ٩٠٠ حتى الفندقية جبهوياً، حتى حدود الطريق المؤدية الى مار عبدا في العمق ، ومن مهماته منع تقدم العدو على تلة الرام والدبابات وعبر طريق المعاصر ـ دير القمر بالاضافة الى تحصين العمق أي مبنى مار عبدا وجواره .	شبك النيران مع القطاع الثاني باتجاه اسفل المرتفع ٩٩٩ ومع القطاع الخامس بمراقبة الطرق المؤدية الى هذا القطاع وضربها بالنيران .	مهمة هذه الوحدة أساسية في الدفاع عن دير القمر .
الحنون ـ سرية ناقص اسلحة فردية ومتوسطة	الدفاع عن سلسلة التلال من المرتفع ٩٩٩ حتى المرتفع ٩٠٧ وسد منافذ التسلل وذلك باقامة التحصينات دائرية على هذه التلال حتى الطريق التي تمر بالزراعة نحو قصر كميل شمعون وأماكن يلجأ اليها العسكر وقت القصف لعدم وجود أبنية على هذه التلال .	شبك النيران مع القطاع الاول بتأمين الطرق المؤدية اليه ومع القطاع الثالث أيضاً لناحية كفرحيم .	
مزرعاني : سرية ناقص . ١٢,٧ ١٤,٥ ب ١٠ ـ ١٠٦ قاعدة صواريخ ميلان	الدفاع باتجاه الغرب ومنع تقدم العدو بالدبابات والمشاة انطلاقاً من كفرحيم خلوات جرنايا باتجاه دير القمر ، وناحية الجنوب الغربي ايضاً لناحية الوادي تسلل والتفاف لذلك يجب إقامة خط دفاع متكامل في العمق .	شبك النيران مع القطاع الرابع لأنه يستطيع ان يؤمن بالنظر والنار بعض المنافذ المؤدية الى هذا القطاع .	مهمته الاساسية في الدفاع عن دير القمر .
البطل فصيلة + اسلحة فردية ومتوسطة	الدفاع باتجاه الجنوب الغربي وسد منافذ التسلل المؤدية الى دير القمر الوديان وطريق بيت الدين ، وتكملة هذا الدفاع بالعمق حتى المستشفى .		
العقيقي + ١٢,٧	الدفاع باتجاه الجنوب الشرقي وخاصة الطريق الرئيسية المعاصر دير القمر والدفاع بالعمق حتى السرايا .	شبك النيران مع القطاع الأول وتأمين الطرق المؤدية الى القطاع الرابع بالنظر والنيران	

ـ المحور الشرقي لناحية المعاصر ـ الرام ـ البياضة .

ـ المحور الغربي لناحية كفرحيم .

المساندة المدفعية المحلية : يقوم مربضان من هواوين ١٢٠ ملم و٨٢ ملم بتأمين غطاء مدفعي لمحاور تقدم العدو آخذين بعين الاعتبار في التوزيع ايضاً المحاور الأساسية التي من المحتمل ان يتقدم منها العدو .

المدفعية : عرض من المسؤ ول عن المدفعية .

الخطة اللوجستية : عرض من المسؤ ول عن اللوجستية .

الاشارة : عرض من المسؤ ول عن الاشارة .

الاخلاء الصحي : سيكون مار عبدا مركز فرز أول للجبل ومن ثم إلى المستشفى . أما بقية القطاعات فمباشرة الى المستشفى قدر المستطاع .

وسار العمل وفق الخطة فكانت التحصينات والخنادق تقام في الليل لتجنب القنص . ولهذه الغاية ، وتوخياً للسرعة ، كان لا بد من اشراك المدنيين القادرين بعد تقسيمهم فئات حسب القرى التي ينتمون اليها ، يعملون بمساعدة إحدى المجموعات العسكرية . غير أن هذا لا يعني ان القنص قد توقف في المراكز المحيطة بنا لكننا لم نكن نرد على ذلك توفيراً للذخيرة عملاً بمبدأ الاحتفاظ «بالقرش الأبيض لليوم الأسود» الذي لا بد آتٍ . وهذا الصمت على التحرش لم يكن بالأمر الهين على المقاتلين الآتين لتوهم من خسارة المعركة في بحمدون .

ولما كان في دير القمر ما لا يقل عن تسعة آلاف نسمة ، كان لا بد من ان تنشأ محكمة خاصة تسلمها الاستاذ اميل رحمه هي استكمال للجهاز الأمني الخاص الذي تولاه الرفيق خازن . وقد كان للاحكام التي أصدرتها تلك المحكمة الأثر المجْدي في وقف الأحداث والمخالفات التي كنا بغنى عنها .

في هذه الاثناء لم ينقطع «الحكيم» عن إجراء اللقاءات دورياً مع فعاليات القرى ورؤ ساء البلديات والمخاتير والمسؤ ولين لتدارس الوضع العام وتنظيم الشؤ ون الحياتية ، وخصوصاً التوعية العامة .

كما كان يعقد الاجتماعات العسكرية الدورية ، والطارئة ، للنظر في الشأن العسكري ووضع آمري المجموعات في الجو العسكري والسياسي العام .

ولم يغفل «الحكيم» الناحية التوجيهية ، بحيث بدا وكأنه يعمل في مجتمع باق ، دائم ،

وليس فقط في محطة عابرة من مسيرة شعب . لذلك أقام سلسلة محاضرات للطلاب الجامعيين شدد في خلالها على وجوب اضطلاع النخبة ، في كل شعب ، بمسؤ ولية اتخاذ زمام الأمور ، على ان تكون ملتزمة لتتمكن من تحقيق رسالتها . وأوضح «الحكيم» ان الالتزام ليس كلمة معلقة في المطلق بل يجب ان تأخذ معناها العملي بالممارسة . وهذا الالتزام انما يكون بالانسان عاملاً على تحقيق ابعاده : المادي ، الاجتماعي ، الماورائي[1] .

كما عقد لنا «الحكيم» ندوات عدة لتقويم معركة بحمدون وتحديد نوعية التحرك المقبل.

وكان «الحكيم» يقضي معظم وقته في غرفته بمار عبدا ولم ينزل الى دير القمر سوى ثلاث مرات ، وكان جل تفكيره مركزاً في اتجاهين : فك الحصار عن دير القمر ، ودرس المرحلة المقبلة . وكان ، عندما يتسنى له ذلك ، يقرأ بعض الكتب كعادته ، وحتى في دير القمر كانت غرفة «الحكيم» تشيع الدفء والطمأنينة .

---

(١) محاضرة للحكيم في ملحق الكتاب

الوجه المدني في دير القمر

أول مشكلة، كان على اللجنة التي ألفت برئاسة الاستاذ جورج ديب وأنضم اليها فيما بعد الرفيق جورج انطون مواجهتها، هي ايواء العيال قبل أن يداهمها الشتاء. لذلك كان لا بد من فتح كل المنازل التي ليس فيها سكان ، ما عدا غير الصالح منها ، أو غير الآمن ، وتوزيع الأهالي عليها بشكل يجعلها تستوعب القسم الأكبر منهم .

وثمة مشكلة ثانية أيضاً هي صعوبة توزيع الاغذية والالبسة القليلة على حاجات الأهالي الكثيرة والمتزايدة. ذلك ان الاشتراكيين لم يكونوا يسمحون للصليب الأحمر بايصال المساعدات الضرورية ، وإذا سمحوا بمرور سيارة فليس قبل ان يأخذوا نصف حمولتها أو أكثر . وغالباً ما كانوا يصادرون الحمولة ويعيدون سيارات الصليب الأحمر من حيث أتت . ففي العاشر من ايلول ساءت الأوضاع بسبب تحول الطقس في الجبل الى البرودة اضافة الى أن النقص بالمواد الغذائية والضرورية قد بدأ بالتفاقم . وكان الأهالي يصلون منتظرين وصول خمس شاحنات للصليب الأحمر الى دير القمر ، غير ان الصلوات ـ يومذاك ـ لم تستطع حمل الدروز على السماح للشاحنات بالمرور . وفي المساء بدأت النيران تشتعل في منازل بيت الدين ودير دوريت . وفيما الناس يجلسون مرتعدين برداً على بطونهم الخاوية جوعاً وعيونهم تتقطر دمعاً على حكايات الأعمار المحترقة في قراهم المقابلة ، حطت طائرة هليكوبتر في مار عبدا ـ جاء فيها جورج عدوان وعاد معها ـ وأفرغت حمولتها من الخبز . ثم عادت في اليوم التالي ببعض المواد الطبية والغذائية ، حيث ارسلنا معها بعض الجرحى الى بيروت .

إثنان من أهم مقومات الصمود ـ إن لم يكونا أهمها على الاطلاق ـ اعطيتهما دير القمر ، لولاهما لكانت الكارثة تحققت واكتملت حتى آخر حلقة من حلقاتها ، هما : «الشالوط» والمستشفى .

أما «الشالوط» فهو نبع ماء عذب في وسط البلدة قرب السراي كان يؤمن حاجة الناس الى المياه .

ومستشفى الدير التي كانت بدورها نبعاً لا يقل عطاءً وسخاء عن النبع . . . وعلى الرغم من ذلك فلا يسعني اليوم ، انا من عاش حصار دير القمر لحظة في اثر لحظة ، إلا ان اتساءل بدهشة عن معجزة صمود دير القمر . وانني لواثق ايضاً من أن لجنة إدارة الحصار نفسها لا تستطيع جواباً على ذلك .

من الخوف الى الوجع . . .

إن أحداً ممن لم يعش دقائق تلك المأساة ، التي عرفها الناس بحصار دير القمر ، لا يمكنه اعطاء حكم على تلك التجربة الفريدة . لذلك ، ومهما حاولت تبسيط الصورة تلك بهدف توضيحها فإنني أجدني عاجزاً عن إيفاء الأمانة حقها بكامله ومن دون انتقاص أو تقصير .

وقد يكون في هذه «اليوميات» الصادقة ، بل التي لا يمكن ان يرقى اليها شك ، يوميات الأب ادمون والأب مارون ، بعض ما يتوق اليه قارىء اليوم من معرفة لحقائق الأمس . فهذان الكاتبان لم يكتبا احترافاً أو ارتزاقاً أو دعاوة ، إنما هما ، عندما دونا يومياتهما في حصار الدير ، كانا مؤمنين في كرسي الاعتراف وفي حضرة من يرفضون الاعتراف لسواه رفضهما الاشراك في وحدانيته . وليعذرني الأبوان الجليلان إن أنا تسللت الى قدسيهما واسترقت بعض ما همسا به الى طهارة أوراقهما المخبأة بين دفتي الانجيل أو «الشبيبة الحمرا» . وعذري في ما فعلت هو اننا في زمن لم يعد مسموحاً طمر الحقائق في زوايا القصور أو التهامها مع أطعمة الموائد الرسمية والدبلوماسية .

«دير القمر بلدة لم تكن مؤهلة لاستقبال هذا العدد . . . حوانيتها تفتقر الى المواد الغذائية ، ذلك لأن الحصار حول البلدة كان قد ابتدأ منذ ٢٣ ايار ١٩٨٣ في اثر وقوع مجزرة في كفرحيم أودت بحياة تسعة اشخاص جلهم من دير دوريت ، وقابلتها مجزرة في دير دوريت أدت الى مقتل ١٤ درزياً فوقع الحصار . كان دخولنا دير القمر عبارة عن دخول أرض شبه خالية من المواد الغذائية . . . وعدم وجود أي نوع من أنواع الخضار والفواكه . . . أضف الى ذلك ان الذين دخلوها من القرى لم يكونوا يحملون شيئاً من الثياب أو المواد التموينية . . . ولا يوجد سوى فرن واحد يعمل في البلدة ، فكان نصيب كل واحد رغيفاً كل ٣٦ أو ٤٨ ساعة . . .

«بعد ما زال الخوف ، بدأ الوجع . . . الاطفال يبكون في الشوارع والساحات من الجوع مما اضطر الامهات الجائعات ايضاً الى ان يبللن بعض العدس والحمص ليطعموا اطفالهن . . . بعض الشباب أكل ورق العنب . . . مات ستة اشخاص من الجوع ذكرت الاذاعات أسماءهم . القنص مستمر ، قتل طفل من وادي الست لم يبلغ العاشرة من عمره وجرح آخر . . .

«بلبلة وسخط في الشوارع . . . جماعات الاطفال في الازقة كباقات الورد المهملة . . . هذا يصلي وذاك يشتم المسؤ ولين من رئيس الجمهورية الى الوزراء والنواب ورجال الدين وكل المسؤ ولين قائلين : «زعماؤنا والقيمون علينا قصّار النظر ، لا تخطيط عندهم ولا تصميم ولا وحدة رأي بل اقتسامات وسعي وراء انانياتهم وزعاماتهم . . .»

يقولون : «هل إن المسيحيين الموجودين في المنطقة الشرقية يشعرون معنا ، هل الذين في دور السينما والمقاهي والملاهي يتحسسون القضية اللبنانية ويتصرفون على أساس ان ثمة ألوفاً من المسيحيين يواجهون الموت في أصعب صور الذل والمهانة . . . فهل المسيح يجمعنا أم نحن نمزق جسده ؟ . . .»

«الكنائس : ضجيج وعويل وصراخ اطفال وأنين شيوخ ، ورائحة المرض تفوح عند أبوابها ، وصور البؤس ارتسمت الى جانب صور القديسين . . . اما الموتى فكانوا على الأغلب يدفنون بلا نعوش لأنها فقدت ، إذ ملّ الناس واعتادوا انتظار الموت في كل لحظة . . . وزادت نقمة الناس عندما أعلن وزير التربية الوطنية عن موعد افتتاح المدارس والامتحانات فبدا لهم أن ، المسؤ ولين الغوا وجود هؤلاء المهجرين ، المحاصرين بالموت ، من قاموس الجنس البشري . . .»

مستشفى دير القمر

«كانت تدير هذا المستشفى راهبات دير الصليب ، برئاسة الاخت فريدة زغيب ، وكل من الأخوات : بول ماري حنوش ، ماري مادلين عقيقي ، جاندارك غطاس ، جاكلين انطون ، ماري ابو شقرا ، انطوانيت ماري قسطا ، سانت عقيقي ، ليلى زعرور ، ايلان شديد ، ماري ابال ابو موسى ، ميشلين شلهوب ، ماري برنار شاغور ، جانين اسعد ، مريم منامس ، وراهبات مدرسة شرتون : سهام عبود ، سيدة الهاشم ، نهى عيد ، وكل من الاخت فلورانس غطاس ، روزلي عقيقي ، منيرة مسلم . . .

«خدمنَ بفرحة وبسمة شباباً اصيبوا من جراء القصف . . .

«خدمنَ بدمعة مرة وعطف ، شيوخاً ونساءً هربوا في البراري بعدما تشردوا من بيوتهم التي بنوها بعرق الجبين . . . غصت المستشفى بالناس ولم يبقَ فيها مكان حتى في الصالون و«المماشي» والدرج وتحت الدرج . . . والراهبات يتندمن لهم الدواء والغذاء . ولا يهدأ لهن بال قبل تلبية كل الحاجات . . .

«أول من شعر بحال المهجرين المتألمين ، هم المعاقون الثلاثمئة والخمسون الموجودون في المستشفى ، والذين اختبروا الألم وعاشوه ، فقدموا كل شيء يملكونه من ثياب وحرامات وشراشف ، ووزعت ادارة المستشفى ما عندها من حرامات (٣٠٠) ومواد غذائية وأدوية . . .

«في ٢١ ايلول اطلقت النيران على مدخل المستشفى من قبل بعض العناصر في البلدة ، وقد تسبب هذا الحادث باصابة البواب وإمرأة وطفلة . . . بعد ذلك الحين اتخذت شرطة القوات اللبنانية الاحتياطات الأولية لئلا تتكرر مثل هذه الاعمال التي لا تليق بنا . . .

«. . . لا كهرباء ولا ماء في المستشفى . لا فواكه ولا خضار . لا مواد غذائية أولية ، ولا محروقات . . .

«أما قضايا الحياة الروحية فمهمة جداً في مثل هذه الظروف ، فالقداديس والصلوات نرفعها حبة حبة الى أمنا العذراء مريم لكي تعطينا نعمة الصبر والعزاء في محنتنا ـ الكارثة ، ولكي تحتضن اطفالاً يموتون من البرد والجوع ، وشيوخاً ينوحون لآلامهم بحسرة مرة ، وشباباً يلوحون في شوارع دير القمر . . . فالمشاركة الفعالة من قبل جميع المحاصرين ، في حياتنا الروحية كثيفة جداً ، وهذا يفرحنا ويعزينا . . .» .

«أما شهداء القنص والقصف أو الموتى بسبب العجز فكانوا يلفون بالشراشف والحرامات ويدفنون ليلاً خوفاً من القنص المتكرر . . .

«وأما خدمات المستشفى فقد أوردها تقرير للجراح الصامت الدكتور انطوان البستاني ومساعديه الطبيبين جان ابي يونس وجوزيف الحلو والمساعدة منى ابراهيم (في شهر ايلول) كما يأتي : ١١٥٣ معاينة صحة عامة . ١٣٠٥ معاينات اطفال . ٣٧ عملية جراحية (بنج عمومي) صعبة وخطرة . ٢٧٠ عملية جراحية (بنج موضعي) منها ٥٥ عملية يوم ٦ ايلول . ٢٤٠ معاينة نسائية خلال شهر ايلول . ولادة ١٤ صبياً و١٢ بنتاً .

قتلى القنص : إمرأة في الخمسين من عمرها وطفل في العاشرة . . .» .

وفيما نحن ننتظر ما يخفف من حدة المأساة وصل الى دير القمر من تبقى من أهالي كفرقطرا (يوم ٦ تشرين الاول) بعدما طردهم الاشتراكيون . كانوا يهرولون خائفين ولم يسمح لهم بأن يحملوا معهم من بيوتهم سوى غصات الأسى وثقل المذلة .

٧ تشرين الأول : سمح الاشتراكيون لقافلة الصليب الأحمر الدولي بدخول دير القمر وهي تنقل بعض المؤن ، إضافة الى البن والسجائر .

٨ تشرين الأول : انفجر لغم برجل عمره ٦٠ سنة من عين الحلزون فقتل على الفور .

١٣ تشرين الأول : منع الدروز الصليب الأحمر من الدخول بحجة ان معه بعض السجائر والبن ... تلك الليلة ، وللمرة الأولى ، هطل المطر غزيراً واشتد البرد . الأطفال لم يناموا للنقص في الدفء ، الأمهات والآباء لأنهم لم يجدوا ما يطعمون أولادهم ، العجوز المستلقي على الأرض اعتصره الحنين الى موقد الأمس وحنان الفراش الوثير .

... واستجاب الله لهذا «النوع» من الصلاة ... فتوقف المطر .

١٩ تشرين الأول : وصل الى دير القمر السفير الايطالي في لبنان وفور وصوله سأل عن الكنيسة ، وزارها ، لأنه مسيحي كما قال . وقد بدا شديد التأثر لرؤية الناس في العراء وعلى الأرض . وبعدما اجتمع بـ «الحكيم» دعته الراهبات لتناول الغداء فقال لهن : «اعطوا غذائي الى عائلة جائعة» .

٢١ تشرين الاول : حصلت اشتباكات في دير القمر بين شباب من بحمدون وشباب الشرطة فوقع ٧ اصابات إحداها خطرة .

٢٣ تشرين الاول : تمت عمادة ٣ اطفال دفعة واحدة في كنيسة المستشفى ...

الطفولة ... لم تعد طفلة !

في هذا العالم المتجهم ، المشحون بالعنف والحقد والقسوة ، في عالم المأساة المجهول غده ـ إذا كان لم يزل له غد ـ لا بد من التساؤل :

أين كانت الطفولة حينذاك ؟

الأخت سهام عبود من شرتون عايشت طفولة دير القمر . كانت تجمع الأولاد خلف ذلك الحائط اتقاء لرصاص القنص ، وتحاول ابقاء طفولتهم على قيد الحياة . كانت تخشى ان تنتهي مأساة دير القمر بمأساة جديدة قد تفوقها خطراً وضرراً : إذ ماذا ينفع اطفال دير القمر ان يخرجوا من الحصار وهم بلا طفولة ؟ فماذا ينفع الطفل إذا ربح الحرية وخسر ذاته ؟

هكذا بدأت تجربة سهام عبود مع الطفولة المحاصرة في دير القمر :

«في البداية ، عندما حاولت دعوة الأولاد الى حلقات تسلية ، لم الق أي تجاوب منهم . بعد

تكرار المحاولة واقناع الأهل والأولاد أصبح عدد الذين حضروا عشرة أولاد . وجوه متجهمة ونظرات حزينة شاردة . . . ينظرون إليّ وكأنني انسان غريب وفد الى أرضهم من عالم آخر . أروي لهم «نكتة» ، اثنتين ، ثلاثاً . . . لكن لا ألمح في شفاههم اليابسة اثراً للابتسامة .

أغني لهم ، أصفق ، أتحمس ، أرقص ، أقوم بحركات لعلها تثير الاهتمام أو الابتسام . . . ولكن عبثاً : فقد تحولت الطفولة صنماً لا يرتعش .

احتضنت طفلاً وأمسكت يديه اساعده ـ بل أرغمه ـ على التصفيق ، فأحسست بتشنج يديه أقرب الى الشيخوخة منها الى الخمس سنوات ربيعاً .

. . . خرجت من هذه المحاولة الفاشلة حزينة ، كسيرة القلب ، وبدت لي الحياة قاتمة شاحبة ، بعدما فشلت في محاولة إدخال بعض الفرح الى قلب الطفولة المحاصرة بالحزن .

ولكنني لم أيأس . رفضت ان اتخلى عن المحاولة فتحملت عذاب تكرارها بضع مرات ، الى أن نجحت : هكذا أصبح عدد الضيوف في كل حلقة لا يقل عن الستين ، وأصبحوا يضحكون ، يلعبون ، يمرحون ، يرقصون . . . فحمدت الله على ان الطفولة فيهم ما زالت بخير» .

«عندما أتكلم على جورج وحياته التي فرضت عليه في دير القمر ، فانما أعني به كل ولد لم يتجاوز بعد ـ آنذاك ـ العاشرة من عمره . جورج ورفاقه يعيشون ساعة (ساعة حلقة المرح) حلمهم الضائع ويتذكرون أمسهم السعيد : بيتنا فوق عالتلة . أعلى شي بالضيعة . حواليه في اشجار كتير ، وفي جنينة حلوة مليانة زهور . البابا نصب لي مرجوحة بتسلى فيها لما بخلص الدرس . بيتنا كبير كتير ، وأنا الي غرفة خاصة لوحدي ، بزينها متل ما بدي وبحط فيها كل غراضي ولعبي . . . عندي كيس كلل ، وطابة كبيرة بلعب فيا أنا ورفقاتي . كنا نروح نتصيد بالنقيفة ، وبعدين لما صرت شاطر بالمدرسة البابا جاب لي بارودة خردقة . كنت روح أنا والولاد عالحرش نلقط جلابيط (صغار العصافير) ونلعب باللقيطة . . وكمان نسيت أنو عندي علبة رسم (Peinture) لأنو بحب صور كتير وعندي بخزانتي كل الصور يللي رسمتن وقت الكنت بصف الزغار يعني بصف «الاونزيام» . كان عندي فطبول بقا يربحني دايماً لما كنت العب فيه مع رفقاتي . . . بس لما صار في قصف كتير نسيتو برا حد كيس الكلل وهربنا عالملجا . . . هلق ما بعرف كنو بعدن هونيك يما حدا أخدهن . . .

«أما وقد أصبح جورج هنا فلا خيار له سوى الرضوخ للأمر الواقع بكل مرارته : لا بيت ، لا العاب ، ولا فسحة للعب . . . لذلك نسي جورج كيف يركض ، كيف يغني ، وحتى كيف يضحك . . . لقد نسي الصغار كيف يركضون ويلعبون بعدما قضوا أياماً صعبة قابعين في الزوايا

هرباً من القنص أو اتقاءً للقصف . ضاعت منهم أغانيهم ، وابتساماتهم وخسروا كل ما كان لهم في قراهم وبيوتهم . لقد كبروا كثيراً بسبب الجوع والخوف والحرمان . قال لي جورج إنه لم يعد يطلب أكثر من كومة تراب يلهو بها مع رفاقه !...» .

وجوه من المأساة

فإذا كانت كومة التراب قد أصبحت أقصى أماني اطفالنا في دير القمر فكيف هي حال شبابنا وشاباتنا وهم في بوابة الفرح الوسيعة؟

إنه وجه آخر من وجوه المأساة المتعددة الوجوه تعدد الأحاسيس البشرية وتنوعها .

ونكمل الجولة مع الأخت سهام عبود الى حيث تسكن سعاد(١٧ عاماً) وهيام(١٥ عاماً) مع شقيقهما ذي العشر سنوات ، في زاوية من زوايا السراي القديمة التي نسيت جدرانها الشبابيك والأبواب ، مثلما نسيت أرضها البلاط والأثاث . الجميع يجلسون على فرشة اسفنج وحرامين ، فيما إحدى الفتاتين تلتف بحرام وتمعن تقوقعاً في زاوية الغرفة .

ـ هل العائلة متفرقة أم...؟

صمت مشحون . أعين مغرورقة بالدموع . وجوه غارقة في المأساة ... وكلمات مترجرجة ، مرتبكة :

ـ اننا البقية من العائلة ... ردت احداهما .

ـ كيف وصلتم الى هنا ؟

ـ بعدما شاهدنا مجزرة والدينا وأربعة من أشقائنا ، استطعنا النجاة بأعجوبة وهربنا بين الأحراج ...

لم أجرؤ على السؤال عن الوضع المعيشي فالحرامان وفرشة الاسفنج ، كيس أرز صغير ... البرد والجوع ... خير جواب . وإذا كان هذا غير كافٍ فيكفي ان تعرف ان سبب التفاف هيام بالحرام لم يكن بسبب البرد بل بانتظار أن يجف فستانها الصيفي الوحيد الذي لم يعد لها سواه من كساء .

فتى السنوات العشر قال : الحياة عندي أصبحت لا شيء .. الوالدان كانا حياتي فماذا يبقى لي بعد موتهما وموت اخوتي معهما ؟!.

وفي مكان آخر بالجوار كانت تنمو مأساة من نوع آخر : أب لأربعة أولاد راح يبكي بمرارة لما سألته كيف وصل الى هنا .

قال : «عم أبكي من الفرح .. كتر خيرك يا الله لأنك قويتني على التجربي ... عم أبكي من الفرح لأني قدرت أوصل بسلامة مع اولادي الأربعة . عشر ساعات مشي بالبراري بلا أكل ولا شرب ولا استراحة . كل الطريق خوف وتعب ... شفت الموت قدامي . ولما وصلت على وادي رشميا فكرت هونيك ـ يا ربي تسامحني ـ انو أترك ولدين من ولادي لأن ما عاد في كفي الطريق مع الأربعة . قلت بترك الزغار وبكفي مع الكبار ...»

ـ ليش حتى فكرت تترك الزغار ؟

ـ حتى لما أبعد عنن ما إسمع صوتن عم ينادوني يا بابا ... بس الله كبير قواني ووصلني ، لكن مش عمبقدر فكر كيف سمحت لنفسي فكر بأنو أترك هالطفلين الأبريا . مش عم فيي نام ...

أحدهم بدا كواحد من أولئك المدمنين الذين نشاهدهم في الافلام السينمائية وقد أصيب بنوبة عصبية حادة نتيجة لحاجته الملحة الى الدخان قال :

هجرنا من بيوتنا ، من قرانا وتركنا جنى عمرنا ... ما عاد عنا شي ، الله بيدبر . بس نوصل لوقت ما نلاقي فيه سيجارة ؟ ... وخدلك على وجع راس ونرفزة . ضيق خلق وتوتر ، حتى ما عاد إلي جلد عالولاد . ما عدت احاكي ، ومرتي ما عدت اتحملا . خلقت المشاكل بالبيت . ما تواخذيني قلت بالبيت قال وكأنو بعد في إلنا بيت . مناكل ومنشرب قهر وتعتير ، منام محتاجين شي ومنقوم محتاجين اكثر .

... وهام الزوج المدمن على التدخين بين عيال المهجرين يبحث عن معشوقته وهو في أشد أوقاته حرجاً وحاجة اليها : السيجارة ، ذلك الادمان المدمر والعشق القاتل . كان مستعداً لان يعطي أي شيء مقابل حصوله على علبة سجائر ، بل على سيجارة واحدة تعيد إليه توازنه المفقود ، واستقراره العائلي ، والبقية الباقية من الحد الأدنى من القدرة على الصمود . بعضهم أشترى علبة السجائر بمئة ليرة ، وبعضهم باعها من مهجر بمئة ليرة لا يملك سواها !.

وهناك من طلب المخدرات ، وحصل عليها.. . لكنه لم يستطع التخلص من كابوس ،لجأ

الى المخدر لطرده ، فوقع في شباك الدواء من دون ان يتخلص من الداء ! .

* * *

كانت تتكىء على سور المستشفى فيما بدا وجهها الربيعي (عمرها ١٤ سنة) كبرعم لا يجرؤ على التفتح خوفاً من قسوة الحياة وصلفها . نظرات شاردة في مجهول حيناً ومتأرجحة في فراغ اليأس والحزن حيناً آخر .

تنتظر أحداً ما ؟ فارساً لم يأتِ ؟ . . . تنظر الى الغد وتنتظره ، أم تتذكر الأمس وتستعيده !

لا ، لا هذا ولا ذاك ، فالزمن في دير القمر لم يكن زمن المستقبل ولا زمن الذكريات . انه فقط زمن اللحظة التي تستطيع اقتناصها من القناص ، ونبضة الحياة التي تعتبرها كسباً اضافياً على عمرك كلما نجحت في البقاء على قيد الحياة يوماً آخر ، ساعة أخرى ، لحظة اخرى . . .

ولكن ، مما لا شك فيه ، ان هذه الفتاة تعاني مشكلة ترفض البوح بها . إنها من عائلة اتصفت بالصراحة وصلابة الارادة الجبلية المسيحية ، لكن طبيعة الحياة المفروضة وسط دائرة الحصار المتعدد الحلقات . . . الوضع المأسوي . . . الجوع ، الخوف ، البرد ، الفراغ . . . مجموعة متناقضات ودوائر مبهمة وتجاذبات وتنافرات دفعت بها الى الهروب من ذاتها . هكذا لجأت الى شاب لم يناهز الثلاثين من عمره . بدأ الأمر بصداقة قوامها الثقة والارتياح ، وانتهى بابنة الاربعة عشر عاماً الى ممارسة الجنس للمرة الاولى في حياتها .

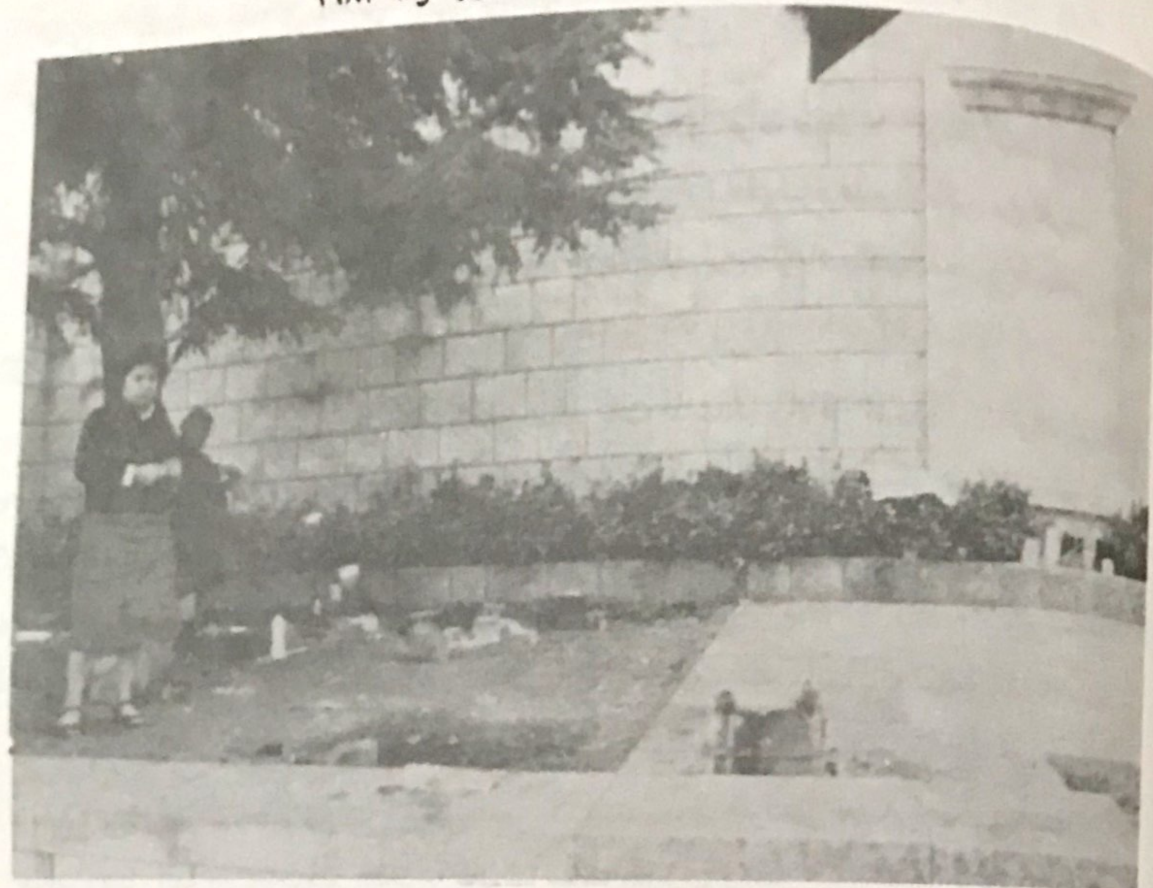
ومنذ تلك اللحظات وابنة العائلة الجبلية المسيحية المؤمنة تعيش في جحيم الشعور بالذنب ، ولا تعرف كيف تنتصر على هذا الشعور ذي الحدين : حد الانتحار ، وحد الهرب الى أمام . . . الى الذنب القاتل .

* * *

. . . وفي ظل حصار لا يرحم برز وجه آخر من وجوه المأساة ، وفرض أمر واقع على الأم اللبنانية طالما رفضته دائماً ولكنها اضطرت الى استجدائه اليوم : الاجهاض !

الاجهاض كان ، بذاته ، مشكلة فبات عدم التمكن من تحقيقه هو المشكلة ، ليس بسبب رفض الجنين ولكن بسبب رفض الحياة العائلية والاجتماعية والاقتصادية المفروضة . تماماً كالعصفور

على حائط السرايا لوحة ١٨٦٠ وتحت الارزة لوحة ١٩٨٣





في دير القمر :
العذراء كانت معهم

الذي لا يضع فراخه في العش حتى لا يورثها ذل السجن وعبوديته . . . كما يقول جبران خليل جبران .

أزمة سكن حيث يعيش اكثر من عشرين شخصاً في غرفة صغيرة . أزمة رغيف ودواء وكساء وكهرباء وماء . . . أزمة خوف ، وأزمة حصار وسط دائرة الخوف وعدم التمكن من الهرب . أزمة أب لا يقوى على مواجهة مشكلة توفير الغذاء لأولاده فاذا بأزمته تزداد مشكلة مع زوجة حامل وولادة وطفل جديد . . .

لا بد من الاجهاض ، والاصطدام بالنظريات المتشددة والأقل تشدداً . . . والطبيب الذي يقع ، هو الآخر ، بأزمة الضمير المهني والانساني ، ونظرية الواجب والممكن وما لا بد منه . . .

* * *

إمرأة من البيرة تقول : عندما اشتد القصف علينا اختبأنا في القبو ، فجاء من يخبرنا بأنهم هجموا علينا فهربنا حفاة وتركنا العجز الذين لا يستطيعون الركض مع من رفض الهرب . لكن عندما وصل الدروز ذبحوهم جميعاً . كان لنا بيوت وارزاق وكان معنا مال لكننا لم نتمكن من ان نحمل معنا شيئاً . وصلنا الى دير القمر ولحقنا القصف[1] . اشتريت كيلو زعتر بخمس وسبعين ليرة حتى نغير للاولاد عن الارز . انا بقيت خمسة عشر يوماً بلا أكل . «رجال مرّه بكّاني وحزّني ، هربان وواصل جوعان وما كان يقدر يحصل على قطعة خبز اعطيته حصة ابني . أكلها وبكى وقال : الله يخليلك ولادك رديتي لي روحي . . . هذا الرجّال عندو بالبيره املاك بتفك مشانق !. بس الأيام هون غير شكل . الكل بفرد كيس ، الغني والفقير سوا . المهم الانسان يشبع بطنو .

كانوا يهددوننا بمكبرات الصوت قائلين : سنمسك بكم . . . ورغم ذلك كنا نحلم بالعودة ألى قرانا وليس بالنزول الى بيروت . عندي بنات بـ الـ ١٣ والـ ١٤ سنة . اعطيتهن كل واحدة قطعة زجاج وقلت لهن : إذا دخلوا لهون قطّعوا عروق إيديكن وإجريكن وما تخلوهم ياخدوكن . اقتلوا حالكن أحلى ما يذلوكن . أنا كنت سأقتل بناتي بيدي حتى ما حدا يمس شرفن . وخلي يقولوا عني مجرمي . الله يهدي الجميع ويرد هالناس عابيوتها . صحيح اننا مصابين ومقهورين ولكن كلنا لبنانيي . . لما قالولنا ضبوا غراضكن بكيس نايلون لتنزلوا عابيروت عزت عليّي الدني . الفلسطيني سمحولوا بشنطة يحط غراضو فيا . خفنا يصورونا وصرت حط ايدي عا وجي متل المجرمين يللي بالسينما» .

---

(١) - ٥ ايلول قتل ١١ شخصاً دفعة واحدة بقذيفة في دير القمر .

في بدء الحصار كنا نسمع الصلاة والتراتيل في كل مكان وفي كل وقت ، وشيئاً فشيئاً بدأت الحال تتبدل الى ان أصبح القداس مناسبة . ذلك ان الاحساس بالخوف والخطر يجعل الانسان يزداد اقتراباً والتصاقاً بالله ، وعندما يستعيد المرء اطمئنانه لا يعود بحاجة سوى الى ذاته ! .

فتاة قالت لي : الحصار اسقط كل الأغطية عن الجميع . ظهرت ارادة الحياة عند البعض ، وبرز الخضوع عند بعضهم الآخر. ذوو النزعة الحيوانية الغريزية في التصرف ازدادوا حيوانية ، وذوو النزعة الانسانية ازدادوا رقياً في مشاعرهم . ليت كل مسيحي في لبنان يمر بتجربة دير القمر لكي يعرف نفسه على حقيقتها . . .

أما أنا فلطالما شعرت ، وأنا في دير القمر ، بالحاجة الماسة الى الوحدة ، الى لحظات من الاختلاء بالذات ، لكنني كنت أشعر بأنني أسرق شيئاً ما ليس ملكاً لي بل هو ملك هؤلاء المحاصرين ، وملك الواجب العسكري الذي نذرت له نفسي . وعندما كانت تسمح لي الظروف كنت اقرأ في كتاب «الاقتداء بالمسيح» ، وهو من أفضل الكتب المقدسة بعد الانجيل . كذلك اختلست بعض الأوقات للمطالعة والكتابة ، ودائماً كانت الصلاة المخرج الوحيد من ذلك المأزق .

من الحصار الى بيروت . . . وبالعكس

مع اقتراب نهاية شهر تشرين الأول بدأت قضية دير القمر تنحسر وتتضاءل بعد الحجم الهائل الذي اتخذته في بدايتها . ومثلما بدأ الناس يتأقلمون في داخل الحصار ـ الى حد ما ـ هكذا بدا لنا ان الناس ـ وخصوصاً المسؤولين ـ خارج الحصار قد بدأوا يتأقلمون مع قضية دير القمر . وبدأت المجموعات العسكرية بالتململ والتذمر من استمرار هذا الوضع السيىء. كل ذلك كان يشكل خطراً كافياً لتجشم مخاطرة الذهاب بمهمة الى بيروت والعودة منها ببعض الأجوبة على بعض الاسئلة . وكان «الحكيم» قبل تكليفي بالمهمة قد طلب مني استكشاف الطرق الممكن سلوكها الى بيروت ، فحددت ثلاثاً منها ، وليل الرابع والعشرين من تشرين الأول اتجهت الى بيروت وفي طليعة مهمتي :

ـ درس الطريق جيداً واعتلام المسالك الممكن التسلل عبرها الى بيروت .

ـ الطلب الى رئيس الاركان فؤاد ابو ناصر عما اذا كانت هنالك إمكانية لتبديل بعض المجموعات العسكرية في دير القمر .

ـ استكشاف الجديد في إطار المساعي لفك الحصار عن دير القمر .

ـ . . . . ومن الطبيعي ألا يكون مضحكاً أو مثيراً للدهشة إذا ما قلت ان الهدف الأخير للمهمة كان احضار بعض علب السجائر للشباب !.

اصطحبت معي آمري مجموعتين : مارون وبسام ، وكان عددنا اربعة عشر مقاتلاً بمن فيهم مرشدان «دالولين» أحدهما من الكنيسة والآخر من سلفايا .

الساعة السادسة مساءً توقفنا تحت صنوبرات مار عبدا ، تأهباً للانطلاق بالمهمة التي لم تكن أبداً بالسهولة التي نراها ولم نكد ننتهي من رسم إشارة الصليب على صدورنا حتى استجاب الله صلاتنا مطراً غزيراً وليلاً مظلماً حالك الظلمة .

قبل ان نبلغ كوع كفرقطرا كنا أصبحنا كتلاً من الوحل والماء . اتجهنا نحو الكنيسة وتسللنا ما بينها وبين قرية عميق : كان الدروز في الكنيسة يحتمون من المطر الذي حجب صوته وقع اقدامنا على الأرض الموحلة . لكن أحد «الدالولين» ضل طريقه فاضطررنا الى شبك أيدينا ، وسرت في الطليعة لأنني كنت أعرف الاتجاه الصحيح . بل اني كنت واثقاً بأن لديّ نوعاً من الاحساس يمكن تسميته علاقة مرهفة بالأرض ، وهذا الاحساس يجعل الانسـان ـ وخصوصـاً المقاتـل ـ يتحسس الأرض بقدميه كمن يقرأ تفاصيلها بسهولة .

عندما وصلنا الى نهر رشميا كانت مياهه قد ارتفعت حتى بلغ علوها متراً وستين سنتمتراً . شبكنا أيدينا جيداً وبدأنا نعبر النهر عندما بدا لنا منظر مثير للضحك : إنه جورج(Max) وقد غمرته المياه بسبب قصر قامته ! . . . فحملناه وأكملنا سيرنا نحو جسر القاضي .

في طريقنا مررنا على بعد خمسين متراً من مجموعة درزية كان أحدهم يكيل السباب لانهم لم يرسلوا اليه عشاءه .

عبرنا نهر سلفايا ووصلنا الى حرج الصنوبر فوق جسر القاضي . حتى هناك كان كل منا قد سقط ما لا يقل عن خمسين مرة بسبب الظلام ، كما كان احتفظ بأكثر من هذا العدد من الاشواك في أماكن متفرقة من جسمه .

عندما قطعنا جسر القاضي كان شعورنا رائعاً، لكن المفاجأة كانت ان أحداً منا لم يعد يعرف الطريق المتبقية من هناك . لذلك اقترح بعضنا ان نبقى هناك حتى الصباح ، لا سيما وان التعب كان قد بلغ منا مبلغه ، لكنني رفضت الفكرة لأنه لا يجوز البقاء تحت الشتاء والتوقف حتى الصباح ونحن يختلط عرقنا بماء المطر حتى ينبلج الضوء ونصبح مكشوفين .

استأنفنا السير ، وعندما وصلنا الى طريق كفرمتى جسر القاضي الترابية ايقنت من اننا في الطريق الصحيحة . كنا نشاهد اجساماً تلمع على الطريق تفحصها قزحيا (المسؤول عن الهندسة)

وقال انها الغام ضد الآليات جرف الشتاء التراب عنها فكشفها . نزعناها وحملناها معنا . . . ثم رأينا النار - الاشارة التي كنا قد اتفقنا عليها مع شبابنا في البنيه . وعندما وصلنا الى كفرمتى في الساعة الثالثة فجراً كان أول ما سألنا عنه هو الطعام . من ثكنة عبيه (المسؤ ول عنها الرفيق شربل نكد) انتقلنا بعد تجفيف ثيابنا الى المشرف ، ومنها الى بيروت . . .

هل هذا من القمر
أم من دير القمر ؟

في «المجلس الحربي» كثيرون كانوا يمرون بجانبي ، يرونني ، ثم يعودون تكراراً ليحدقوا إليّ جيداً وكأنهم لا يصدقون ما يرون . ذلك ان أحداً لم يكن يتوقع رؤ يتي هناك فيما الكل يعرف أنني مع المحاصرين في دير القمر . لذلك كانوا ينظرون اليّ وكأنني هابط من القمر وليس من دير القمر !.

التقيت رئيس الاركان ، ولما فاتحته بموضوع إبدال بعض المجموعات العسكرية قال لي : سأعود معك الى دير القمر ، بعد ان تحضر معي اجتماعاً لقيادة القوات اللبنانية .

وعقد الاجتماع برئاسة قائد القوات وحضور الأعضاء حيث عرضت لهم الوضع في دير القمر مفصلاً ، وتفاجأ به بعضهم وفي نهاية الاجتماع طلب إليّ القائد ان أمر بمكتبه في اليوم التالي .

أما أنا فكنت أشعر بأنني في عالم آخر ، عالم بعيد عما يجري هنا لأن دير القمر كانت هي عالمي في ذلك الوقت . ذهبت الى منزل أهلي في عمشيت كان لقاءً مؤ ثراً بعد غياب طويل فقدنا في اثنائه أحد أفراد العائلة الى الأبد . صحيح ان طوني ، أخي ، قد استشهد لكني حتى هذا اليوم لم أكن أشعر فعلاً بفقدانه . ابن أخي ، وعمره ثلاث سنوات ونصف السنة ، اذهلني بسؤ اله : عمي ، ليش ما إجا معك طوني وبشير ؟ بقيو بالقمر ؟ (يقصد دير القمر !) .

في اليوم التالي التقيت قائد القوات وكان لقاء صريحاً ، طرح خلاله أمامي موضوع القوات بشكل عام وفكرة إدخالهم في الجيش . كان القائد ضد هذا الطرح وأكد لي ان الذين يعملون لهذا الهدف لن ينجحوا .

وفهمت من القائد انه يرغب بوجود «الحكيم» الى جانبه لمواجهة المرحلة المقبلة . أما بالنسبة الى دير القمر فعرفت ان وجهة نظره تقول بوجوب ابقاء الناس هناك وسحب المقاتلين لكي لا يفرغ

الجبل . وفي الجنوب كان القائد موافقاً على دمج القوات بقوات سعد حداد ، فيما يعمل في إقليم الخروب للتوصل الى حل غير عسكري .

وثمة مسؤول آخر مررت به أكد لي على وجوب خروج «الحكيم» من دير القمر وهو مرفوع الرأس . . . وان كثيرين في بيروت لا يريدون عودة «الحكيم» الى بيروت ، وبالتالي فإنهم يرغبون في ابقائه بدير القمر لابعاده عما يجري هنا . . .

بعد الظهر حضرت اجتماعاً لقادة الثكن والمسؤولين في القوات اللبنانية . وقف أحدهم عارضاً ما يعتقد بأن الأسباب الحقيقية لخسارة بحمدون العسكرية هي التدخل السوري والفلسطيني وطلب مني رئيس الأركان أن أعرض للمجتمعين وضع دير القمر لكنني أحسست بأنني بعيد عن هذا الذي يجري هنا ، وغريب عن هذا المناخ السائد ، فاعتذرت وطلبت اعفائي من ذلك ـ عندها طرح فؤاد (رئيس الاركان فؤاد ابو ناضر) موضوع ادخال القوات في الجيش وقال انه ينتظر ايضاحات اضافية من المسؤولين الرسميين حول هذا الموضوع . وانتقل الى الكلام على وضع اقليم الخروب والامكانات العسكرية هناك ووسائل رفع الروح المعنوية للمقاتلين والأهالي . وتطرق أخيراً الى مسألة تبديل سرية من المتطوعين في دير القمر . . .

بالمقابل علمت خلال هذه الزيارة بأن لاحل لدير القمر يلوح في أفق المسؤولين على اختلاف مستوياتهم ، وان كل ما تحقق على هذا الصعيد حتى الآن هو شعار «حصار دير القمر الى متى ؟» وعندما حاول البعض القيام بتظاهرات للضغط بهدف تسريع العمل لحل القضية كان نصيبه السجن والضرب . . .

الف مرة العودة الى الحصار هي أفضل من البقاء في خارجه ، واجواء الخوف تلك أقوى وانظف بكثير من قوة هذا الاستسلام وقذارته .

حينذاك ايقنت ان بشير الجميل قتل بعد استشهاده ، وازداد يقيني خلال الأشهر التالية بعد فك الحصار عن دير القمر . وبحجم هذا اليقين أصبحت مقتنعاً بأنه إذا لم يتدخل «الحكيم» في الموضوع فسنصبح مثل أهل الكهف ، وستدخل قضية حصار دير القمر ملف النسيان .

تغديت عند الشيخ حليم جعجع ، الذي حول بيته محطة خدمات لمساعدة الجبل ، وقررت العودة الى عالمي ، الى داخل الحصار .

في المشرف أخبرني فؤاد بأنه عدل عن ذهابه معي الى دير القمر لأسباب تتعلق بمؤتمر جنيف . اعطاني منظاراً ليلياً وتمنى لي الوصول بالسلامة . قضيت ليلتي في كفرمتى ، وفي الصباح قمت بجولة في منطقة الشحار وهي منطقة يصعب سقوطها بسبب امكانات الدفاع المتعددة والمتنوعة

فيها . وفي المساء حمل كل منا ، نحن الشباب العشرة ، ما استطاع حمله من «كروسات» السجائر ومشينا باتجاه دير القمر .

هذه المرة كان الطقس أكثر رحمة بنا من المرة السابقة ، كما إننا كنا قد عرفنا طريق العودة جيداً . كان الظلام أقل لكن نسبة الخطر كانت أعلى . وعندما جلسنا نستريح قرب نبع سلفايا ، ونتنشق رائحة زهر الليمون المنبعثة من وادي رشميا ، أحسست بأنني خارج من «حصار بيروت» وليس الى حصار دير القمر .

عند وصولنا الى قرب كفر قطرا سمعنا اصوات انفجارات ورصاص ، تبين لي أنها من جراء الرماية على دير القمر . وصلنا بعيد الظهر بقليل وكان الشباب بانتظارنا . . . وخصوصاً بانتظار «كروسات» الدخان .

تحدثت مع «الحكيم» ، الذي كان ينتظرنا ، وسلمته رسالتين من قائد القوات ومن شخص آخر . وفي اليوم التالي ناقشنا معاً نتائج زيارتي لبيروت . ثم بدأنا بتنظيم رحلات من الدير الى بيروت وبالعكس عبر كفرقطرا ومعاصر بيت الدين في الأحراج ، بحيث اعطينا الأفضلية في الخروج لطلاب الجامعات وتلامذة المدارس ، اضافة الى الحالات الملحة الأخرى .

الهجرة الثانية . . . من الدير الى بيروت

مع نهاية شهر تشرين الأول بدأت حلقة جديدة من حلقات المأساة ، إذ دعيت الدفعة الأولى المسموح لها بمغادرة دير القمر (٢٠٦ اشخاص) للتجمع في دار البلدية لكي يتولى الصليب الأحمر تفتيش أغراضهم تمهيداً لاجلائهم الى بيروت . وكان على هؤلاء ان يناموا ليلتهم في دار البلدية ، لأن التفتيش استمر حتى منتصف الليل ، لينتقلوا في الصباح الى الحاجز الاشتراكي قرب «قصر موسى» . وهناك يفتشهم الاشتراكيون وينتقلون الى «بوسطات» تقلهم عبر جلجلة مذلة وإذلال بطريق بيت الدين ، المختارة ، جزين ، صيدا . . .

هذه العملية توالت حتى أصبح عدد الذين تم اجلاؤهم حوالى الالف شخص ، كانت الدفعة الأخيرة منهم تخرج من الدير يوم ٨ تشرين الثاني . لكن الاشتراكيين منعوا الكهنة والرهبان من الخروج ، وبينهم رئيس دير مار الياس رشميا (عمره ٩٥ سنة) ، فاقترح الصليب الأحمر عليهم ان يرتدوا الثياب المدنية ويحلقوا ذقونهم ، لكنهم رفضوا ذلك رفضاً قاطعاً قائلين : «صار لنا خمسين سنة لابسين هالتوب رح نضل فيه وما رح نشلحوا كرمال الدروز» . من هذه الدفعة اختطف الاشتراكيون جرجورة جرجورة (٦٠ سنة) من شرتون على مرأى من الصليب الأحمر ! .

حتى هذا الوقت كان لا يمر يوم دون ان يسقط عدد غير يسير من المحاصرين بين شهيد وجريح برصاص القنص غالباً والقصف احياناً .

ثم بات سقوط الجرحى والقتلى قصة يومية ، ومأساة متكررة بين لحظة وأخرى .

في الحادي عشر من تشرين الثاني حصل أمران احدهما مفرح والآخر محزن : فقد عادت الكهرباء - وإن متقطعة - للمرة الأولى منذ بدء الحصار . كما قتل شاب برصاص مسدسه هو ادوار ميلان من شرتون . وكان ادوار قد اتصل بزوجته وطلب بأن تعد له كاس عرق وعشاء شهياً مع أولاده الذين طال انتظارهم كثيراً جداً تلك الليلة .

الثالث عشر من الشهر نفسه ، نقل مئة وسبعة عشر شخصاً مصابين بالاسهال الى المستشفى بسبب البرد : لا مازوت ، لا غاز ، لا نار ، لا كهرباء . . . وكثير من القصف والقنص والمطر . تلك الليلة .

ولم تكن تلك الليلة خاتمة أحزان المحاصرين الأمنية والصحية ، ذلك انه في ١٦ تشرين الثاني تلقينا أشعاراً من القيادة بأن قصفاً عنيفاً سيقع على دير القمر من بعقلين وجوارها عند الساعة الثامنة والنصف مساء . اختبأ الجميع في الأماكن المتوفرة ، وعند الساعة المحددة بدأ القصف بالقذائف الثقيلة والمدافع المضادة للطائرات . . . كان ذلك القصف الأشد عنفاً منذ بدء الحصار ، مما حدا «بالحكيم» الى الطلب من بيروت قصف بعقلين وغيرها من القرى الدرزية وعلى الأثر توقف القصف على الدير في حوالى منتصف الليل .

كانت حصيلة تلك الهجمة ثلاثة شهداء هم : جوزيف مارون اسعد (٢٠ سنة) من رشميا . سبع ايلي حبيب (١٠ سنوات) من بطلون . أمين سليم عواد (٤٨ سنة) من دير القمر ، اضافة الى ستة جرحى وتضرر ستة وثلاثين منزلاً وسبعين سيارة . . . وتلك الليلة ايضاً وصل الى دير القمر اثنان من أهالي مجدل المعوش هما ادوار نون ونهرا ديب بعدما قضيا اثنين وسبعين يوماً هائمين في البراري والأحراج .

رئيس الاركان . . . واللقاء الحار

في العشرين من شهر تشرين الثاني كنت انتظر وصول رئيس الاركان الى دير القمر ، وعند الساعة الثانية عشرة والنصف ليلاً وصل مع مجموعة من (الصدم) ودخل فوراً غرفة «الحكيم» حيث تم بين الاثنين لقاء حار .

في اليوم التالي ، وبعد جولة على المراكز العسكرية وبعض المراكز المدنية ، التقى «الحكيم» ورئيس الاركان بحضوري حيث قال «الحكيم» لفؤاد :

ـ «ليس مسموحاً ان نبقى هكذا . يجب ان نعمل شيئاً ما من أجل فك الحصار . . . أنا اقترح ان تنزل الى بيروت وتعمل على المستويات الشعبية والقيادية لهذه الغاية» .

أجاب فؤاد :

ـ «ما يستطيعون عمله في بيروت عملوه . . . الحقيقة انك الوحيد الذي يستطيع تحريك الموضوع لأنك عشته منذ بدايته» .

عندها قال «الحكيم» : «سأفكر في الأمر . فالوضع دقيق جداً» .

. . وفكر «الحكيم» كثيراً بالأمر ، الى أن توصل للاقتناع الآتي :

«إذا بقيت في دير القمر بعد صعود فؤاد اليها لن يكون هناك حل ، وإذا نزلت فهناك احتمالان :

ـ امكان للحل وينتهي الموضوع .

ـ أو استحالة الحل فتكون كارثة . . . سواء كنت هنا أم هناك غير انني ـ يقول «الحكيم» ـ إذا قررت البقاء في الدير فلست واثقاً من فك الحصار ولكنني أكون مطمئن البال ومرتاح الضمير ـ بوجودي حيث يجب ان أكون . مغادرة دير القمر مغامرة كبيرة ، فهناك خطر الفشل وفي هذه الحال سأعود الى الدير وسيكون الأمر أقسى وأصعب من ذي قبل . .

كنا ننتظر قرار «الحكيم» الذي سيتوصل إليه بنتيجة معاناته تلك ، لكنه سرعان ما دعانا وتحدث الينا بحضور فؤاد ، قال :

«سأنزل الى بيروت وستكونون هناك في خلال خمسة عشر يوماً . . .»

قاطعه فؤاد :

«أصبح لك ثلاثة أشهر في دير القمر وتريد ان تنزل الى بيروت بـ ١٥ يوماً ؟» .

وبعد أن طلب «الحكيم» منا ان نعمل مع فؤاد كما عملنا معه بكل اندفاع وثقة ، وضع قبعة على رأسه ، وحمل بندقيته ورسم اشارة الصليب على صدره ، وردد لمرافقيه عبارته المعهودة «قولو الله يا شباب . . .» ومشى باتجاه بيروت .

«في الطريق الى بيروت فوجئت بالمرور الخطر جداً تحت كفرقطرا وجسر القاضي وعزت عليّ الدني عندما فكرت كيف كنا نتجول على طرقات الجبل العامة» .

لم يمر يومان على مغادرة «الحكيم» دير القمر حتى ارتفع صوته ، هذه المرة ، من بيروت عبر تصريحات الشيخ بيار الجميل ، والبطريرك خريش ، والبابا . . . وحتى عبر مجلس الوزراء !

وكان ذلك كافياً لنا لنبدأ بالعد العكسي لمهلة الخمسة عشر يوماً التي حددها «الحكيم» لانهاء حصار دير القمر . وفي الحقيقة اننا كنا مصدقين بكل قناعتنا أن هذه المدة ستكون كافية له .

في هذه الاثناء كان رئيس الاركان قد بدأ العمل في دير القمر باتجاهين : عسكري ، ومدني .

فعلى الصعيد العسكري كان سبق لنا ان تداولنا في إمكانية الحل العسكري للحصار إذا لم توفق محاولات الحل السياسي ، لذلك كلفني رئيس الاركان بتحضير خطة دفاع متكاملة عن دير القمر ، وتقرير عن إمكانات العمل العسكري لفك الحصار . . . وحتى ذلك الوقت لم يكن العمل في حفر الخنادق وإقامة التحصينات ليتوقف لحظة واحدة .

أما على الصعيد المدني فقد أعد رئيس الاركان مشروع «الفينيق» (تشبهاً بطائر الفينيق الذي ينبعث من رماد) وسلمه الى بيارو . . . وعلى الأثر ظهر «المشروع» نشاطات وحفلات وندوات وحلقات . . . حتى قال لي فؤاد ذات ليلة ونحن عائدون من دير القمر الى مار عبدا :

ـ لقد انتهى الحصار . . . يا بول .

ـ كيف ؟

ـ انظر الى الصبايا . . . لقد أصبحن يتزينّ !.

طوال النهار كان فؤاد يتجول ويتفقد الجميع : يشجع العسكر ، ويؤانس المدنيين ، ويتقدم للمشاركة في كل النشاطات . . .

الأيام الخمسة عشر الأخيرة

غير ان مهلة الخمسة عشر يوماً التي حددها «الحكيم» ظلت الهاجس والأمل ، والإطار الذي تتحرك في داخله كل أفكارنا وأعمالنا . يوماً في إثر يوم ، حادثة في أعقاب حادثة ، ليلة تلي ليلة ، ساعة فساعة ، ودقيقة دقيقة . . . كان المحاصرون يلهثون من حناجرهم وعيونهم ووجوههم ذلك الزمن البطيء ، الثقيل ، المتحدي . إن أحداً لا يمكنه الغوص في كنه انسان ذلك الحصار إذا لم يتلمظ دقائق ذلك الزمان بكل مرارتها ، وبكل عظمتها ، وباتساع مشاعرها وعمقها :

٢٣ تشرين الثاني : اعاد الاشتراكيون بواسطة الصليب الأحمر جرجورة جرجورة الذي كانوا قد اختطفوه من الصليب الأحمر اياه . كانت آثار الجلد والضرب والحرق بادية على جسمه ووجهه . . . لذلك أدخل لتوه الى المستشفى .

ـ ٢٤ تشرين الثاني : توفيت إمرأة من بحمدون حزناً على مصيبتها التي لم تستطع تحملها .

ـ ٢٥ تشرين الثاني : قنص وقصف . ولد طفل في الآثارات قرب سيدة التلة فذهب أحد الشباب تحت القنص وأحضر الأم والطفل .

ـ ٢٦ تشرين الثاني : استمر القصف والقنص وأصيب بعض المقاتلين فعلق لهم الدكتور فؤاد ابو ناضر المصل بنفسه .

اتصل الاستاذ جورج ديب بالاسرائيليين فأتصلوا بدورهم بالاشتراكيين الذين زعموا ـ كذباً ـ ان طائرة هليكوبتر تحوم فوق دير القمر . . .

ـ ٢٧ تشرين الثاني : أصيب بعض الاشخاص داخل الكنيسة اثناء اقامة قداس وجناز لراحة انفس شهداء الجبل . بعد القداس عرض رئيس الاركان برنامجه «التسامي على المحنة» .

ـ ٢٨ تشرين الثاني : قنص متواصل . . . ووصول بعثة من الصليب الأحمر لدراسة أسباب تفشي الأمراض في المحاصرين .

ـ ٣٠ تشرين الثاني : قدم الدكتور انطوان البستاني الاحصاء الآتي حول المجهود الطبي خلال شهر تشرين الثاني :

ـ معاينات خارجية : ١٦٤٧ معاينة .

ـ عمليات جراحية (بنج موضعي) ٦٢ عملية .

ـ عمليات جراحية (بنج عمومي) ٢٦ عملية .

ـ ٢١٣ معاينة نسائية (أجرتها الاخت مادلين) .

ـ ولادات : ٥ صبيان و٥ بنات .

ـ أول كانون الاول : قنص كثيف . فقد اربعة اشخاص ذهبوا ليحضروا تفاحاً من معاصر بيت الدين .

ـ ٢ كانون الاول : وصول قناصل هولندا ، ايرلندا ، النروج . . . وفاة فتاة (١٤ سنة) في قسم المعاقين بسبب فقدان الدواء المطلوب لها (منع الاشتراكيون سيارة للصليب الأحمر تنقل ادوية) .

ـ ٤ كانون الاول : أعلن فك الحصار عن دير القمر في ذكرى كمال جنبلاط من دون أية شروط . . . انها نهاية مهلة الخمسة عشر يوماً التي وعد بها «الحكيم» ، وما زاد من أيام كان لتحضير النزول الى بيروت .

.. وفُكَّ حصار المئة يوم
بخمسة عشر يوماً

كيف حدث ذلك ؟

كيف يمكن حصاراً استغرق مئة يوم أن ينتهي بخمسة عشر يوماً ؟

انها ليست معجزة ، ولم يكن «الحكيم» ذلك الساحر ، لذلك هو يروي القصة بمنطقه المعهود ، بصدقه الواثق ، ودائماً بتواضع لا يتصف به سوى القائد .

يقول «الحكيم» في ذلك :

«مما لا شك فيه أن كل مشكلة في هذه الدنيا تحل ولكن بمنطق هذه المشكلة عينها وليس بالمنطق الشخصي .

«عندما نزلت من دير القمر كنت متأثراً جداً ، لذلك كنت أحاول ان انتزع التحرك والعمل من الآخرين انتزاعاً .

«قلت لهم : أنا سأفاوض . . . يجب طرح الأمور بشكل دقيق وواضح لا بشكل غامض . كانوا يقولون «نريد حل قضية دير القمر ولكن من دون أن نفرغ الجبل» . عرض الاسرائيليون مرتين حلاً لهذه القضية ولكن من دون جدوى لأن البعض كان ضد هذا الحل . . . أنا لم أكن أريد حل مشكلة دير القمر من دون ان أحل مشكلة المحاصرين فيها . فعدم وجودنا في دير القمر هو أكثر ضمانة للأهالي ، لأن ذريعة الاشتراكيين قصف الدير كانت وجودنا فيها . فاذا انسحبنا منها انتفى المبرر للاعتداء عليها ، وأقام الأهالي علاقة حسن جوار بالدروز . لذلك كان الحل في إطار المشروع الآتي : قلت لرئيس الجمهورية : ان الاسرائيليين يستطيعون الحل وسأقول لهم انك موافق» . . . وتكلمت مع فادي أيضاً . وقلت للاسرائيليين بالضبط ماذا نريد ، وطرحت ذلك على «ماندي» (رئيس الموساد) وعلى «داغان» واعطيتهم الحل بكل تفاصيله .

«السفير البابوي قال لي : «صرعونا بقصة دير القمر ولكن أي حل تريدون» ؟

«قلت له : هذا هو المشروع ، ترسله الى البابا ، وهو بدوره يتكلم مع ريغن ، وغداً سيأتي شامير وأرينز فيقول لهما ريغن نريد منكم حل قضية دير القمر . . .

«ثم اتصلنا بالأميركيين بواسطة الفريد ماضي ووديع حداد . وكان ان عرضت صحيفة «الواشنطن بوست» قضية دير القمر في أولى صفحاتها . في هذا الوقت كان وديع حداد يحضر لزيارة الشيخ امين الى اميركا . تكلمت مع الشيخ امين أولاً فوعدني بذلك . ولكي أتأكد أكثر

تكلمت مع وديع حداد وسلمته الحل بكامله ، وطلبت منه إدراجه في برنامج عمل المحادثات وإفهام الأميركيين بأن دير القمر مطلب الرئيس الاساسي . وبالفعل ركز ريغن على قضية دير القمر في الخطاب الذي ألقاه يومذاك . وكانت قد تحققت خطوات اعلامية وحملات عدة بواسطة الصحف والاذاعات والتلفزيون .

«أما مطلب الاسرائيليين فكان أن يطلب منهم الاميركيون حل مشكلة دير القمر لكي يحلوها .

«وأما المشروع فكان يقوم على اخراج قواتنا ومن يشاء من الأهالي ، على ان يمنع من ذلك أهالي دير القمر . ويتولى الدرك ومراقبون طليان ويونانيون حماية دير القمر ، وتؤمن طريق كفرحيم بواسطة الطليان واليونانيين . استطاعت اسرائيل ان تتفق مع الدروز على وجود اربعماية دركي ، بحيث يصبح مستحيلاً على الاشتراكيين - معنوياً - مهاجمة الدير . لكن الدولة لم تتابع اتصالاتها بالايطاليين واليونانيين ، بل انها أكثر من ذلك فشلت في تأمين أكثر من ١٨٠ دركياً !» .

بانتظار الخامس عشر من كانون الاول موعد فك الحصار كانت الايام في دير القمر تمر بطيئة ثقيلة ، وعادت يوميات القنص والقصف ومنع دخول الغذاء والدواء الى المحاصرين . . .

ومع ذلك استمرت نشاطات الانتصار على المحنة بحيث أقامت قيادة القوات حفلة ترفيهية في ١٠ كانون الأول حضرها رئيس الأركان (آنذاك) صاحب فكرة «التسامي على المحنة» ، ورئيس بلدية دير القمر والمحاصرون جميعاً . . . في تلك الحفلة تجلى العنفوان المسيحي بأبهى صوره وأسمى أياته .

من النشيد الوطني ، الى أغنية «من هاك الملعب ما نسنيا» فكلمتي «بللي بقيو راح منكمل . . .»[1] .

ولم تكن هذه الحفلة الوحيدة التي أقيمت داخل الحصار بل أقيمت حفلة أخرى حضرها نحو الألف شخص وتحدث خلالها الاستاذ جورج ديب شاكراً قيادة القوات ورئيس الأركان ، والقائد الغائب الحاضر سمير جعجع على الجهود التي بذلها والتي أدت الى فك الحصار عن دير القمر .

عقبه الدكتور جورج سعاده الذي تحدث عن شباب الشمال و«الحكيم» حامل صليب الجبل والتضحيات التي قدمها هو وشبابه ، الى جانب البطولات الخالدة في المعارك الضارية .

(١) - نصها في ملحق الكتاب

ثم تحدث الدكتور فؤاد ابو ناصر فشكر الاستاذ جورج ديب على جهوده وتضحياته ، وأكد انه جاء الى دير القمر ليتابع مسيرة سمير . . . وقال إن فك الحصار لم يأت مبادرة طوعية من وليد جنبلاط بل بفضل الضغوطات الاسرائيلية . . .

وقدم شباب الشمال الى رئيس الاركان صليباً فعلقه في عنقه وقطع عهداً على التعاون مع سمير حتى النهاية .

يوم الرحيل . . .

في هذه الاثناء كان الاعداد لليوم الكبير ، يوم الرحيل عن دير القمر ، بل يوم هجرة الجبل من دير القمر إلى بيروت ، جارياً على قدم وساق . الاستعداد للخروج من حصار دير القمر بدأ فرحة تكاد لا تصدق عند معظم المحاصرين . فالمحاصر طوال أشهر وسط ظروف بالغة الصعوبة والقسوة لا يطلب أكثر من أن يتحقق حلمه بالخروج من الحصار . ولكن ما إن أصبح حلم انتهاء الحصار حقيقة مع تحديد يوم الخامس عشر من كانون الاول موعداً لاجلاء المحاصرين ، حتى ارتسمت على الوجوه وفي العيون التساؤلات المقلقة :

وبعد ، الى أين ؟

من الجبل الى دير القمر ، ومن الدير الى أين ؟

في الجبل كان الحصار ، والتهافت على اقتسام الرغيف والحرام ، والتقوقع في زاوية احتماء من قذيفة أو رصاصة . . . ولكن من يستطيع التنبؤ بما سيكون عليه ذلك المجهول المخيف الذي ينتظر هذه الألوف الخارجة من دير القمر الى بيروت . . . الى أين ؟

بعضهم لم يتردد في اعلان اختياره البقاء والموت في دير القمر قريباً من حلم العودة الى القرية والبيت والأرض ، ومدافن الآباء والأجداد .

لكن الزمن كان يسير ، بدأ يسير بسرعة ، وموعد الجلاء يقترب ! .

في الثالث عشر من كانون الأول ، قبل يومين فقط من يوم الرحيل ، أحيينا سهرة في مار عبدا واشعلنا في اثنائها ناراً خاصة ، كنار المخيم ، أو كتلك الشعلة ـ شعلة المسيحية ـ التي لا تقوى قوة في العالم على اخمادها . كان التلفزيون الفرنسي وكثيرون من المصورين ومندوبي الصحف هناك تلك الليلة . وحول النار كان يتقدم كل واحد ويردد ما يجول في خاطر الانسان المسيحي في مثل هذا الموقف ، بعدها تلا الأب يوسف عقل كلاماً من الانجيل المقدس . وفي الختام رتل الجميع «طلبة العذراء» وكان صدى أصواتهم يجلجل غير آبه برصاص القنص أو قذائف القصف أو كمائن الخطف والذبح .

... وجاءت ليلة الرابع عشر من كانون الاول ، آخر ليلة نقضيها في دير القمر . ساعات معدودة ويبدأ الرحيل ، الانحسار ... الانحدار الى بيروت للتقوقع في زوايا المجهول المظلمة .

تلك الليلة ، كان طبيعياً الا ينام أحد . سهرات ، خلوات ، حلقات في الغرف والأروقة ... انها ليلة وداع مجتمع سيتفرق غداً وينتهي ويذوب في المجتمع الكبير أو المجتمعات البيروتية المختلفة ، المتباينة ، المتناقضة ... مجتمع المئة يوم سيتفكك غداً ، وشعب المئة يوم سيتوزع ويتفرق ويذوب .

إنها ليلة وداع بين شعب المئة يوم ...

وأنا في سريري ، وبقربي شمعة يذوب جسدها ، ويضمحل ، وينزلق الى أسفل شيئاً فشيئاً ... كنت أفضل البقاء في دير القمر .

فأنا عرفت ، في رحلتي الأخيرة الى بيروت ماذا يوجد في بيروت وما هي بيروت .

وأنا أحس بانسلاخ موجع عن أرض ومجتمع أصبحا قطعة من ذاتي ، بعدما ارتسم على ترابها بعض دمي وطبعت في صخورهما وجوه شهداء وأحباء ، وزرعت على سفوحهما ومرتفعاتهما وشوارعهما الكثير من عرق الجبين وعزم الساعدين .

وأنا أخيراً ، وربما اولاً ، لا أريد العودة وحدي الى أم كانت تنتظر أن يعود لها اثنان ، لكن دير القمر علمتني الكثير ، وعلمتني تلك التجربة العظيمة وذلك الحمام الرجولي شجاعة القول : اعطني يا رب نعمة الألم الدائم لكي احيا فيك الى الأبد .

... وجاء اليوم ـ الموعد ، يوم انحدار الجبل ، من دير القمر الى بيروت . انه الخامس عشر من كانون الاول من العام ١٩٨٣ :

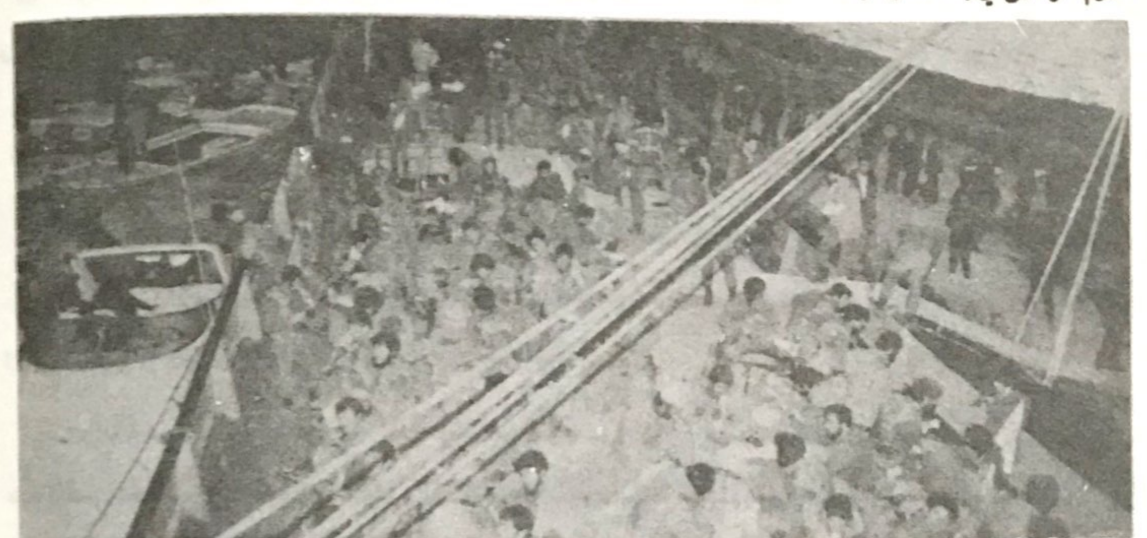
منذ الصباح الباكر تجمع العسكر في ساحة مار عبدا ، فيما تأهب المدنيون للنزول مع الصليب الأحمر ، وسط حشد من الصحافيين والمصورين الذين جاؤوا من كل الاقطار ليسجلوا وقائع جلاء الجبل عن دير القمر بعدما جلا عن نفسه الى ديره .

الاسرائيليون كانوا أول الواصلين وفي مقدمهم «داغان» صاحب تلك البسمة التي لا تفارق ثغره والتي لا أعرف بماذا أنعتها ! : «إنها السياسة يا عزيزي ...» .

بعد الاسرائيليين وصل رجال الدرك اللبناني فاستقبلهم الناس بما تبقى عندهم من حفنات الأرز الذي جادت عليهم به منظمات وهيئات وجمعيات خيرية ! ...



- يوم الرحيل في بلحة مار عبدا



- على الباخرة في صيدا



- الاستقبال في مرفأ بيروت .

ثم عقد اجتماع مع الاسرائيليين والدرك لترتيب الأمور، شرحت خلاله للضابط اللبناني المسؤول الوضع العسكري وحددت له أماكن وجود الالغام والنسفيات . . .

. . ثم تحركت القافلة ، قافلة النزوح الكبير ، من دير القمر في طريقها الى كفرحيم حيث تألب الجبل الدرزي للتفرج على نزوح الجبل المسيحي . لقد جمع الدروز شعبهم هناك ليقولوا له ماذا استطاع أن يحقق عندما قرروا ان يقاتل كشعب موحد .

في هذا الوقت كنت أقطع المسافة ما بين مار عبدا ودير القمر في سيارة جيب مكشوفة وأنا عاجز عن تحمل نظرات الناس على جانبي الطريق على رغم أنها كانت مفعمة بالمحبة والتقدير والأحترام . ودّعنا الناس الباقون في دير القمر ، نحن أيضاً ، بالارز ، بينما كنا متجهين الى . . . خارج الحصار .

في الطريق الى صيدا مررنا بمئات الشعارات واللافتات المهللة بالعودة والمشيدة بالصمود ، لكنني لم أكن مهتماً بالنظر إليها . . . حتى وصلنا الى مرفأ صيدا .

في مرفأ صيدا تقوقع الجبل في باخرتين مبحراً الى بيروت . كتلتا لحم وخشب كانتا تتهادى على مياه المتوسط .

ستون قرية .

كيان أمة .

تاريخ شعب .

آمال وذكريات واحلام .

طفولة شيخوخة وشباب .

بطولات واسماء شهداء .

كل هؤلاء أفرغتهم باخرتان منتصف تلك الليلة في مرفأ بيروت ، حيث كان الشيخ بيار الجميل وقائد القوات اللبنانية ورئيس الاركان والحكيم الى جانب التاريخ والمجهول في استقبالنا نحن «الناجين» من حصار دير القمر .

وكان على ابن الجبل ان يفقد أعز وأوفى اصدقائه : بندقيته التي انتزعت منه . تمنيت تلك اللحظة لو انني نزلت تسللاً كالمرة السابقة ولم أرَ مذلة انتزاع البندقية - بل سلخها - من مقاتل آتٍ بعد سنة من العذاب والبطولة وكأنه سارق يؤخذ منه المسروق ويدفع دفعاً الى داخل السجن ، الى المجهول ، الى العدم ، الى بيروت .

بعد دقائق ، وصلنا انا وأخي جوزيف مشياً الى الاوتوستراد ، وبدأ اطلاق الرصاص ، رصاص المبتهجين بوصول المحاصرين ، سالمين ، الى الحصار الجديد .

في الأعماق

مهما تكن العبر والأمثولات التي يجب اتخاذها من تجربة الجبل ، في كل مراحلها من الجبل الى دير القمر الى بيروت ، تبقَ المعاناة الأصدق والأمثل والأصلح لاستخلاص هذه العبر والامثولات تلك الآهات والتأوهات أو اللعنات البريئة النظيفة التي صدرت عمن عاش التجربة وذاق مرارتها :

غادة الهاشم (١٥ سنة) من رشميا ، استشهد أخوها عماد على تلة شاناي بقذيفة دبابة كتبت في دفتر براءتها ما يأتي :

«الحقيقة هي انني لم أكن أحب الخروج من دير القمر . . . فهناك كنا قريبين من قرانا ننظر اليها من على تلة الصليب ونقبل ترابها بأعيننا من بعيد . لذلك جلست أبكي يوم النزول ، فيما الناس التافهون يقهقهون فرحين بذلك اليوم ، ثم قمت بجولة على الغرف والأمكنة التي حضنتنا طوال مئة يوم . عندما جاءت الشاحنات تذكرت صور الفلسطينيين الذين شاهدتهم في المجلات تظهرهم رافعين علامة النصر بأصابعهم . . .

«في مجتمع بيروت أصبت بالذهول «ما حدا لحدا» ولا يد تمتد صوبك إلا لتأخذ منك لا لتعطيك . في الضيعة ، وعلى رغم الخلافات والحزازات القروية والعشائرية فإن المصيبة تجمع وتنسي الناس خلافاتهم . حتى طعام بيروت لا طعم له ولا هو «يملّح» كما يقولون عندنا في القرية . أذكر بيتنا في الضيعة ، الصنوبرات ، المرجوحة ، لعبة «الحرامية والعسكر» أنا وخيي عماد . . . قبل أن يصعد «الحكيم» الى الجبل ويتحقق حلمي بالانتماء الى القوات . .

«اليوم أشعر بأنني أكبر من عمري بكثير . كنت مرحة أكثر في السابق ، أما اليوم فأحس بأن لا شيء يمكنه أن يؤثر فيّ . . لقد ماتت فيّ أشياء وولد فيّ شيء آخر لعّلي بحاجة الى مزيد من الوقت لكي أدرك ماهيته . . .»

أما سناء راشد من مرج شرتون فقالت :

«تمنيت لو أنني مت ولم أمر في كفرحيم وسط الشتائم والسباب والاهانات . . . أصعب ما سمعته في حياته هو ان يقول لبناني للبناني آخر : «أنت مهجر !» اصبحت أحقد على جميع الناس ، ولا سيا على أولئك الذين يقولون : «ألستم عارفين بأن هذا سيحدث ، فلماذا بقيتم في الجبل ؟» .

رسالة الى القائد

.. في بيروت كان الخوف والقلق سائدين في كل مكان . لاحظت الشلل التام في المجتمع المسيحي وانهيار ثقته بالقيادات ، كل قياداته . كان يجب ان يتخذ أحدهم قراراً تاريخياً لكن ذلك لم يحدث . . .»

في أول شباط من العام ١٩٨٤ وجهت الى القائد ، قائد القوات ، الرسالة الآتية :

«حضرة قائد القوات اللبنانية المحترم .

تحية لبنانية . . .

أكتب لك بصراحة تامة ولو كانت صعبة . . .

. أرى من واجبي ان أكتب لك ، يدفعني الى ذلك عذاب ضمير مستمر في هذه المرحلة . تمر بذاكرتي صور آلاف الشهداء ، منهم من مات بصمت ، ومنهم من مات في بحمدون رافعاً يده يطلب الاستغاثة . وأشعر بأننا لم نلتفت الى رفعة هذه اليد لا في حياتهم ولا في مماتهم . . .

لن أعود الى ظروف معركة الجبل السياسية والعسكرية ، ولكنني لن استطيع ان اغمض عيني اليوم عن دفن قضية شعب مات من أجلها الآلاف . .

قضيتنا تجسدت في السنين الاخيرة بالقوات اللبنانية ، فكانت مئات القذائف لا تستطيع ان تسلب شيئاً من عنفوان شعبنا وقوته ، واليوم قذيفة واحدة توصله الى الحضيض ! . ليس لنا اليوم من قضية لأن القوات اللبنانية جسم ميت وبالتالي شعب من دون قضية ، مهدد في أي ساعة بالتصفية الجسدية . سيلعننا التاريخ والاجيال المقبلة ، اذا لم تكن الحاضرة ، على جريمة قتل نشارك فيها كل يوم . . .

لم يعد لقيادتنا السياسية أي احترام وانت تعرف الدور الذي لعبته «الجبهة اللبنانية» في السابق . لم تعد المعركة تعني الشعب المسيحي بعدما كانت تساوي دمه ، لم يعد يوجد شيء من المؤسسة المسيحية ، وبالتالي أصبحت مجزأة . بعد قليل لن تجد أحداً من المسيحيين ، فباب البحر وباب الجو واسعان جداً .

كل ذلك لعدم وجود قرار مسيحي وقوة مسيحية . . .

إنني أكتب لك اليوم ، حضرة القائد ، لأن في يدك القرار : إذا كنت ترى أن قوة الشعب المسيحي في الجيش وفي رئاسة الجمهورية فالأيام أثبتت العكس ، خصوصاً بعد استشهاد الرئيس الراحل . انني اتساءل : إذا أصاب رئيسنا اليوم ـ لا سمح الله ـ أي مكروه ، فما هو البديل ؟

هل يمكن ان يكون البديل جيشاً عرفنا سابقاً ماذا سيكون مصيره ؟

البديل شلل مسيحي تام وفي كافة المجالات .

البديل هو انه لن يحارب أحد عنا .

إذا كنا نفكر أنه في تلك الساعة سيكون عتاد الجيش المتطور معنا فأقول :

أي مؤسسة منظمة ستتولى العمل بهذه المعدات لمنع دخول المنطقة المسيحية المتبقية ؟

انني أكتب لك لأنني أشعر بان من واجبي ان أكتب ، انني اعرف ان من القوة يتفرع كل شيء ومن دونها لن يكون شيء . لست مقتنعاً بأن الجيش ورئاسة الجمهورية هما ضمان المسيحيين . . .

لن نستطيع دعم الرئيس ونحن ضعفاء ، ويخطىء ايضاً هو اذا كان هذا رأيه ، نستطيع دعم الرئيس عندما نكون ورقة قوية لا ورقة غير موجودة . . . ليس الوقت وقت خلافات داخلية ،.

هناك اتجاه سريع نحو الكارثة فعلينا بالتالي العمل بأسرع . . .

هناك طاقات هائلة تأكلها العفونة في هذه الايام ولا يلزمها سوى قرار للعمل .

صحيح انني لا أعرف الظروف المحيطة بك ، ولكنني أعرف ان ما من شيء مستحيل . . . لذلك آمل في ننتفض من حال النزاع والموت التي نحيا فيها اليوم الى قيامة سريعة ، قوية ، وجبارة . . .

بكل اخلاص . . . بول عنداري»

بعد هذه الرسالة بأربعة أيام استدعاني القائد ليقول لي «ان الحرب كانت قائمة على القوات اللبنانية من كل الافرقاء . . . والعمل الذي استطيع القول انني انجزته هو المحافظة على مؤسسة القوات اللبنانية من الزوال . . . أي انني نجحت في ابقائها على قيد الحياة . . .»

سقط الشحار . . . فبكى الضابط

وينقضي اسبوع على هذه الرسالة فتسقط بيروت الغربية (٦ شباط ١٩٨٤) وينقسم الجيش . . . ويأتي اسقاط الشحار الغربي في ١٢ شباط ، الحلقة الأهم في اعطاء «معركة الجبل» البعد الاستراتيجي للدروز بحيث كسروا بها طوق الكماشة ، وفتحوا ذراعاً عسكرية وسياسية نحو بيروت . . . إذ «كيف يمكن سقوط الشحار بست ساعات ، كلفنا تحريره ستة أيام ؟!»(١) .

كيف سقط الشحار الغربي ؟

لو رأيت الدموع تملأ عيني ذلك الضابط ، لعرفت معاناته من جراء أقذر عملية خيانة بين رفاق السلاح وقعت في الشحار الغربي !.

وهل يعرف الخونة ، الذين طعنوا رفاقهم في الظهر وقسمهم وشرفهم العسكري في الصدر، ماذا يقابل تلك الدموع في قلوب من استشهد رفاقهم على تلك الأرض التي ستظل شاهداً على أحقر عملية خيانة بين صفوف الجيش الواحد شهدها التاريخ العسكري المعاصر !.

كان الشحار الغربي منطقة موضوعة في إطار مسؤولية اللواء الرابع من الجيش اللبناني الذي يتساوى فيه تقريباً عدد العسكريين المسيحيين والمسلمين . وكان بحوزة هذا اللواء اسلحة متطورة منها دبابات «م ـ ٤٨» وصواريخ «ميلان» وملالات وسواها . . .

في ٨ شباط تسلمت الكتيبة ٤٣ (٨٠٪ بالمئة من عناصرها من المسلمين) خطوط التماس في عين كسور والبنيه . . . وكانت بقيادة النقيب وليد سكرية الذي أرسلت في حقه أكثر من احدى عشرة افادة تؤكد انه يعمل ضد الدولة والجيش من دون ان تبادر القيادة الى نقله أو ابعاده عن خطوط التماس على الأقل !.

في ١١ شباط جمع قائد الجيش العماد ابراهيم طنوس جميع ضباط اللواء الرابع في فندق «ليبانون بيتش» في الجية ، وأخبر الجميع من دون تحفظ أن العدة قد أعدت واكتمل التحضير لشن هجوم على «تلة الرادار» بهدف وصل الشحار الغربي بسوق الغرب . بعد ذلك راح القائد يتحدث الى كل ضابط على أنفراد ، فأبدى معظم الضباط تململهم من ذلك بسبب النقص في العتاد والنقص في العديد بعدما ترك معظم العسكريين المسلمين وحداتهم . . . وحده النقيب سكريه أبدى حماسة ملحوظة للمشروع وطالب بتكليفه بالمهمة ، وقال :«سأضرب في كل مكان وفي خلال ٢٤ ساعة ستكون المنطقة ساقطة بيدي» . . . وليد سكريه كان الضابط الوحيد الذي عانق العماد طنوس يومذاك . لكن طنوس لم يقل له «ستنكرني ثلاث مرات قبل صياح الديك» . . .

---

(١) ـ فؤاد ابو ناصر ـ المسيرة ٤ ايلول ١٩٨٤ .

ونهار الاثنين ١٢ شباط اتصل المقدم الاميركي روينر بضابط أمن اللواء الرابع فائق شهاب طالباً إليه اصطحابه بجولة (الساعة ٥ بعد الظهر) على مواقع الجيش في خطوط التماس ، على تلة الروس والبنية . . . وبالفعل حصلت الجولة وقام بها أربعة ضباط اميركيين مع الرائد فائق شهاب .

وليل الأثنين ، الساعة الحادية عشرة والنصف وصل ثلاثة جنود ، (أحدهم أرمني) وقالوا ان هجوماً بدأ في هذا الوقت ، وانهم رأوا النقيب سكريه وهو في «جيب ١٠٦» يقصف دبابة للجيش اللبناني. كان في قيادة الكتيبة ساعتذاك الضباط: نزيه حـداد من دير القمر ، حبيب الناعوس ، وضابط من آل رحال من راس بعلبك فقاموا بهجوم معاكس ومنعوا الدروز من الوصول الى معابر عبيه . لكن ، في هذا الوقت تبين ان كل الاجهزة قد عطلت بتغيير موجة جهاز «موتـورولا» اللاسلكي والتي يلزمها وقت محدد لاعادة وصل كل المراكز بموجة واحدة . كما ان أحد الضباط دخل مكتب الضابط سكريه ليرى كل شيء قد اختفى ولا سيما خريطة الألغام ، لأن سكرية كان قد أخذها معه . سارع هذا الضابط الى الاتصال بغرفة العمليات في اليرزة فقال له الضابط الذي رد عليه : اتصل بعد نصف ساعة . ولما قال له : «وصلو لينا» أقفل الخط بوجهه ! .

كان المسؤ ول عن مثلث خلده ضابط من آل اللقيس (شيعي) ويوم الثلاثاء ١٣ شباط كانت كل المواقع لا تزال مع الجيش باستثناء البنيه . وعند الساعة التاسعـة والنصف صباحـاً وصلت مجموعتان من المغاوير والمجوقلة لاسترجاع البنيه . الساعة الثانية بعد الظهر ورد اتصال الى غرفة العمليات في عبيه من دبابات خلده يقول : وصلنا الى البحر . . . اين التجمع ؟!

وصلوا الى فندق «ليبانون بيتش» ، فسأل عبد النـور كلاس : سيدنـا هل أعـطيت أمـراً للدبابات بالتوجه الى البحر ؟

رد كلاس بالفرنسية : «كلا ، هذا غير ممكن . انظر يا عبد النور وتحقق ما إذا كانت دباباتنا قد ذهبت ايضاً» . . . عاد عبد النور بعد ربع ساعة وقال ان الدبابات قد ذهبت .

اتصل كلاس بقائد الدبابات : «من اعطاكم أمر الانسحاب ؟ أجاب : «جاءنا أمر : ٢٤ من سلطة ، انسحاب الى البحر بسرعة» ! .

عند ذلك طلب الـكلاس من عبـد النـور الانسحـاب بانتظـام الى تلال بعورتـه على رغم توقف التغطية المدفعية منذ الصباح . وكان الاسرائيليون أوقفوا باخرة ذخيرة للجيش اللبناني في عرض البحر الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم . . . ثم وصلت برقية الى الباخرة تأمر قائدها بالقاء الذخيرة في البحر ونقل العسكر الى بيروت !

هكذا اتضح ان سكرية قد أعد مسبقاً لعملية الخيانة تلك لذلك دخل الدروز بلباس الجيش اللبناني ولم يكن الأمر هجوماً بل خيانة لأن قوة الجيش التي كانت موجودة هناك كان بإمكانها احتلال الجبل وليس فقط الدفاع عن الشحار الغربي . وبعد نجاح العملية انضم الجنود الدروز في الكتيبة ٤٣ الى المهاجمين .

وما بين الثاني عشر والثالث عشر من شباط سقط للجيش اللبناني أربعة وعشرون قتيلاً ونحو المئة جريح، ٩٩٪ منهم أصيبوا بسلاح «اخوتهم» في السلاح وفي الوطن! أما اسلحة الجيش فقد دمر منها سكرية دبابتين وتدهورت واحدة على طريق عين درافيل ، فيما اتجه بعضها الى المنطقة الغربية من بيروت . أما ما تبقى فاتجه نحو اقليم الخروب وسط فوضى عارمة وشكل مأسوي .

وقد نقلت الباخرة المشار اليها ما تستطيع من العسكريين ، فيما منع الاسرائيليون الرائد كلاس وبعض الضباط من الذهاب الى صيدا . كذلك ظلت في الاقليم ثلاث وعشرون دبابة م ٤٨ تعطلت في ما بعد لعدم وجود مسؤول يقوم بصيانتها .

وفي الاقليم علت أصوات الجنود والضباط تصب على القيادة كل أنواع الشتائم والسباب والاتهامات . . . إذ كانت تلك أبشع وصمة في تاريخ الجيش اللبناني القديم والحديث .

ولكن . . . «ممتهنو فن تزوير التاريخ والهاء الشعب وتغطية الخونة أظهروا للرأي العام ان سقوط الشحار وقع بعد فقدان الاتصال بالقيادة ، كأن القرى التي حررناها بيتاً بيتاً والتلال الستراتيجية التي سيطرنا عليها تلة تلة ، كانت في الماضي غير البعيد نزهة (كلفتنا خمسة أيام متواصلة من المعارك الطاحنة) يمكن ان تسقط «بنزهة» معادية بأقل من ٦ ساعات . . نقول ذلك رأفة بالشعب المسكين ، بالشعب البسيط الطيب ، بالشعب المؤمن بالشعب المضلل ، لأن الاوطان لا تبنى بفن العيش في صيغ تكاذب بل بفن شجاعة تقبل الحقيقة أو الانتفاض عليها أو العمل بهديها»[1] .

---

(١) - فؤاد ابو ناصر ، المسيرة ٤ ايلول

خاتمة

بحمدون حقيقة شعب واستشهاد وطن

بحمدون حقيقة شعب واستشهاد وطن

جاء في كلمة لغسان مطر «منفذ الحزب القومي» في مأتم أخيه ما يأتي:

«تفاجأ الضباط السوريون بصمود بحمدون . كانوا قد حسبوا لها ١٢ ساعة لكي تسقط . وأندهشوا كثيراً من طريقة سحب المدنيين الى دير القمر . . . » .

لكن بحمدون صمدت اثنتين وسبعين ساعة ، وقلة هم من يعرفون ان عدد الذين حاربوا على تلك الجبهة لا يتعدى الخمسين مقاتلاً، بمن فيهم «الحكيم» نفسه . أما نحن فكنا نعرف أننا نستطيع البقاء والصمود داخل بحمدون يوماً آخر أيضاً ولكن النتيجة أن أحداً لن يخرج حياً من بحمدون ولا من الجبل، والسؤال المحك الذي واجهته في بيروت بعد الجبل: «لماذا لم تموتوا في بحمدون؟».

إن كل ما كان يلزمنا لكي نبقى هناك هو سرية دبابات (١٠ دبابات) ولواء مشاة (١٥٠٠ رجل) فبهذا كنا أخذنا المبادرة في الهجوم وليس فقط في الدفاع . ولكن لتأمين هذه السرية وذاك اللواء وجب تأمين الطريق الى بيروت .

هنا ، في هذه المسألة بالضبط ، سيكون حكم التاريخ قاسياً جداً مثلما ان حرب «الجبل حقيقة لا ترحم» .

لقد فتحت الطريق ، مبدئياً ، الى بيروت عبر كفرمتى - جسر القاضي . وكان يمكن إرسال الدبابات والمقاتلين من هذه الطريق ، ولكن المشكلة الاساسية كانت في عدم وجود دبابات أو مقاتلين ! انه الافلاس بعينه .

لقد خسرنا المعركة قبل البدء بها وذلك عندما لم يجرِ التحضير لها كما يجب . فحرب الجبل قام بها ثلاثة آلاف مسيحي على الأكثر من أصل مليون مسيحي على الأقل . وعندما وصلت القوات اللبنانية الى قبر شمون لم يكن هناك من يستطيع إكمال التقدم. فالمجموعات التي خاضت الحرب معروفة ، وقد استشهد منها من أستشهد وأصيب من أصيب . أما الجيش فلم يعبر الى الجبل على رغم ان لا عوائق عسكرية أمامه .

من هنا، من هذه المعطيات ـ الحقائق ، نرى ان الجبل كان ساقطاً منذ بداية العام ١٩٨٣ والذين تهجروا الى دير القمر لم يتجاوز عددهم الثمانية آلاف من ستين قرية في الشوف وعاليه . وهذا يعني أننا خرجنا بأقل قدر ممكن من الخسارة البشرية في حرب الجبل .

أما ما لا استطيع تخيله فهو الجبل في الثمانية الأشهر الأخيرة من دون سمير جعجع ، خصوصاً في مرحلة الانسحاب ، إذ ان «الحكيم» كان آخر من ترك بحمدون . ولولا حكمة قراراته وصوابيتها في سحب المدنيين في الوقت المناسب لكانت وقعت أفظع مجزرة جماعية .

إلى كل هذا ، نتساءل ، ماذا يمكننا ن نتعلم من حرب الجبل ؟

وحدها القوات اللبنانية استطاعت اختراق جبهة الشحار الغربي وتحريرها رغماً عن ترسانة التحصينات والاسلحة التي كانت تواجهها ، إضافة الى جغرافية المنطقة وطبيعة أرضها الصعبة . وقد تحقق كل ذلك بإمكانات ضئيلة جداً كانت تأتي من البحر وتخضع لأمزجة الاسرائيليين وغير الاسرائيليين المتقلبة . وستبقى كفرمتى وتلة الروس وعين الحور شواهد تنطق بما شهدته من بطولات خطتها الوحدات والمغاوير والصدم وسواهم ممن فاقت قدرتهم كل التوقعات . ووحدنا استطعنا الصمود ثلاثة أيام بلياليها في بحمدون نجبه الموجات الفلسطينية والدرزية المتتالية من دون آليات أو امدادات أو تغطية مدفعية كافية . وعلى رغم ذلك فلن ينسى المهاجمون جبل عرام وتلة شاناي وغيرهما من مواقع جبهة بحمدون .

ان ما كان مطلوباً من المسيحيين في مواجهة الجبل ليست البطولة التي وصلت الى حد الانتحار بل قيادة مسيحية موحدة تضع قدميها على الأرض ولا تذهب الى الحرب فيما الناس عائدون منها ، وتعود من الحرب والناس ذاهبون اليها . قيادة تنتظر العروس بمصابيح مليئة بالزيت مثل العذارى الحكيمات لا بمصابيح فارغة مثل الجاهلات منهن . ما كان مطلوباً هو وضع حرب الجبل في مسارها العسكري والسياسي والاقتصادي والبسيكولوجي . . . أي في إطارها المسيحي الصحيح .

ما كان يجب ان نحققه في الجبل هو أحد أمرين :

إما فتح الطريق والدفاع عن الجبل والسيطرة الكاملة من بيروت الى بحمدون ، فدير القمر .

وإما متابعة الهجوم ووصل كفرمتى بسوق الغرب والسيطرة على المنطقة الساحلية ، وبذلك يتم فرز طبيعي : الدروز من عاليه وصعوداً ، ونحن من عاليه وسوق الغرب وكفرمتى ونزولاً . . .

لكننا خسرنا الاثنين معاً ، وفي النتيجة ربح الدروز المعركة وخسرناها نحن . المهم ان نعرف كيف خسرناها ونتعلم من ذلك ، لا أن نتلهى في التساؤ ل والجدل كيف ربحها الدروز ومن ساعدهم !

وبالحقيقة كان الجبل أول ضربة جدية للحكم افقدته خمسين بالمئة من قوته ، ثم جاء سقوط بيروت الغربية والشحار الغربي ليفقده النصف المتبقي ، ولطالما كانت الأحداث هي التي تقرر المستقبل في غياب القرار ـ الرؤ يا القادر على استباق الحدث والمستقبل.

لماذا أيضاً

في طريقي من دير الصليب الى بيروت أوقفتني امرأة ، معها والدتها العجوز وابنها الصغير : نصحوها بأن تعرض والدتها على الطبيب فلان . . . الذي أخذ منها مئتي ليرة بعد معاينة العجوز . رجته ان يترك لها ٢٥ ليرة أجرة الطريق ، لكنه قال لها : هذه تعرفتنا ! . . . «يا ابني يقطع القلة وهالايام . . . عندنا دابه بالضيعة حقها ٢٠٠٠ ليرة» . . .

* * *

فور نزوله من البوسطة التي أقلته من دير القمر مع عائلته الى بيروت دخل رجل دكاناً وقال لصاحبه : ليس معي سوى ٥ ليرات ، هل تعطيني بها ما أسد به جوع اولادي ؟ قال له : ليس عندي ما اعطيك إياه بخمس ليرات ! .

* * *

دخلت عائلة «مهجرة» بيتاً ليس فيه أحد وهو يخص واحداً من اولئك الذين هجروا المسيحيين من الجبل . . . ثم وصل جيب تشاجر من فيه مع العائلة تلك ، ضرب النساء والاطفال ورمى بثيابهم في عرض الشارع . . .

* * *

مديرة المدرسة الخاصة طردت طفلاً «مهجراً» لأنه غير مستوفٍ الشروط : كانت تنقصه ثياب الرياضة ، وكان عليه ان يفكر بها ويحملها معه من قريته الى دير القمر ، ومن دير القمر الى بيروت ! . . .

* * *

«يا ما أحلى دير القمر . . . كان في مين يهتم فينا هونيك ، وكنا قاعدين ببيت . . . شوف هون شو صار فينا . . . رمونا بالكاراجات وتحت الدراج وعابواب الناس . . .» .

هكذا أصبح المسيحيون الذين دخلنا الجبل للدفاع عنهم ، عن حريتهم وكرامتهم . . . ها هم اليوم في عمق مجتمعنا المسيحي ، وهم أبعد ما يكونون عن هذا المجتمع .

فماذا فعلنا لهؤلاء ؟

بل ماذا فعلنا بهم ؟

لا شيء سوى ان الكل ينادي بحماية المسيحيين .

يوماً بعد يوم يتضح لي ويزداد اقتناعي بأن بشير الجميل قتل بعد استشهاده. قتله قادة شعبه، قتلوا كل ما يمت إليه بصلة. بقي أن يقتلوا ما يذاع للحظات قبل الأخبار في «اذاعة لبنان الحر» فلا يعود أحد يسمعنا صوت ذلك القائد الذي أحدث أعنف تحول في المجتمع اللبناني وفي الانسان اللبناني المسيحي والمسلم، سواء بسواء.

قتل القائد وعاد لبنان ، كما كان دائماً ، مزرعة كبيرة - بل غابة وسيعة - وفي كل طائفة من طوائفه مزارع وغابات .

عاد الصراع ، صراعُ العائلات والاقطاع والعشائر ، واستعرت حرب تكريس الزعامات ، على اشلاء شعب تهجر من دياره شعب يتمنى لو مات بالرصاص والقذائف مرة واحدة ، دفعة واحدة ، ولم يخرجوه من دير القمر ليموت كل يوم بل كل ساعة . شعب يرتسم على جبينه السؤال الكبير :

متى نصبح مسيحيين ؟

ويكون الجواب:

نصبح مسيحيين عندما يترك الطبيب اجرة الطريق لمهجرة معدمة .

نصبح مسيحيين عندما لا تعود عيالنا تنام تحت الدرج أو في كاراج .

نصبح مسيحيين عندما لا يصار الى قتل بشير الجميل بعد استشهاده ومعه آلاف الشهداء .

مؤلمة الحقيقة التي تعرفت اليها في الجبل:

عرفت لماذا استطاع اربعة ملايين يهودي على الأكثر التغلب على مئة وسبعين مليون عربي على الأقل ، وعرفت كذلك كيف استطاع مئة وسبعون ألف درزي التغلب على مليون مسيحي : أية مهزلة هذه ؟

عرفت بالتالي ان مستقبلاً يصنعه أولئك الذين يجدون دائماً من يصفق لهم ويبرر أعمالهم . . . لن يكون أفضل مما حدث بالأمس في الجبل .

مهما يكن فلا مكان لليأس في قلوبنا «باللّي بقيوا رح بنكمل» ولأن عندنا من طبعت على جبهته دماء بحمدون وتلال الشحار الغربي فلا خوف على المستقبل .

أخاف على المستقبل عندما لا يبقى من يستطيع قول الحقيقة وبذلك نقتل أنفسنا مرتين : الأولى عندما نضع رؤوسنا في الرمال والثانية عندما تدق الساعة وتذر الريح الرمال ونظهر بعرينا وضعفنا .

بكل طاقاتنا يجب ان نعمل ، حكماء وأقوياء وملتزمين ، علينا أن نكون لأنه لن يبقى مكان للضعفاء . . صحيح انها ليست الكارثة الأولى التي تحل بنا ولكننا لسنا مستعدين للعيش ٤٠٠ سنة أخرى «حكم تركي» .

قوية هي الوحدة وقاتل هو التوحيد الأعمى ، وليست الكارثة في اختلاف الرأي فحسب بل الكارثة الأكبر أن يكون الجميع في الطريق المؤدية الى الهاوية . . .

القائد يصنع الشعب ، وحيث لا يوجد شعب لا توجد قوة ، وحيث لا توجد قوة توجد هزيمة ، وحيث توجد الهزيمة يوجد الموت ، ونحن ما خلقنا لنموت أحياء . . .

مُلحق الكتاب

الكلمة التي ألقيتها في حفلة دير القمر
١٠ كانون الأول ١٩٨٣

... باللي بقيبوا رح منكمل ...

تحملني الذكرى ... في خشوع الليل راكعاً ... أقبل حجارة الحائط الباردة ... ويزول العالم ... ليبقى ولد ملتصق بكنيسة ... تحمله السعادة الى أبعد من داخلها ... يحمله الايمان في الظلمة الى فوق ... الى الله ...

انها كنيسة قريتي ... كنت آتي اليها عندما يغادرها الناس ... أركع على الحصى قرب حائطها ... أقبله ... أقول لمن كان يستقبلني هناك :

... أنا في قلبك يا سيدي ...

يدعوني ... أقف لأدخل من الباب الخلفي ... أحيي سنديانة عتيقة شهدت مجزرة قريبة ... خبأت أحدهم بين ذراعيها ... وأدخل على مهل ، على غير قدمّي ... أعبر في رائحة البخور ... على ضوء شمعة يشع منها النور ... وصليب يتعالى فوق مذبح ... وذراعان مفتوحتان ترسمان لي الطريق ...

هناك يتوقف الزمن على درجات المذبح ... ويتعالى ذلك الاله الصغير ... في الحب الى أعماق أعماق ما بين تلك الذراعين ...

وتمر الأيام ويكبر الولد ... ويمر طوفان من الرمال آتياً من الصحراء ، ليقذف به بعيداً عن ذلك الحائط البارد ، عن تلك الكنيسة الدافئة ... عن تلك القرية الصغيرة الوادعة ... ويبقى في أعماق تلك الذراعين قائلاً :

... أنا ما زلت في قلبك يا سيدي ...

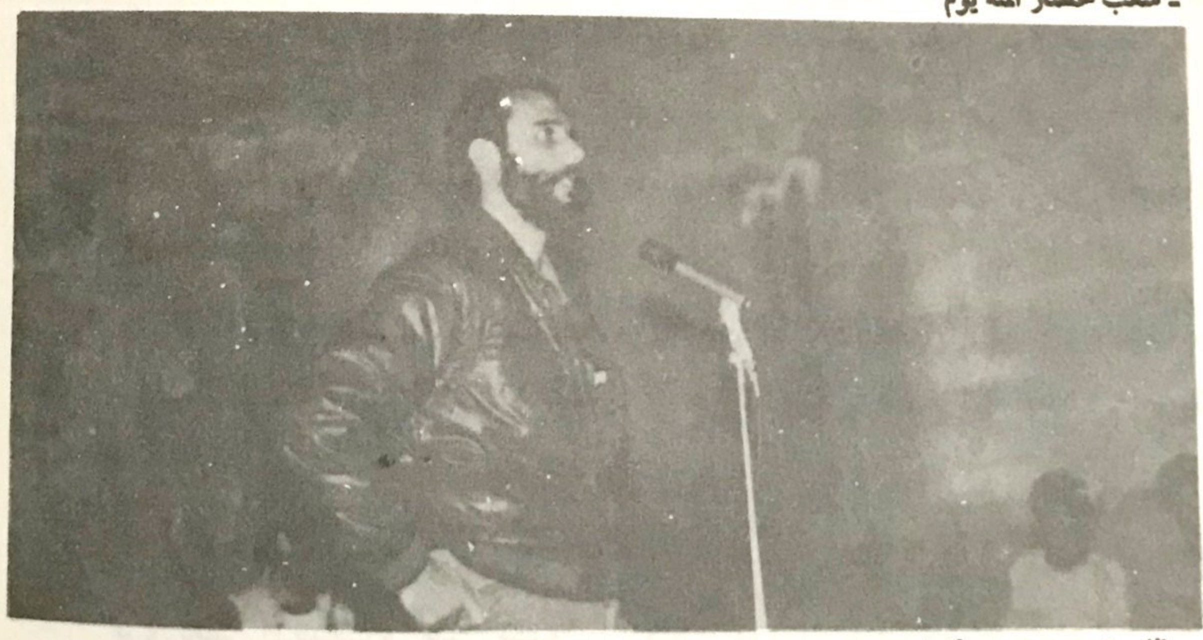
يرى بعض الاكتئاب في عيني سيده ... ولكن بدون أن يعرف السبب ...



- النشيد اللبناني



- شعب حصار المئة يوم



- باللي بقيو... رح منكمل

يعود فيسترجع صور ذلك الطوفان ... تمر أمام عينيه تلك الرمال القذرة ... ترسل الحديد والنار معلنة قدومها[1] .

تمزق سكينة الليل ... تغير هندسة المنازل ... تغطي الشوارع بالخراب ، وتمر ... تمر تلك الصور في البال :

يتقطع غازي على جبل ...

يبقى طوني على طريق ...

وعلى تلة يغمر اندره وعماد التراب ...

تتمسك قذيفة بجورج لتدله على غير ... غير تلك الطريق ...

وتعلو ... تعلو تلك الموسيقى الصاخبة ... تضيء سكون الليل ... تتقدم تلك الرمال ... ليكبر ويكبر السؤال ...

وتطل ... تطل تلك القافلة ...[2] تلملم صراخ الاطفال ... تسبقها دموع الرحيل ... تعبر الظلمة ... تودعها القذائف الآتية من بيروت ... وتموت ... تموت أغاني الأطفال ... في شوارع بحمدون ...

وتكبر القافلة آتية من قرى الجبل ... على ماذا أطل القمر ؟...

الجميع هجروا الديار ... الى دير القمر ...

غمرت الأم أبناءها ... فبقي مكان بارد تحت جناحيها ... مكانه : بقي هناك يتدفأ به التراب .

وتحني صبية رأسها تحاول الاتكال على صدره ... وتبقى منحنية... لوحدها .

يعود القمر ... يحدق النظر ... دنياه رحل منها السهر : تكسرت ثلوج السنديانة ، تهدم حائط الكنيسة ... رحل الصليب عن ذلك المذبح ... وحل صمت صاخب على بقايا ذلك البيت ...

تمر هذه الصور في عيني ذلك الولد وهو جالس تحت شجرة ... في هذه البلدة الملقاة على صفحة جبل ... منسية من النسيان ... يزورها ليل ... يغادرها عمر ... فجأة

---

(١) بحمدون ... المعركة

(٢) الناس الهاربة من بحمدون .

كالقذيفة ... تنساب الموسيقى في الخوف ... تفتش عن ملجأ ... ينزوي الأطفال في دير القمر ... بعيداً عن الطفولة ... في حضن أم تحمل رغيف خبز ، تحلم بحضن الحياة .

يتحدث الكبار ... ينفجر الدمار ... يعلو احمرار الدماء جدران المنازل ... للحرية ... للمسيحية ... للبقاء ... للحرب... لكل شيء : إلاّ للحب ...

يذهب الى البيت ... يلتقط ذلك الكتاب ... يقرأ عن اللصوص عندما طردوا بالسوط ، من الهيكل ... يتذكر الاكتئاب في عيني سيده :

لقد أصبح سيده بدون هيكل[1] .

يحلم ببناء الهيكل ... يحلم بالعودة[2] يترامى صوت سيده قائلاً له ستكون لك اذا عرفت أن :

ما من صليب سيرتفع من دون سيف .

وما من سيف سينتصر من دون صليب .

دير القمر

١٠ كانون الأول ١٩٨٣

بول عنداري

(١) تهدمت الكنائس

(٢) الى الجبل

محاضرة الدكتور سمير جعجع
التي ألقيت في ٦/ ١١/ ١٩٨٣
في قاعة كنيسة مار عبدا ـ دير القمر

مقدمة :

لا بد وكالعادة من ملخص صغير عن المواضيع التي مرت معنا في الحلقات السابقة ، لنصل من ثم الى موضوع حلقة اليوم .

في الحلقة الأولى رأينا انه يُفترض في كل شعب من الشعوب ان تأخذ النخبة على عاتقها زمام الأمور ، ويُفترض في هذه النخبة ان تكون ملتزمة لتتمكن من تأدية المطلوب منها ومن تحقيق الهدف .

في الحلقة الثانية رأينا أهمية الالتزام للوصول الى الهدف المنشود . كما رأينا ماذا يعني «الالتزام» عملياً لكي لا تظل كلمة في المطلق أو كطرح نظري يُختلف عليه عملياً . إذاً الالتزام بالانسان ، كما رأينا يعني تحقيق أبعاد الانسان عملياً والتي حددناها في الحلقات السابقة بثلاث :

- البعد المادي ،
- البعد الاجتماعي ،
- البعد الماورائي .

وفي الحلقة الثالثة تطرقنا الى البعد الاجتماعي محاولين تحديده بالنسبة الى الانسان المسيحي اللبناني،ووصلنا الى نتيجة مؤداها انه يُفترض فينا ، اذا نحن التزمنا بالانسان ، ان نصل الى تحقيق هذا البعد له . وقد رأينا على مر التاريخ ، وبفضل التاريخ والجغرافيا والبيئة والصراعات والممارسات ، وبفضل الثقافة والمعاناة والخلفيات الفلسفية انه ، بفضل هذه العوامل مجتمعة ، تكوّن ما اسميناه ، بعداً اجتماعياً مسيحياً لبنانياً يختلف كل الاختلاف عن أي بعد اجتماعي ثانٍ موجود على الأرض إن بين سائر المسيحيين أو بين سائر اللبنانيين غير المسيحيين .

وفي الحلقة السابقة تطرقنا قليلاً الى موضوع البعد الماورائي بتحديد خطواتنا العملية ، وأهمية البعد الماورائي بالنسبة الى البعد الاجتماعي وعلاقة الاول بالثاني ، كما رأينا انه عندما نحقق البعد الاجتماعي نكون في الوقت ذاته قد وفينا القسم الكبير من البعد الماورائي ، حقه .

«أما في هذه الجلسة فسوف نتطرق الى موضوع دقيق جداً وصعب ، وربما كان الكثيرون بيننا لا يستسيغونه. لكن شئنا أم أبينا ، يُفترض فينا ان نتطرق اليه لكي يكون بحثنا كاملاً ، ألاَ وهو موضوع البعد الماورائي ، خصوصاً انه طُرح ، الى اليوم ، عدة مرات وفي أكثر من مناسبة وفي كثير من المواضيع ، وتبين ان له علاقة بها لكنه لم يزل بعض الغموض يلفه خصوصاً بالنسبة الينا .

إذاً ما هو البعد الماورائي ؟ وما هي علاقته بالبعد الاجتماعي ؟ وما علاقة هذا البعد الماورائي للانسان بالتزامنا نحن بالانسان ؟ وبالتالي كيف يجب ان نعمل لتحقيق هذا البعد للانسان ؟

سأبدأ قبل كل شيء بالعموميات مستفيضاً بالبحث والغوص بالتفاصيل بغية التوصل الى أكبر قدر ممكن من صفاء الصورة والافهام لكي نخلص في نهاية الحديث الى أمور واضحة بالنسبة الى الكثير منا .

بادىء ذي بدء ، هناك أشياء على الأرض ملموسة ومسموعة لا يختلف اثنان على صحة وجودها . لا أحد مثلاً ينفي وجود بناية قائمة على الأرض لأن في استطاعة الجميع رؤيتها ومشاهدتها بأم العين ولمسها باليد . إذاً وعموماً هناك واقع ملموس ومحسوس ومسموع لا يستطيع أحد التهرب من الاقرار به . لكن المشكلة تكمن في وجود الكثير من الوقائع والاشياء خارج نطاق الملموس والمحسوس في الوقت الحاضر. أي ان الكثير من الأمور والمواضيع والأبعاد والأفكار لم تزل حتى الآن خفية عنا لا نعرف شيئاً عنها ولا نستطيع ان نتلمسها أو نحددها . لكن هذا الواقع الذي لا نستطيع إداركه في الوقت الحاضر ولم نتوصل الى معرفة شيء عنه ، لا يعني انه غير موجود بل العكس هو الصحيح والدليل ان كل واحد منا لديه ميل طبيعي نحو هذا الواقع غير المحسوس وغير الملموس ، لكن في امكاناتنا الحاضرة السمعية والبصرية لا نستطيع تلمسه . وأدل مثل على ذلك المواد المشعة في الطبيعة Les substances radio-actives والتي بدأ التعرف اليها منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فهذا لا يعني ان قبل هذا التاريخ لم تكن هذه المواد موجودة في الطبيعة ولكن حتى ذلك التاريخ لم يكن لدى الانسان أي طريقة للتعرف اليها ولاثبات وجودها كالتي لديه الآن وهي ما يسمى بـ Detecteur electronique

وهناك جملة مواد ثانية في جملة عوالم ثانية في جملة وقائع ثانية لها وجود بالتأكيد ، ولكن في الوقت الحاضر لا نعلم منها سوى القسم أو الجزء الذي نستطيع ان نراه ونسمعه أو نحسه بواسطة الآلات التي اخترعت الى اليوم .

فكل شيء وكل واقع وكل فكرة خارج نطاق المحسوس والملموس ولا يمكن قياسه في الوقت الحاضر ، يُشكل ما يسمى بعالم الماورائيات . هذا العالم الذي سأحاول الآن تحديده أكثر فأكثر وبدقة ، لانني حددته قبل الآن عموماً وكان تحديداً ناقصاً وسلبياً négatif . ولكن كل شيء سيقال عن

الماورائيات سيبقى ضمن حدود التكهن طالما اننا لا نستطيع ان نرى الاشياء ونحسها ولا أن نقيسها . وهذا يعني انه ليس من Certitudes (اثباتات) علمية بهذا الخصوص وسيبقى ذلك ضمن نطاق الايمان ، ضمن نطاق التبصر والتكهن لأنه في هذا الوجود هناك أمر واقع يخضع للعلم تماماً وللقياسات ، وكل ما يتعدى ذلك يدخل ضمن نطاق التكهن .

إذاً ما هي الماورائيات بالنسبة الى الناس ؟ وعلى أي أساس يتعرفون اليها ويحددونها ؟

العالم الماورائي يختلف من انسان الى آخر ومن مجتمع الى آخر . ويجري تحديده حتى الساعة في شكل نسبي ومن منطلقات متعددة . وكل شيء على هذه الارض اسمه ديانات يشكل الأسس الأولية لتحديد معالم العوالم الماورائية بالنسبة الى فرد موجود على الأرض . اذاً الذي يحدد العالم الماورائي لكل فرد من الناس هو الديانة التي يعتنقها أو ينتمي اليها . فاذا اخذنا انسان اميركا مثلاً نرى ان العالم الماورائي بالنسبة اليه هو العالم المحكى عنه في الانجيل . واذا أخذنا انساناً من السعودية وسألناه عن ظواهر وتفاصيل العالم الماورائي بالنسبة اليه، نرى انها تلك المذكورة في القرآن . وكذلك بالنسبة الى الانسان اليهودي، فإنه يحدد عالمه الماورائي بحسب ما هو وارد في العهد القديم . والعالم الماورائي بالنسبة الى الانسان الشيوعي هو ما وضع صفاته ماركس الخ . . .

إذاً العالم الماورائي لكل انسان يُحدد أو يكون محدداً مسبقاً انطلاقاً من الفلسفة الدينية التي يعتنقها. وكل دين من الاديان له Projections (ظواهر) مادية على الأرض يستعين بها الانسان لتحديد ، الى حد ما ، معالم عالمه الماورائي المجسدة في المظاهر والظواهر المذكورة في ديانته . فبالنسبة الى الشخص المسيحي العادي مثلاً فإن معالم العالم الماورائي هي :

- اولاً : الله .
- ثانياً : السماء والثالوث الاقدس والملائكة .
- ثالثاً : المسيح .
- رابعاً : الانجيل .
- خامساً : القديسيون .
- سادساً : الكنيسة .
- سابعاً : كل التراث الديني الذي تجلى منذ الوجود المسيحي على الارض الى الآن .

هذا فيما معالم العالم الماورائي بالنسبة الى الانسان المسلم هي :

- اولاً : الله .

- ثانياً : الجنّة .
- ثالثاً : محمد .
- رابعاً : القرآن .
- خامساً : الأمة الاسلامية .
- سادساً : الخليفة (والخلافة هي أعلى مرتبة في الاسلام) .
- سابعاً : النظام الاجتماعي السياسي للأمة الاسلامية .
- ثامناً : مجموعة المشايخ .

إذا ، من هذه المفاهيم نستطيع ان نحدد العالم الماورائي بالنسبة الى الشخص المسيحي وبالنسبة الى الشخص المسلم اللذين ، كما رأينا ، يختلفان كل الاختلاف تقريباً .

نستنتج مما قلنا انه يُفترض لتحقيق البعد الماورائي لأي انسان مسيحي ان يكون موجوداً في إطار مادي مختلف تماماً عن أي إطار مادي آخر موجود على وجه الأرض . وكذلك الأمر بالنسبة الى الشخص المسلم أو غيره . فكل انسان ، ينتمي الى ديانة معينة ، له بعده الماورائي الخاص به والمختلف عنه عند أي انسان آخر ينتمي الى ديانة أخرى . ومن هنا فَرَضَ الالتزام الصحيح بالانسان وجوب تأمين الاطار المادي الملائم لكل انسان على الأرض لتحقيق معالم العالم الماورائي الخاص به .

لو أخذنا الآن الأمر من الناحية العكسية . فالانسان شاء أم أبى هو كائن مادي(C'est un étre biologique) . والكثير من أعماله وتحركاته يمليها عليه كونه مادياً (وهذا واقع يجب ألا يغيب لحظة عن البال) ، فهذا الكائن المادي إذاً ، هو في الإطار المادي الذي يوجد فيه . من هنا إذاً ، استحالة تحقيق البعد الماورائي لأي انسان اذا لم يكن موجوداً اصلاً في الإطار المادي الملائم . مثلاً على ذلك : لو أخذنا الانسان المسلم ووضعناه في بيئة مسيحية صرفة لها عاداتها وتقاليدها وممارساتها وحياتها الاجتماعية والثقافية والدينية ، وحضارتها الخاصة بها والمختلفة تماماً عن تلك التي في الاسلام . وإذا كان هذا الانسان مسلماً مؤمناً الى أبعد حد ، لكنه في حياته اليومية لا يصادف سوى معالم وخصائص مسيحية بحتة ، فمن العبث القول انه سيستطيع ان يحقق العالم الماورائي الخاص به في الوقت الذي لا يرى فيه أياً من معالم البعد الماورائي للانسان المسلم والمتمثل بالظواهر والمظاهر المذكورة في ديانته والتي ذكرناها سابقاً : (الله ـ الجنة ـ محمد . . .) وفي نهاية المطاف وانطلاقاً من كونه كائناً مادياً يتأثر بالبيئة التي هو فيها وبالاطار المادي الذي يعيش فيه ، فهو بالتالي شاء أم أبى سيكون مضطراً الى تحقيق البعد الماورائي لانسان تلك البيئة الا وهو البعد الماورائي المسيحي .

وأكبر دليل على ذلك انه اذا وُجدت أقلية ضئيلة من الناس ومن ديانة معينة في مجتمع كبير أهله من ديانة مختلفة فان هذه الأقلية لا تلبث ان تتأثر بهذه البيئة وتأخذ عنها عاداتها وتقاليدها وتمارسها في حياتها اليومية متخلية عن تلك التي كانت لها : فتعيد أعياد أهلها وتمارس شعائرهم ،الى ما هنالك من مظاهر الحياة اليومية الاجتماعية والدينية . فهذا الانسان لا يستطيع إلا ان يحقق البعد الماورائي الخاص بانسان هذه البيئة حيث يعيش . فمن غير المعقول إذاً ان نحقق البعد الماورائي للانسان المسيحي اذا وضعناه في مجتمع مسلم . وأكثر من ذلك ليس من المعقول ان نحقق له هذا البعد حتى ولو وضع في مجتمع علماني وذلك انطلاقاً من كون فلسفة الوجود العلمانية هي الوجودية أي التي ما من شيء فيها خارج نطاق الموجود والمحسوس .

بعد هذا لا بد من التطرق الى نقطة مهمة جداً وجوهرية ، إن في هذا البحث أو في أبحاث سابقة أو لاحقة وكثيراً ما ترد في حياتنا اليومية ، في الجرائد والمجلات ، أو ترد على ألسنة الكثير من الزعماء اللبنانيين والفلاسفة من كبار القوم ، وهي القول بان «الدين لله والوطن للجميع» ، أو مثلاً «الدين هو علاقة الانسان بربه» ، لكن هذا هو المؤسف حقاً ان نرى في مجتمعنا كبار القوم ينادون بمثل هذه الشعارات والاقاويل ، لأن الانسان في الحقيقة هو كل متكامل لا تمكن تجزئته ، يتحرك في كل الاوقات وكل اللحظات وفي كل مراحل حياته ككل متكامل لوحدة بيولوجية . كل جوارحه وعواطفه وكل فكره الواعي واللاواعي تشترك معه في أي عمل يقوم به من صغائر الأمور الى كبراها الموجودة أو التي يمكن أن يفكر بها . وتأكدوا تماماً ان الجوع أو الوجع في أي من اعضاء الجسم قد يؤثر الى حد بعيد في قرار كبار القادة إذا ما أتخذه تحت وطأة الألم والجوع .

من هنا أقول لكم انه لا يجوز فصل الانسان بعضه عن بعض، ولا القول ان الدين هو علاقة الانسان بربه ولا علاقة له ببقية الأمور . ولا ينسى أحد منا ولو للحظة ان الله موجود في كل واحد منا ، في كل شيء على الأرض وفي كل لحظة من التاريخ . إذاً «الدين هو علاقة الانسان بربه» يعني انه علاقة بين الانسان وبين كل ما هو موجود على الارض وبين كل ما هو موجود خارج الارض . ولكي نتوسع أكثر في هذه النقطة سنلجأ الى العلم في هذا الموضوع ، أي لتحديدات اعطاها كبار الفلاسفة في هذا القرن وفي القرن المنصرم للديانة . نبدأ أولاً بـ VEBERODRIQUE HAIM حيث يقول :

La religion est la tentative la plus audacieuse pour concevoir l'univers comme ayant une signification humaine. Ainsi certaines traditions religieuses soulignent avec force la nécessité de rassemblement communautaire durable et pnovisoire pour mieux signifier, incarner, vivre et reproduire la religion.

فهو يقول : ان الدين هو نظام ويضيف انه : «auto-interpretation collective».

أي ان الديانة هي تعبير عن الذات الجماعية ، فمن خلالها نعبر عن ذاتنا الداخلية كمجتمع وليس كاشخاص . وفي مكان آخر يقول ايضاً :

La religion nait de et dans la societé conçue comme la totalité en dehors de laquelle rien n'existe.

ننتقل الآن الى التعريف الذي اعطاه Marx . وحتى ماركس الذي هو ألد اعداء الدين يقول :

La religion est le soupir de la créature accablée, l'âme d'un monde sans corps. Comme elle est l'esprit d'une existence sans esprit. Elle est l'opium du monde.

فعلى رغم انه لا يعترف بالدين فانه يحدد مكانته في المجتمع والعالم .

كذلك Talcot وهو أحد أرباب علم الاجتماع الديني يقول :

Voir en elle (La religion) la beauté des formes culturelles

وهذا يعني انها (أي الديانة) من أرقى أنواع درجات الثقافة وهي ليست شيئاً منفصلاً عن الانسان أو المجتمع بحيث لا توجد ثقافة خاصة بالفرد الواحد بل الثقافة تكون خاصة بالمجتمع .

Le christianisme reussissant bien à s'integrer dans la société... en tant que fondateur et formateur de la conscience à exerçer sa fonction culturelle suprême dans la création et la recréation de la socicté moderne contemporaine.

فالديانة هي إذاً ، في أساس كل تكوين الوعي الانساني. وانه برأيه تقوم بالدور الاساسي والأول في خلق المجتمع المعاصر الحديث . لأن الانسان الموجود في مجتمع معين يتفاعل معه .

كذلك Peter Bunguer وهو من أهم مفكري القرن العشرين قال :

La religion est la tentative la plus audacieuse pour concevoir l'univers comme ayant signification humaine. Ainsi certaines traditions religieuses soulignent avec force la nécessité de rassemblement communautaire durable et pnovisoire pour mieux signifier, incarner, vivre et reproduire la religion.

فالاطار المادي إذاً ضروري لكي نستطيع تجسيد الديانة التي نؤمن بها .

Ansant يقول في كتابه : Idéologie, conflits, et pouvoir حول أبعاد الديانة ان لها بعدين deux dimensions بعداً افقياً وبعداً عمودياً : Structure double de la religion horizentale et verticale. أي ان الديانة تبسط حالها أفقياً على كل البشر وعمودياً في اتجاه الله .

حتى انه ذهب الى أبعد من التفاعل بين الدين والانسان ليقول ان الديانة في كل المجتمعات لا تفعل فعلها ككنيسة موجودة فقط انما كانجازات مادية وكسلم قيم تنشأ منه بقية التحركات بالمجتمع . فكل النظريات بالعدالة والمساواة والنظم الاجتماعية تأتي من سلم قيم أولي يكون الدافع الاساسي للانسان للقيام بالأعمال الانسانية والخيرة . ايضاً مع Ansant :

La religion agit en tant qu'ayant façonné la mentalité collective non en tant qu'ayant façonné simplement la personalité décroyante.

أي ان الديانة لا تعمل فقط على تكييف وتهذيب شخصية الفرد بمفرده ، بل ان فعلها الأساسي بتكوين شخصية كلية ، شخصية مجتمعية .

من هنا فان القول بأن الديانة علاقة الانسان بربه ولا دخل لها بالسياسة والمجتمع وليس لها أية علاقة على الأرض ،كلام مرفوض كلياً لأن العكس هو الصحيح . فالديانة هي المنطلق الاساسي والخفية الاساسية لكل تحرك مجتمعي سياسي . لذلك لا نستطيع ولو للحظة من اللحظات ان نهمل البعد الماورائي للانسان اذا كنا حقاً في صدد الالتزام بالانسان بكل أبعاده . فهذا البعد يشكل جزءاً مهماً لا بل الجزء الأهم ، في نظر البعض ، من الانسان . فلكي نكون جديين في طرحنا يُفترض فينا ان نأخذ هذا البعد في عين الاعتبار أكثر بكثير من البعدين الآخرين : المادي والاجتماعي .

* * *

سؤال : حضرتك تطرقت الى موضوع كون الانسان بحد ذاته لا يستطيع الخروج من الإطار الذي يوجد فيه والذي يعيشه كل يوم . فكيف يستطيع ان يعيش خارج هذا الإطار ولنأخذ مثلاً اليهود ؟ كيف أمكنهم بعدما تشردوا وتشرذموا في العالم ان يستمروا واقعياً ضمن إطارات مختلفة عن بعضها وعن الإطار الخاص بهم .

جواب : ان أكبر دليل على الشيء الذي قلته لكم والمثل الذي يجسد هذه النظرية يتمثل في اليهود بالذات . فلو كان هناك من إمكان للانسان اليهودي أن يحقق ذاته في كل هذه المجتمعات التي وجد فيها لما سعى لتجميع شمله وإقامة دولة له ، هي اسرائيل ، على رغم كل الصعوبات التي واجهتها وتواجهها من المحيط العربي وغيره . أما السؤال عن كيفية تمكّنه من المحافظة على خصائصه في الوقت الذي كان فيه بعيداً عن وطنه ، فما لا شك فيه ان خلال كل حقبات التاريخ كانت توجد نواة Noyau يهودية في فلسطين . حتى في أوائل القرن العشرين كان يوجد ما لا يقل عن ٦٠ ألف يهودي في فلسطين . وهذه النواة بقيت محافظة على اللغة والتقاليد وكل ما يمت بصلة للشخصية اليهودية . أما بالنسبة الى اليهود الذين كانوا خارج فلسطين فلم يحافظوا جميعهم على ذاتيتهم اليهودية بل فقط القسم الذي كان على احتكاك مستمر ومباشر بيهود فلسطين بقي محافظاً على ذاتيته اليهودية . وهذا ، بالاضافة الى الاضطهاد الذي تعرّض له اليهود وبالأخص على أيدي مسيحيي اوروبا ، مما

ساعد اليهود على تمسكهم أكثر بخصائصهم وجعلهم يفكرون دائماً بإقامة كيان ذاتي لهم . وأكبر دليل على ذلك انه حيث كان اليهود في العالم يتمتعون بعيشة هادئة وراحة تامة كانت نسبة الهجرة الى اسرائيل منخفضة جداً، على عكس ما كانت عليه في الأماكن التي واجهوا فيها صعوبة في العيش . هذا بالاضافة ايضاً الى كون اليهود متزمتين ومتمسكين بتقاليدهم ولغتهم، وعنصريين أكثر من أي شعب آخر بحيث اكتملت عندهم عناصر القومية من لغة - عرق - ديانة الى مشروع سياسي الخ . . . فكل عناصر القومية بالمطلق وبالطرح النظري موجودة عند اليهود .

سؤال : نستنتج من ذلك انه لا يمكن الانسان ان يحقق بعده الماورائي إلا في مجتمع ديني واحد (هنا اعترض الحكيم على كلمة ديني لانها «بتزعج» ، خلينا نستعمل ثقافة واحدة) يعني لبنان بوضعه الذي كان فيه ، هل يمكن الانسان ان يحقق فيه بعده الماورائي ؟

جواب : كلا «ولا بأي شكل» وأكبر دليل على ذلك هو الانسان الذي وصلنا اليه في لبنان . فالانسان عموماً في لبنان وفي الوقت الحاضر وليس في أثر الحرب بل تاريخنا الحديث كله، هوانسان «مسخ» يعيش في مجتمع لا هوية له ، إطاره المادي غير واضح وبالتالي لا يستطيع ان يحقق ذاته فيه مما يعني انه انسان مبتعد .

سؤال : بحسب التعريف الذي اعطاه Ansant هل نستطيع ان نعتبر ان باستطاعة الانسان ان يحقق بعده الماورائي من خلال دولة علمانية ؟

- هناك أمل أكبر بتحقيق البعد الماورائي في دولة دينية . أي دولة ملتزمة بالفلسفة الدينية بحيث ان الدولة الدينية تأخذConnotation عاطلة انطلاقاً من الحكم الديني الذي كان موجوداً في القرون الوسطى في اوروبا عموماً والذي كان يعتبر حكم رجال دين أكثر منه حكماً دينياً . فلو أخذنا مجتمع الدولة الاميركية نرى انه مجتمع دولة ذات التزامات دينية الى حد كبير، على عكس المجتمع الفرنسي حيث ان نسبة ٨٠٪ تقريباً من الفرنسيين يعتبرون أنفسهم من دون دين وهذا في نظرهم معيارُ للتقدم الفرنسي بحيث أصبح شعارهمBoulot — Dodo — Dodo . فالقاضي الاميركي مثلاً يحكم باسم العدالة المستوحاة من الانجيل المقدس . فالمجتمع الاميركي متبني الفلسفة الدينية بشكل حديث ومتطور وهو بعيد كل البعد عن المجتمع الديني السعودي مثلاً . من هنا فان أفضل مجتمع لتحقيق البعد الماورائي للانسان هو في الدرجة الاولى مجتمع الدولة ذات الابعاد الفلسفية الدينية ويليه مجتمع الدولةالعلمانية الحقة. لكن لا يظن أحد ان العلمنةفي لبنان معقولةلانه لا وجود لمجتمع علماني خارج الطبيعة وخارج المعقول والمألوف . ان لبنان مكون من فلسفتين أساسيتين : الفلسفة المسيحية والفلسفة الاسلامية ان الأولى تتقبل العلمنة بشكل صريح وواضح فيما الثانية لا تقبل العلمنة بأي شكل . وكل ما يصرح به أو يطرح في كثير من المناسبات من

قبل الاسلام عن العلمنة هـو فقـط من قبيل المنـاورة السياسية لان كل تحـرك الاسـلام السياسي الاجتماعي يرتبط بخلفيتهم الدينية وليس من المعقول ان يتخلوا عن فلسفتهم الـدينية . لذلك لا بديل لهم سوى بتبني العلمنة كعلم بكافة أبعادهـا . وبـكل الـInfra structure (البنية التحتية) وهذا بكل تأكيد ضرب من ضروب المستحيل . لكن على افتراض اننا كمسيحيين نعيش في لبنان مع الشيوعيين وليس مع الاسلام فمن الممكن عندها ان يكون هناك من مجال للعلمنـة كحـل وسـط ونستطيع ان نحقق بعدنا الماورائي . لكن على العموم فان المكان الامثل لتحقيق هذا البعد هو ان نكون في دولة ومجتمع ذات جذور وتطلعات وأبعاد لها منطلقات فلسفية .

الاديرة التي دمرت في الجبل

١ ـ دير مار يوحنا المعمدان ـ رشميا : أسس سنة ١٦٥٦ على عهد البطريرك مار اسطفان . هو الثالث بعد ديري «مرت مورا» و«مار ليشع» . أصبح بعد القسمة ، الأول في الرهبانية «البلدية» كان لرئيسه حق التقدم على جميع رؤ ساء الاديار في المجامع العامة والحفلات الرسمية .

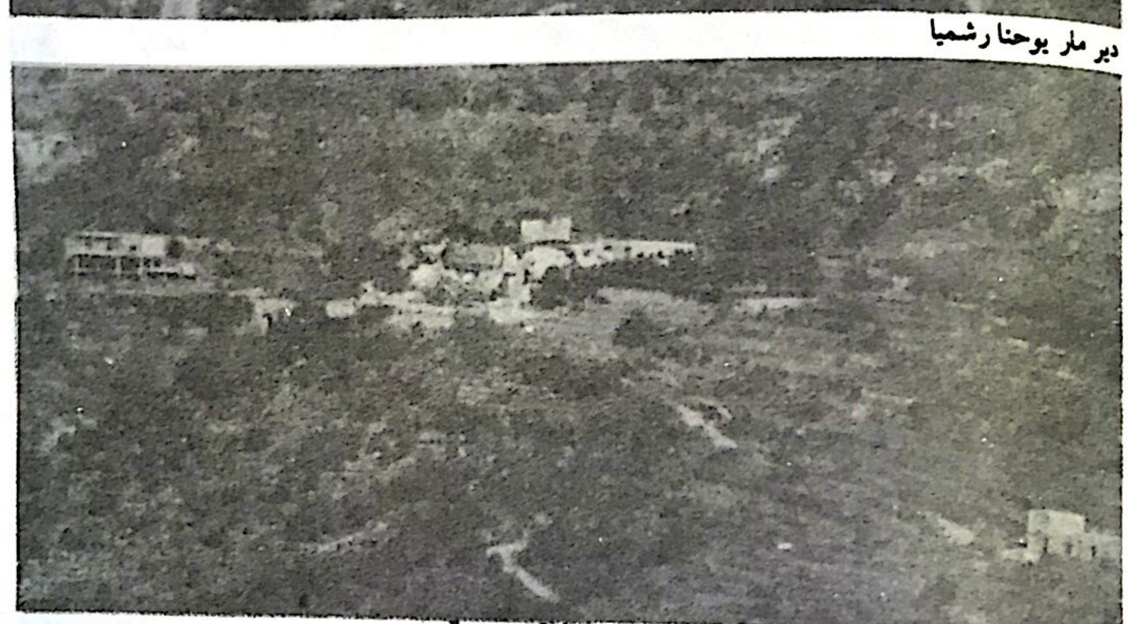
٢ ـ دير مار انطونيوس سير : بني في العام ١٧٠٠ . نزل فيه الأمير بشير الثاني ضيفاً ومكث فيه مدة عام بكامله .

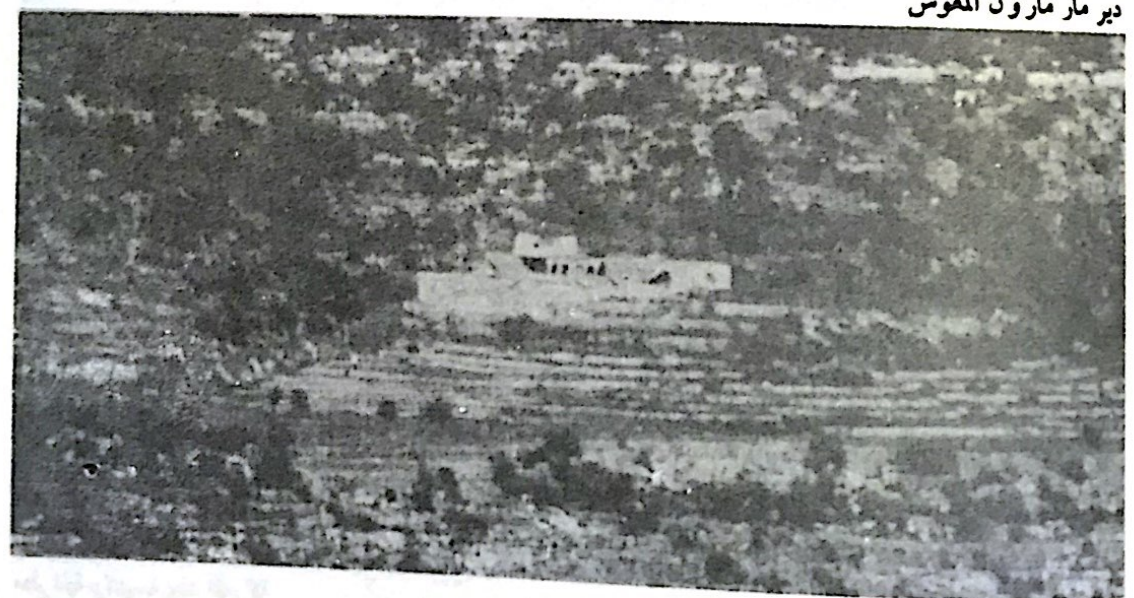
٣ ـ دير مار الياس الكحلونية : بني في العام ١٧٦٥ . اشترت الرهبانية أرضه بألفين وثلاثمائة وستة وتسعين غرشاً بموجب صك من الأميرين شديد وموسى ابي اللمع . تجدد بناؤه في العام ١٩١١ ومنذ عدة سنين شيدت الرهبانية بقربه مدرسة لتعليم أولاد القرى المجاورة . . .

٤ ـ دير مار مارون ـ مجدل المعوش : تأسس في العام ١٧٣٠ على يد الرهبانية اللبنانية المارونية فيه كنيسة أثرية . . . نسف وحرق .

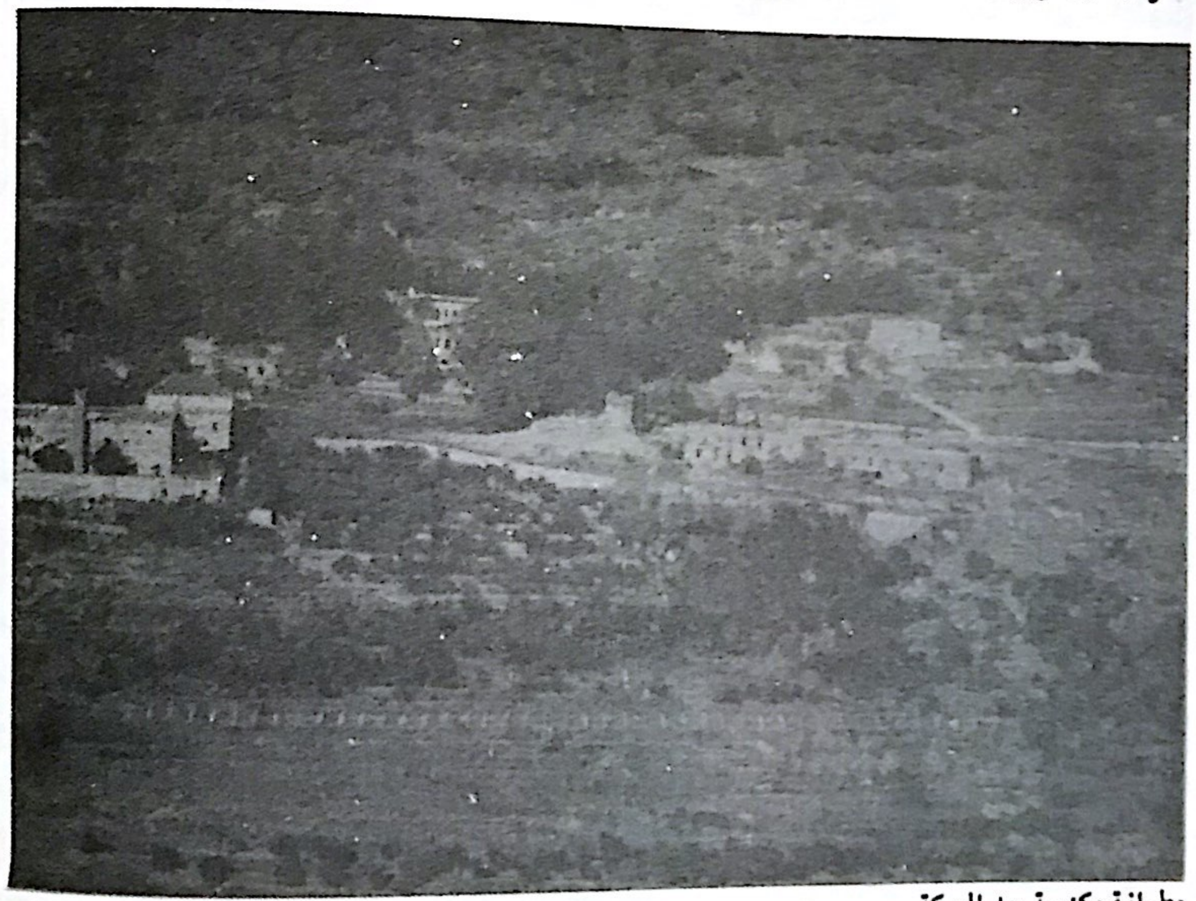
٥ ـ دير مار يوحنا قبيع : تأسس في العام ١٨٤٨ لتأمين الخدمة الروحية والزمنية للمسيحيين في المنطقة . نسف وحرق وقتل رئيسه الاب فرنسيس ضاهر ابي انطون (٧٢ سنة من حمانا) .


دير مار يوحنا رشميا


دير مار مارون المعوش


دير سير ـ رويسة النعمان

مطرانية عين تريز وكنيستها



مطرانية وكنيسة بعد المعركة

القرى التي تهّجر أهلها الى دير القمر ومن ثم الى بيروت

١ ـ قرى الشوف :

١ ـ شوريت
٢ ـ مجدل المعوش
٣ ـ كفرنيس
٤ ـ وادي الست
٥ ـ البيرة
٦ ـ المريجات
٧ ـ الفوارة
٨ ـ المطيلة
٩ ـ بريح
١٠ ـ الحبايل
١١ ـ كفرنبرخ
١٢ ـ الكنيسة
١٣ ـ عميق
١٤ ـ كفرقطرا
١٥ ـ معاصر بيت الدين
١٦ ـ بيت الدين
١٧ ـ وادي بنحليه
١٨ ـ سرجبال
١٩ ـ دير دوريت
٢٠ ـ وادي دير دوريت
٢١ ـ وادي الدير
٢٢ ـ بنويتي
٢٣ ـ مزرعة الشوف
٢٤ ـ معاصر الشوف
٢٥ ـ الباروك
٢٦ ـ الفريديس
٢٧ ـ شواليق دير القمر

٢ ـ قضاء عاليه

١ ـ بحمدون المحطة
٢ ـ بحمدون الضيعة
٣ ـ المنصورية
٤ ـ التعزانية
٥ ـ بطلون
٦ ـ الشقيف
٧ ـ عين المرج
٨ ـ سبعل
٩ ـ رويسة النعمان
١٠ ـ عين الجديدة

١١ ـ بخشتيه
١٢ ـ الرجمة
١٣ ـ بحوارة
١٤ ـ شرتون
١٥ ـ مرج شرتون
١٦ ـ كفرعميه
١٧ ـ دوير الرمان
١٨ ـ بو زريدة
١٩ ـ سلفايا
٢٠ ـ جسر القاضي
٢١ ـ رمحالا
٢٢ ـ دفون
٢٣ ـ عين تريز
٢٤ ـ رشميا
٢٥ ـ بسرين
٢٦ ـ عين الحلزون
٢٧ ـ حبرمون
٢٨ ـ عين موفق
٢٩ ـ مزرعة النهر

٣ ـ المتن الاعلى

١ ـ الكحلونية
٢ ـ رأس الحرف
٣ ـ حارة حمزة
٤ ـ قتالة

شهداء معركة الجبل

ايدي جورج الأسمر	٤/ ٩/ ٨٣
انطونيوس صديق وردان	٥/ ٩/ ٨٣
انطوان حنا طوق	٧/ ٩/ ٨٣
انطوان يوسف رحيم	٥/ ٩/ ٨٣
ايدي مخايل اندراوس	٥/ ٩/ ٨٣
اندره جميل ابي رميا	٤/ ٩/ ٨٣
ايلي عبدالله سمارة	٢٧/ ٨/ ٨٣
انطوان موسى هاشم	٦/ ٩/ ٨٣
انطوان حنا عنداري	٥/ ٩/ ٨٣
انطوان منصور ابو منصور	٥/ ٩/ ٨٣
اسكندر عزيز خيرالله	٥/ ٩/ ٨٣
الياس عبدو منصور	٥/ ٩/ ٨٣
اندره لبيب متى	٥/ ٩/ ٨٣
احمد محمد الكردي	٥/ ٩/ ٨٣
اندره مخايل عبدو	٥/ ٩/ ٨٣
ايلي فريد وهبه	٥/ ٩/ ٨٣
الياس منير مسلم	٥/ ٩/ ٨٣
الياس قزحيا صدقة	٤/ ٩/ ٨٣
بيار فؤاد الجميل	٨/ ٩/ ٨٣
باسيل ميشال جنادري	٩/ ٩/ ٨٣
بشاره سمعان مهارج	٥/ ٩/ ٨٣
بيار يوسف سمعان	٤/ ٩/ ٨٣
توما شحاده ليشع	٥/ ٩/ ٨٣

توفيق رشيد سعاده	٧/ ٩/ ٨٣
جورج كابي ابراهيم	٥/ ٩/ ٨٣
جوزيف جرجس مطر	٤/ ٩/ ٨٣
جوزيف مطانيوس اللقيس	٧/ ٩/ ٨٣
جهاد زاكي العريس	١٠/ ٩/ ٨٣
جوزيف الياس حداد	٥/ ٩/ ٨٣
جوزيف جريس ابو الياس	٥/ ٩/ ٨٣
جوزف حنا عبود	٥/ ٩/ ٨٣
جان ميشال رشدان	٥/ ٩/ ٨٣
جورج جميل حنوش	٥/ ٩/ ٨٣
جوزيف ميشال زريعي	٨/ ٩/ ٨٣
جورج سليم حداد	٤/ ٩/ ٨٣
جان وجيه غصن	٤/ ٩/ ٨٣
جرجس ايليا ايليا	٨/ ٩/ ٨٣
جوزيف جورج فرحة	٣١/ ٨/ ٨٣
جان جرجي حايك	٤/ ٩/ ٨٣
جان مخايل الهبر	٥/ ٩/ ٨٣
جورج جوزيف مرهج	٥/ ٩/ ٨٣
جهاد اندراوس سعد	٥/ ٩/ ٨٣
جورج يوسف الهبر	٥/ ٩/ ٨٣
جرجس فؤاد مسلم	٥/ ٩/ ٨٣
جوزيف جرجس ابي خليل	٥/ ٩/ ٨٣
جوزيف نجم صفير	٥/ ٩/ ٨٣
جان انطوان سعد	٥/ ٩/ ٨٣
جان ايليا خيرالله	٦/ ١٠/ ٨٣
جوزيف مارون اسعد	١٦/ ١١/ ٨٣
جوزيف فؤاد نصرالله	١٢/ ٩/ ٨٣
حسان يوسف مطر	٥/ ٩/ ٨٣
حنا ملكي ملك	٧/ ٩/ ٨٣

خليل نخلة شهيد ميشال الريس	٤/ ٩/ ٨٣
خليل الياس خليل	١٦/ ٩/ ٨٣
داني جوزيف جبر	٩/ ٩/ ٨٣
روجيه نخله عويس	١٠/ ٩/ ٨٣
ريمون كبريال حكيم	٤/ ٩/ ٨٣
روجيه بشارة قطوف	٧/ ٩/ ٨٣
ريشار جرجي مزريب	٧/ ٩/ ٨٣
سمير دانيال حبشي	٣١/ ٨/ ٨٣
سليمان رفيق سعاده	٥/ ٩/ ٨٣
سامي انطوان حنين	٩/ ٩/ ٨٣
سليم كريم نجم	٥/ ٩/ ٨٣
سليمان ابراهيم درزي	٤/ ٩/ ٨٣
شوقي حسيب عيد	٤/ ٩/ ٨٣
شمعون كميل الهبر	٥/ ٩/ ٨٣
شكري سعد مسلم	٥/ ٩/ ٨٣
شهيد نعمه مسلم	٥/ ٩/ ٨٣
شربل بطرس ابي سعد	٨/ ٩/ ٨٣
شمعون مسعود هوفي	١٢/ ١٠/ ٨٣
ضرغام نقولا دعبول	١٠/ ٩/ ٨٣
طوني رزق الله مراد	١٠/ ٩/ ٨٣
طوني حبيب بيطار	٤/ ٩/ ٨٣
عبدالله يوسف يونس	١٠/ ٩/ ٨٣
عبدو ميشال ابو خليل	٨/ ٩/ ٨٣
عماد كرم	٧/ ٩/ ٨٣
علي حسن الدايخ	٧/ ٩/ ٨٣
عادل عزيز الهبر	٥/ ٩/ ٨٣
عصام مخايل الهبر	٥/ ٩/ ٨٣
عماد عزيز الهاشم	٥/ ٩/ ٨٣
عبدالله اديب لحود	٥/ ٩/ ٨٣

عبدالله مطانيوس عبدالله	٩/ ٩/ ٨٣
غازي خليل هارون	٤/ ٩/ ٨٣
غصوب الياس سلوم	٣/ ٩/ ٨٣
غسان جميل بعقليني	٥/ ٩/ ٨٣
غسان سليمان اسعد	١٤/ ٩/ ٨٣
غسان نعيم الاسمر	١٠/ ٩/ ٨٣
فادي مطانيوس شبيعة	٧/ ٩/ ٨٣
فادي الياس جرجس	٥/ ٩/ ٨٣
فادي طنوس غانم	٧/ ٩/ ٨٣
فارس يوسف عطيه	٧/ ٩/ ٨٣
قيصر حسن فخر الدين	٥/ ٩/ ٨٣
كيروز يوسف بركات	١٠/ ٩/ ٨٣
كميل شكري صليبا	٦/ ٩/ ٨٣
كسرى حليم الهبر	٥/ ٩/ ٨٣
كنعان أمين درغم	٥/ ٩/ ٨٣
ميشال يوسف طحان	٥/ ٩/ ٨٣
ميلاد طانيوس نعمه	١٠/ ٩/ ٨٣
ميشال سمعان خوري	١٠/ ٩/ ٨٣
مرسيل اسعد بكاسين	٥/ ٩/ ٨٣
منوال سليمان عمانوئيل	٥/ ٩/ ٨٣
منصور انطوان الهيبي	٥/ ٩/ ٨٣
ميشال انيس حداد	٨/ ٩/ ٨٣
مارون ادوار مسلم	٥/ ٩/ ٨٣
مارون دميان ابي حنا	٥/ ٩/ ٨٣
ميشال جرجي عاقوري	٥/ ٩/ ٨٣
نبيل رياض فرفود	١٠/ ٩/ ٨٣
نعوم نورية شماس	٧/ ٩/ ٨٣
ناهد لطوف نعنوع	٨/ ٩/ ٨٣
نعمه حبيب لحود	٥/ ٩/ ٨٣

نعمة يوسف ضو	٨/ ٩/ ٨٣
وليد جورج منيّر	٦/ ٩/ ٨٣
وليد ادمون الخوري	١٥/ ٩/ ٨٣
وليد جميل نمر	٦/ ٩/ ٨٣
يوسف ميشال نصر	٥/ ٩/ ٨٣
يوسف سليم بدري	٥/ ٩/ ٨٣
يوسف محمد قداحة	٥/ ٩/ ٨٣

التسلسل الزمني للاحداث

Chronologie

١٩٧٥

٩ شباط	: تنصيب خريش بطريركاً .
٣٠ أيار	: كمال جنبلاط يصرّ على ابعاد الكتائب عن الحكومة .
١٨ حزيران	: جنبلاط يعود من سوريا : السوريون غير مرتاحين لموقف الكتائب .
٦ تموز	: اعلان مقاومة جديدة للدفاع عن الجنوب «أمل» .
١٨ ابلول	: خطف وليد جنبلاط واعادته يؤدي الى اتصال بين الزعيمين كميل شمعون وكمال جنبلاط .
١ تشرين الأول	: كمال جنبلاط : لن ينتهي الوضع المتدهور إلاّ بمجيء رئيس جديد للجمهورية .
٣١ تشرين الأول	: مسلحون يقتحمون دير الناعمة والقسيس يمهلهم ٤٨ ساعة للاخلاء .
١٧ كانون الأول	: كمال جنبلاط : المطالبة بمقاضاة رئيس الجمهورية .

١٩٧٦

٢٠ كانون الثاني	: الدامور تحترق والأهالي ينزحون بحراً الى جونيه .
٢٢ آذار	: الوضع في الجبل يزداد تدهوراً بعد تطويق حمّانا .
٢٥ آذار	: حرب الجبل في المتين : القتال من بيت الى بيت .
٢ نيسان	: القوات المشتركة تدخل عينطورة وتشتبك مع القوات اللبنانية .
١ أيار	: جنبلاط يتهم سوريا بالتآمر على لبنان .
٧ حزيران	: الدبابات السورية تتقدم باتجاه بحمدون .
٢٥ آب	: جنبلاط : صمودنا سيغّير اتجاهات الحكم السوري ، وقد وضعنا رأسنا في كفة الميزان .
٢٨ آب	: القوات المشتركة في الجبل تتعرض لهجوم تشنه القوات السورية والقوات اللبنانية وتشترك فيه الآليات .
١٢ تشرين الاول	: لقاء الجبهة اللبنانية وفداً درزياً : بيان يتلوه بشير الأعور : «دعوة أبناء الجبل الى رصّ الصفوف والتصدي لمؤامرة يحيكها وينفذها الغرباء» .

القوات السورية تجتاز مواقع القوات المشتركة في بحمدون المحطة .

١٤ تشرين الاول : القوات السورية تجتاز مواقع القوات المشتركة في بحمدون المحطة .

١٤ تشرين الاول : القوات السورية تجتاز مواقع القوات المشتركة في بحمدون وحرصه على وحدة لبنان .

١٥ تشرين الاول : وفد درزي يعود من دمشق ويؤكد تأييد الدروز للمبادرة السورية وحرصه على وحدة لبنان .

٨ تشرين الثاني : جنبلاط بعد اجتماع بالعقيد أحمد الحاج بحضور أبو آياد : اعلان ترحيبه بخطوة دخول الردع عاليه والمتن .

١٩٧٧

١١ كانون الثاني : الردع يستكمل تمركزه في الشوف .

١٦ كانون الثاني : بشير الجمّيل : سنحرر لبنان كله انطلاقاً من الجنوب .
بعد حوادث معاصر الشوف طلب النائب فؤاد الطحيني لموفد كتلة جنبلاط أن يقوم الاخير بتعزية أهالي المعاصر فقال له : «يا فؤاد ، أنا مستحي قوم بالتعزية بعد أن قام جماعتي بمهاجمة الابرياء» .

١٦ آذار : اغتيال كمال جنبلاط عصر الاربعاء الساعة ٢,٢٠ بعد الظهر ، تبعه مقتل أكثر من ٢٠٠ مسيحي في الجبل .

٨ أيار : ابناء الدامور يحددون حزيران موعداً لعودتهم .

١٠ حزيران : شمعون وارسلان التقيا أمس : المحادثات تركزت على وضع الشوف .

٢٨ حزيران : وليد جنبلاط يزور ليبيا ويعتزم زيارة دمشق .

٩ تموز : بشير الجمّيل : نحمّل الفلسطينيين مسؤولية ما يحدث في الجنوب والهدنة نوع من المخدرات .

١٣ تموز : استقبل الرئيس سركيس عاصم قانصوه الذي صرح : «علينا أن نختار سوريا كحليف ومعين استراتيجي للبنان» .

١٦ تموز : بيار الجميل يدعو الى مؤتمر وطني وفيصل ارسلان يرحب بمبادرة الجميل .

٣٠ تموز : عشرون ألف داموري : «لا وفاق قبل عودتنا» .

١٠ آب : بشير الجمّيل : نحن اللبنانيين غير مرتاحين لزيارة فاس . لن نترك الجنوبيين تحت رحمة الارهاب الفلسطيني .

٢١ آب : مجزرة بريح الذي ذهب ضحيتها عشرات المسيحيين

٢٢ آب : ارسلان : الوجود الفلسطيني المسلح وراء أزمة الجنوب . جنبلاط ليس اشتراكياً حقيقياً .

٢٣ آب : بيار الجميّل : الوضع في الشوف خطر جداً .
- اجتماع شوفي في بيت الدين .
- فيصل ارسلان : سنكسر رقبة من يكسر التعايش الدرزي ـ المسيحي .
- مجيد ارسلان دعا الى تعليق المشانق لتثبيت الأمن .

٢٤ آب : اعتقال ٢٧ شوفياً ومصادرة ٢٥٠ قطعة سلاح .

٢٥ آب	: شمعون يقاطع اجتماع بيت الدين .
٢٧ آب	: بعدما كشف التحقيق بعض الأمور ، لماذا يخشى جنبلاط عقد اجتماع بعبدا .
٢٨ آب	: خلوة اهدن للجبهة اللبنانية والقوات اللبنانية لمواجهة الحالة في الشوف .
٢٩ آب	: سلام يعتبر بيان الجبهة ارهاباً .
١ أيلول	: ارسلان : هدف اللقاءات الدرزية اتخاذ موقف من تمسكنا بصيغة التعايش .
٢ ايلول	: وليد جنبلاط ينسق مع الفلسطينيين . ـ مذكرات غيابية بحق المشتركين بمجزرة بريح .
٤ ايلول	: طلاس : القوات اللبنانية تتسلم الجنوب خلال أيام .
٦ ايلول	: دروز الجنوب مع الشيخ أمين طريف في اسرائيل .
٨ ايلول	: وليد جنبلاط يسعى الى التقرب من سوريا .
١٠ ايلول	: وليد جنبلاط يزور جبل العرب وقد يجري محادثات مع الاسد . ارسلان يتصل بشمعون والجميل لتحقيق المصالحة الشوفية .
١٣ ايلول	: جنبلاط والبعث السوري يقران ١٣ مبدأ للجبهة العريضة .
٢٣ ايلول	: جنبلاط : آن الأوان لفتح صفحة جديدة في لبنان .
٣٠ ايلول	: ارسلان : لن أتعاون مع «الجبهة العريضة» لانها مخلوطة وغير منسجمة .
١ تشرين الأول	: وليد جنبلاط يلتقي كريم بقرادوني الى الغداء .
١٣ تشرين الأول	: محسن ابراهيم يحاول اقناع جنبلاط باستمرار المسيرة لأنه يتجه الى نهج مستقل .
١٥ تشرين الاول	: تداركاً للفتنة : ارسلان يزور الجبهة في الايام المقبلة .
٢٣ تشرين الاول	: اسبوع تحرك لوليد جنبلاط ينتهي بزيارة الاتحاد السوفياتي .
١ تشرين الثاني	: شيخ العقل يزور سوريا ويلتقي الاسد ، جنبلاط وكرامي يزوران موسكو .

١٩٧٨

٢ أيار	: بعد مصالحة رشيد كرامي وفرنجيه . شمعون : «الجبهة اللبنانية» رأي عام وكل من أراد الخروج عليه نستطيع ان نقول له «مع السلامة» .
٧ حزيران	: مقتل جود البايع ـ تدابير لتطويق الحادث .
١٣ حزيران	: مقتل طوني فرنجية .
٢٦ حزيران	: ارسلان وجنبلاط ونواب الشوف وعاليه يلتقون اليوم . ـ وليد جنبلاط : «لا بدّ للبنان من دولة تحكمه فلا يبقى تحت حكم الامراء يتحكمون بالناس والمصير . مددت يدي الى فرنجيه وما زلت انتظر منه الجواب» .
٢٩ حزيران	: بعد هجوم مسلح على القاع وجديدة الفاكهة ورأس بعلبك وقتل عدد من المسيحيين . البطريرك حكيم يدعو المجلس الكاثوليكي الى اجتماع طارىء .

اطلاق سراحه .

٢ تموز : توقيف بشير الجميل على حاجز للردع في الاشرفية ثم اطلاق سراحه .

٣ تموز : بدء حرب المئة يوم . قصف صاروخي ومدفعي على بيروت الشرقية .

٦ تموز : جنبلاط مؤكداً دور سوريا المميّز : «لا نستطيع الاستمرار في اللاحرب واللاسلم من دون حسم نهائي وصيغة سياسية معقولة» .

٢٤ تموز : المؤتمر الشعبي الوطني الأول في اقليم الخروب .
ـ جنبلاط : نقاتل للتغيير ولن نفرط بالوحدة .

٦ آب : «المجلس الدرزي للبحوث والانماء» : غايتنا ان نكون ضمير الدروز .

١٢ ايلول : اختفاء الامام موسى الصدر .

١٧ ايلول : اتفاق كمب دايفد .

٣٠ ايلول : اغتيال نائب رئيس اقليم الشوف الكتائبي حكمت حمدان في الشوف .

أول تشرين الاول : بيروت والضاحية وبعض الجبل بركان تفجر قذائف ودماراً .

١٠ تشرين الاول : جنبلاط في رسالة الى القذافي : «صراعنا طابعه قومي اجتماعي ولا نقبل بتصنيفه طائفياً» .

١٩٨٠

٧ تموز : بشير الجميل يوحد بندقية المقاومة اللبنانية .

٣٠ تموز : انفجار سيارة ملغومة لاسلكياً في الاشرفية ، قرب صيدلية بارتي .

٧ آب : انفجار سيارة ملغومة في شارع الاستقلال ـ الاشرفية .

١٤ آب : معّمر القذافي دعا المسيحيين الى اعتناق الدين الاسلامي اذا كانوا حقاً عرباً .

٢٤ آب : انفجار سيارة ملغومة في ريفون .

١٣ ايلول : أكّد وليد جنبلاط اثر المعارك التي جرت في الحدث ان البندقية وحدها هي «الضمان الاول والاخير لوجودنا في هذا الوطن» .

٢٧ ايلول : أعلن وليد جنبلاط خلال زيارته لدير مار مارون في مجدل المعوش استعداده لمصالحة الكتائب على الأسس التي طرحت في مذكرة «الحركة الوطنية» ، واعتبر ان الأحداث التي وقعت في قرى الجبل اثر مقتل كمال جنبلاط كانت نقطة غير مشرفة في تاريخ الطائفة الدرزية ، مؤكداً العزم على محو «هذه الصفحة» .

٢٧ ايلول : انفجار عبوة في اوتوبيس تابع لـ «القوات اللبنانية» قرب مستديرة الدورة .

٢٩ ايلول : اغتيال المسؤول العسكري في زحلة جورج سعاده في مستشفى تل شيحا .

٨ تشرين الاول : وصف وليد جنبلاط بيروت الغربية بـ «شيكاغو» أيام تقاتل عصابات المافيا .

٩ تشرين الاول : دعا وليد جنبلاط الى انهاء الاحتلال والتهجير ، مذكراً بوضع الدامور التي «كفى أهاليها العقاب» .

٢٢ تشرين الاول : اغارت طائرات اسرائيلية على مواقع للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في قضاءي الشوف وعاليه .

٩ تشرين الثاني : وليد جنبلاط في لقاء مع صحافي فرنسي : ان اتفاق القاهرة أصبح مسبوقاً ويجب وضع صيغة جديدة للتفاهم مع الفلسطينيين ، مشيراً الى ان الفيدرالية هي احدى الصيغ المطروحة .
● ثلاثة شبان مسيحيين كانوا قد خطفوا في ٧ تشرين الثاني من شاغورا حمانا وجدوا مقتولين في بلدة بطلون (قضاء الشوف) .

١٠ تشرين الثاني : انفجار سيارتين ملغومتين في الاشرفية .

١٥ كانون الاول : أكد وليد جنبلاط ايمان كمال جنبلاط بالحوار واللقاء ، ورأى ان لا بد من لقاء مشترك مع «الجبهة اللبنانية» .

٢٥ كانون الاول : اشتباك في بلدة عين داره (الشوف) بين عائلتي حداد ويمين . عناصر مسلحة دهمت ليلاً بعض منازل آل يمين وأحرقت عدداً منها ودمّرت البعض الآخر .

١٩٨١

١٢ كانون الثاني : أعلن وليد جنبلاط رفضه الصيغة الفيدرالية ، معتبراً انها تساوي التقسيم .

١٩ شباط : مكسيموس الخامس حكيم ينجو من محاولة اغتيال تعرض لها على طريق بحمدون .

٢ نيسان : بدء معارك زحلة ـ قصف على المناطق الشرقية .

٢٨ نيسان : أغارت الطائرات الاسرائيلية على مرتفعات صنين وقصفت التلال المحيطة بـ «الغرفة الفرنسية» وأسقطت طائرتي هيليكوبتر سوريتين .

١٤ حزيران : قال وليد جنبلاط في احتفال تخريج دفعة من المقاتلين في الشوف : «ان الضمان الوحيد الاول والاخير لوجودنا كتقدميين ، كأبناء هذا الجبل الاشّم ، يبقى البندقية التقدمية والقرار الوطني اللبناني المستقل فقط لا غير» .

١٧ آب : أعلن وليد جنبلاط قبوله وجوداً سورياً دائماً في لبنان لضرورات استراتيجية وطالما ان هناك خطراً مشتركاً كاسرائيل مثلاً .

٢٢ آب : زار وليد جنبلاط يرافقه النائب فؤاد طحيني ، مقر مطرانية صيدا ودير القمر المارونية في بيت الدين حيث استقبلهما المطران ابراهيم الحلو . جنبلاط كتب في سجل المطرانية : «ان العلاقة التي تربط المختارة والمطرانية في بيت الدين قديمة وأصيلة وهي مصغر للعلاقة التي تجمع الطائفتين الدرزية والمارونية في الجبل وفي لبنان وتوحّدهما . وان لا شيء يستطيع ان يغير هذه الثوابت التاريخية التي عليها عاش لبنان وعليها سيقوم من جديد» .

٢٩ آب : قال وليد جنبلاط خلال جولة في قرى عاليه والشوف حيث زار دير مار مارون قرب مجدل المعوش : «اننا لن نتخلى ابداً عن هذه الأرض ولن نتخلى بالتالي عن لبنان . . .»

٤ ايلول : اغتيال «لوي دو لامار» ، سفير فرنسا في لبنان ، في محلة البربير .

٢٤ ايلول : اثناء زيارته بلدة دير القمر قال وليد جنبلاط : «لا مفر من مواجهة المستقبل الا بتبني صيغة سياسية جديدة متطورة ، بحيث لا تنقلب تسلطاً من الاكثرية على الاقلية وأضاف : «سيبقى الشوف وستبقى دير القمر منطلقاً لمعركة التغيير والاستقلال في لبنان آملين في التعاون لارجاع المهجرين الى ديارهم قريباً» .

١ تشرين الثاني : أشار وليد جنبلاط الى ان سياسة الانفتاح على المسيحيين التي مارسها في الشوف أو عاليه أو المتين بدأت أصابع التخريب ضدها .

١٩٨٢

١٦ كانون الثاني : شيخ العقل في الباروك يدعو الى المحبة والتسامح والاستعداد لأمور قد تفاجىء .

١٧ كانون الثاني : بشير الجميّل : «نأمل في ان تكون سنة ١٩٨٢ سنة الحسم» .

٩ شباط : جريدة تشرين السورية : «سوريا ستعاقب القوات اللبنانية لتعاملها مع اسرائيل» .

١٣ شباط : دروز الجولان يهددون باضراب مفتوح اذا لم تتراجع اسرائيل عن قرار ضم الجولان .

١٦ شباط : الحركة الوطنية تشكل في الجبل لجنة مالية «لدعم العمل الوطني» .

١٩ شباط : الحركة الوطنية تعلن استنفار قواتها واجهزتها .

٢٠ شباط : بورغ يحذّر دروز الجولان المضربين : «سوريا لن تقرر مصيركم» .

٢٥ شباط : ارينز : «ستكون نهاية المنظمة اذا استفزنا الفلسطينيون ودخلنا لبنان» .

٢٦ شباط : اسرائيل شددت اجراءاتها في الجولان . اعتقالات جماعية في صفوف الدروز بعد قطع كل الطرق الى قراهم .

٢ آذار : ارسلان يعقد مؤتمراً صحافياً يتحدث فيه عن صيغة التعايش ووضع دروز الجولان .

٣ آذار : جنبلاط : لا بديل من الحوار ، وبشير الجميّل ليس المحاور الوحيد .
- القاء قنبلتين يدويتين على سينما روكسي في بحمدون .

١٣ آذار : دروز الجولان أكدوا رفضهم قبول الهوية الاسرائيلية .

١٥ آذار : مهرجان وعرض عسكري في عاليه احتفالاً بذكرى جنبلاط .

١ نيسان : أول «مؤتمر للتضامن مع لبنان» في بيت مري باشراف القوات اللبنانية .

٤ نيسان : شمعون يعلن ترشيحه للرئاسة اذا كانت هنالك رغبة من اللبنانيين في ذلك .

٨ نيسان : ايتان : اغتيال الديبلوماسي خرق لوقف النار في لبنان .

١٠ نيسان : عسيران يحذر من هجوم اسرائيلي ويدعو الشرعية الى جمع الاطراف .

١٣ نيسان : جنبلاط : لست متفائلاً وأخشى حدوث اشياء كثيرة .

٢٢ نيسان : في أول غارة منذ تموز ١٩٨١ رافقتها اشتباكات مع طائرات سورية ، اسرائيل قصفت ساحل الشوف واقليم الخروب .

٢٦ نيسان : العلم المصري رفع فوق سيناء .

٢٨ نيسان : اغتيال الشيخ احمد عساف . اضراب في الشرقية والغربية .

٢ أيار : اغتيال كاهن رعية عالية المارونية واقتحام كنيسة الطائفة في طرابلس .

٤ أيار : جنبلاط افتتح في بعقلين «مركز كمال جنبلاط الطبي» .

٥ أيار : ارسلان وجنبلاط والوزراء الدروز عقدوا اجتماعاً في دير قوبل لتنسيق المواقف وتوحيد الصفوف .

١٠ أيار : اسرائيل اغارت على الزهراني وساحل الشوف .
وضع حجر الاساس في سبلين لمركز «كمال جنبلاط الطبي» .

٢٦ أيار : اشتباك سوري - إسرائيلي فوق بيروت وسقوط طائرتي «ميغ» في المتن .

٥ حزيران : قصف اسرائيلي لبيروت .

٧ حزيران : اسرائيل اجتاحت الجنوب ودخلت النبطية وطوقت صور وحاصبيا .

١٣ حزيران : تل ابيب : لا اتفاق ولا مفاوضات مع المنظمة والقوات المسيحية لم تساعدنا .

١٤ حزيران : شارون في بعبدا وعلى مشارف بيروت .
- جنبلاط في الاقامة الجبرية في المختارة .

١٨ حزيران : جنبلاط : «ما حدث في الشوف اتحمل انا وحدي مسؤ وليته ، وأعلم جيداً المحاولات التي يقوم بها الاحتلال لسلخ الطائفة الدرزية عن واقعها الاسلامي العربي» .

١٩ حزيران : بيريز التقى جنبلاط : «السيد جنبلاط حر في التنقل الى أي مكان يشاء» .

٢٢ حزيران : الجيش الاسرائيلي في رشميا .

٢٣ حزيران : احتلال منصورية بحمدون ، معركة طاحنة بالدبابات تدخل فيها الطيران وذلك بهدف قطع طريق عاليه .

٢٥ حزيران : الجيش الاسرائيلي في بحمدون .
- انباء أولية عن صدامات مسلحة بين عناصر كتائبية وأهالي بلدتي قبيع والقريّة في المتن وأهالي الشويفات .
- عنـ[illegible]ـن القوات اللبنانية تتمركز في مواقع قوات الردع العربية في الجمهور .

٢٦ حزيران : الجيش [illegible]سرائيلي في عاليه .

٢٨ حزيران : التقى ا[illegible]يخ بشير الجميل وفداً درزياً في الكحالة . دخول القوات اللبنانية الجبل لملء الفراغ الأمني ومنع الجرائم .

٢٩ حزيران : اشتباكات واسعة بين القوات اللبنانية ودروز قبيع والقريّة .

٣٠ حزيران : جنبلاط : معركة الجبل تقرر مصير لبنان .
- انفجار عبوة ناسفة على مدخل دار الطائفة الدرزية في شارع فردان .

١ تموز : الجبهة اللبنانية عرضت وفيصل ارسلان حوادث الجبل .
- مقتل رئيس دير قبيع الاب فرنسيس ضاهر ابي انطون من حمانا ٧٢ عاماً .

١٥ تموز : اتصال بين بشير الجميل ووليد جنبلاط لضرورة وضع مشروع سياسي متكامل .
- الفطايري : رفض الحوار مع الكتائب قبل الانسحاب الاسرائيلي .

١٦ تموز : اضراب شامل درزي في الشوف احتجاجاً على تمركز القوات اللبنانية في ثكنة بيت الدين ورفع الاعلام الدرزية .

١٧ تموز : لقاء درزي مسيحي في عاليه .

ـ مقتل روجيه بديع الاشقر وولده .

	: اجتماع بشير الجميل ووليد جنبلاط في القصر لحفظ الأمن في الجبل .
١٧ تموز	: جنبلاط بعد لقائه الاسد : «انقاذ لبنان بتثبيت الخط العربي وتوثيقه ببعده القومي سورياً» .
١٩ تموز	: دروز الجولان انهوا اضرابهم بعد سبعة أشهر .
٢١ تموز	: زار الامير مجيد ارسلان في عاليه : بشير الجميل على جيلنا اليوم تركيز دعائم الاستقلال وتطويره . ـ الشيخ امين طريف ، شيخ عقل الطائفة الدرزية في اسرائيل ، زار مجيد ارسلان ثم محمد ابو شقرا .
٢٥ تموز	: بشير الجميل : «انا مرشح لرئاسة الجمهورية» . ● كمين لدورية للقوات اللبنانية على مستديرة عاليه .
٢٦ تموز	: قيادي درزي : عن الاسرائيليين انهم عجلوا في خلق الاسباب الكامنة لتجدد الحرب الأهلية في هذه المنطقة . وقد لجأوا الى هذا العمل عن سابق تصور وتصميم ، واذا حصل أي استفزاز سيكون الأمر خطيراً جداً .
٢٨ تموز	: شمعون في دير القمر والسعديات لاول مرة منذ ١٩٧٦ .
٣١ تموز	: شمعون زار ارسلان في عاليه واتفقا على التنسيق في الانتخابات .
١٤ آب	: انفجار سيارة ملغومة في بحمدون أدى الى مقتل ٩ اشخاص وجرح ٣٥ آخرين .
٢٣ آب	: انتخاب بشير الجميل رئيساً للجمهورية .
٢٩ آب	: شمعون زار دير القمر .
٣٠ آب	: حفلة في سوق الغرب بمناسبة انتخاب بشير الجميل يحضرها وفود درزية ومسيحية من القرى المجاورة والنائبان بيار حلو وحميد دكروب .
٣١ آب	: اصدرت لجنة «التجمع الدرزي» في عاليه بياناً الى ابناء الطائفة الدرزية شددت فيها على توحيد الكلمة حول القيادات الروحية والسياسية للطائفة الدرزية وضبط النفس .
٢ ايلول	: التجمع الدرزي يدعو الى لقاء الفعاليات الدرزية ويحث ابناء الطائفة على انضباطهم ووعيهم .
٥ ايلول	: جنبلاط حذر من الفتنة الطائفية في الجبل والشوف خصوصاً . ـ شمعون بعد انفجار السيارة الملغومة في دير القمر (أول أمس) تمنى ان تكون السيارة الملغومة آخر حادثة مشدداً على تضامن أهالي الشوف لردع «اليد الغريبة» .
٦ ايلول	: بشير الجميل في يوم الدروز الارسلانيين في بكفيا : «بدأ الجبل يتوحد تمهيداً لتوحيد الوطن» . ـ «اننا نضع يدنا في يدكم ، قلوبنا معاً ، اكتافنا متراصة لنقول كابناء جبل واحد : مضى ما مضى ، ونتطلع الى المستقبل بتطلعات جديدة» . ـ «لا حق لنا بعد اليوم في ارتكاب الاخطاء التي ارتكبناها في الماضي» . فيصل ارسلان : «سنكون السيف والسند والمدماك الاساسي» .
٧ ايلول	: اشتباك في عرمون بين عناصر القوات اللبنانية وعناصر من الحركة الوطنية استخدمت فيها الرشاشات والـ آر . بي . جي . وهذا الاشتباك أوقع قتيلين و٣ جرحى .

٩ ايلول : أوضحت «لجنة التجمع الدرزي» انها اطلعت على التصريحات التي أعلنها الرئيس المنتخب أمام بعض اخواننا ، وقالت ان الشك يملأ قلوب معظم ابناء الطائفة لجهة التصرفات الجارية على الأرض ، والغاء الثكنات واعادة المخطوفين .

١٤ ايلول : اغتيال الرئيس الشيخ بشير الجميل .

٢٣ ايلول : قوة من الدرك دخلت كفرمتى وتوقفت الاشتباكات مع دقون .
- أمين الجميل رئيساً للجمهورية .

٢٦ ايلول : اجتماع في منزل النائب توفيق عساف في عيتات حضره رئيس اقليم عاليه الكتائبي والهدف منه معالجة حوادث عالية والمطالبة بالشرعية واعتماد الحوار .

٢٩ ايلول : فيصل ارسلان يناشد الجميل تسليم الجيش أمن الجبل .
- مجلس اتحاد قضاء عالية يرحب بتطويق الاحداث في منطقة عالية .

٣ تشرين الاول : عملية على باص اسرائيلي يوقع ٦ قتلى و٢٢ جريحاً في عاليه .

١٠ تشرين الاول : اشتباكات بتاتر - المنصورية بين القوات اللبنانية والاشتراكيين عند منتصف الليل . أما في كفرمتى فظل الوضع متوتراً وسجل رصاص قنص قبل الظهر وخفّ في المساء . وأبو فاضل يطالب بالجيش والدرك لتسلم أمن الجبل .

١١ تشرين الاول : مكمن لسيارة اسرائيلية في عاليه .

١٣ تشرين الاول : لقاء في منزل رئيس بلدية عاليه طالب بالجيش وجمع السلاح والمصالحة والسعي لوقف الاشتباكات المتمادية .
- اشتباك بين القوات اللبنانية والحزب التقدمي الاشتراكي في دقون وقد استعملت فيه الاسلحة الرشاشة وقذائف صاروخية .

١٤ تشرين الاول : جنبلاط طالب بمعالجة سريعة للوضع في منطقة عاليه .
- الاعور : «احداث الجبل قد تكون بابا لعودة الاقتتال» .

١٤ تشرين الاول : اتسع القتال في كفرمتى ودقون وشمل بعورته وعبيه وقبر شمون والبنيه وقوة اسرائيلية دخلت ليلاً للفصل . اثر ذلك حصل اجتماع بين أمين الجميل والوزان وارسلان لمعالجة الوضع وبحثوا بادخال الجيش .

١٥ تشرين الاول : لأول مرة يبرز وضع الجبل في الصفحة الأولى :
- «خفّت حدّة القتال في عاليه وتقرر دخول الجيش للفصل» .
- الاسعد : احداث عاليه الخطيرة تمهّد لاثارة الفتنة الشاملة ويدعو الى نشر الجيش بسرعة .
- أفادت الاذاعة الاسرائيلية ان الجيش الاسرائيلي اعتقل اخيراً ١٧ درزياً من أفراد الحزب التقدمي الاشتراكي بسبب مشاركتهم في أعمال مناهضة لاسرائيل .
- كرامي : يحذر من صراعات الجبل .
- جنبلاط : الفتنة خطر على الكيان وأهلاً بالسلطة اذا سحب الغرباء عن الجبل .
- مؤتمر درزي عام عقد في عاليه حضره الامير مجيد ارسلان والشيخ محمد ابو شقرا والوزيران السابقان سامي يونس وخالد جنبلاط والامير فيصل ارسلان .

١٦ تشرين الاول : توقف الاشتباكات بين القوات اللبنانية والحزب الاشتراكي في منطقة عاليه بعد دخول الاسرائيليين الى كفرمتى والفصل بين المتقاتلين .

● المؤتمر الدرزي طالب بالجيش وبأجلاء المسلحين واعادة المخطوفين وقد حضر المؤتمر مشايخ الدروز وضم عدداً من السياسيين في منزل الامير مجيد ارسلان .

● شارون : «سنتدخل قدر الامكان لمنع الاشتباكات بين الطوائف» .

● الشيخ امين طريف وعديد من المشايخ في خلوات البياضة : «ان من واجب اسرائيل وجيشها خدمة دروز لبنان» وهذا ما طالب به وزير الدفاع الاسرائيلي اريل شارون .

● جنبلاط : ما يجري في الجبل مشروع اسرائيلي لحرب أهلية والقوات الدولية هي الحل .

١٧ تشرين الاول : توقفت الاشتباكات في كفرمتى وعبيه والجوار وأحكم الاسرائيليون الفصل بين المتقاتلين .

ـ قال اريل شارون في جلسة مجلس الوزراء ان الكثير من الاشتباكات التي وقعت بين الدروز والمسيحيين كانت «بمبادرة من الدروز» .

ـ مراسل فرنسي : اسرائيل عرضت اقامة دولة درزية .

ـ صحيفة «معاريف» كتبت ان جنوداً اسرائيليين ينتمون الى الطائفة الدرزية حوكموا اخيراً بتهمة التعرض لميليشيات الكتائب في الجبل .

ـ طالب الحزب التقدمي السلطة بموقف وطني حازم ووصف الوضع في الجبل بأنه خطر ويجب ازالة الحواجز والثكنات .

١٨ تشرين الاول : الرئيس الجميل جمع طرفي النزاع في منطقة عاليه وتم الاتفاق على وقف النار وسحب المسلحين وبقي دخول الجيش مرهوناً بانسحاب القوات الاسرائيلية .

١٩ تشرين الاول : دخول فرقة استطلاع من المكافحة لكفرمتى قوامها ٣٠ عنصراً .

«عند سقوط أول قذيفة على بيروت ستنهمر القذائف على دمشق»

٢٠ تشرين الاول : ● تعزيز فرقة المكافحة من كفرمتى بقوة جديدة (٢٠ عنصراً) .

● الاسرائيليون ربطوا انسحابهم بانتشار الجيش اولاً والأهالي طالبوهم بمغادرة المنطقة لتسهيل التمركز .

● في تل ابيب صرح ناطق باسم الجيش الاسرائيلي ان على الجيش اللبناني ارسال قوة كبيرة ونشرها في الشوف كي يتمكن هو من الانسحاب من هذه المنطقة .

٢١ تشرين الاول : تعزيز وحدة الجيش في كفرمتى بعد خروج الاسرائيليين من وسطها وبقائهم على مداخلها .

● رداً على مطالب المؤتمر الدرزي رابطة الجامعيين المسيحيين : «ان الثكنات والتجمعات التابعة للقوات اللبنانية في الجبل وجودها من وجود المسيحيين فيه» .

٢٢ تشرين الاول : الجيش اللبناني بدأ انتشاره في كفرمتى وازال المتاريس وسيّر دوريات .

٢٤ تشرين الاول : ترحيب من قبل المجلس الدرزي للبحوث والانماء ، وأهالي منطقة عاليه بخطوات الجيش .

٢٥ تشرين الاول : فيصل ارسلان تفقد كفرمتى والجوار .

٣٠ تشرين الاول : اشتباك على طريق كفرمتى عبيه بين دورية من الجيش اللبناني وعناصر من الحزب التقدمي الاشتراكي .

٤ تشرين الثاني : جنبلاط اتصل بالجميّل وشمعون : الوضع في الجبل خطير جداً والاجراءات الاستثنائية خير من الصلاحيات .

ـ الاشتباكات الحزبية في الشوف تنتقل من قرية الى أخرى واسرائيل تعلن منع التجول .

ـ اشتباك قرب سرايا عاليه بين القوات اللبنانية والاشتراكيين .

٧ تشرين الثاني : استمر الهدوء الحذر في الشوف ، ممثلو الاطراف التقوا في دير القمر وأقروا خطوات للتهدئة تنفذ قريباً .
ـ نسف ثلاث متاجر في عاليه .

٨ تشرين الثاني : عمليات خطف متبادلة في عاليه قطعت الطرق واعادت التوتر .

٩ تشرين الثاني : مسلحون اشتراكيون هاجموا كفرنبرخ وقتلوا ١٠ وجرحوا ١٢ واشتبكوا مع الأهالي .

١١ تشرين الثاني : تخيّم اجواء الحذر على قرى الشوف . الاسرائيليون عززوا وجودهم وسيروا دوريات في المنطقة .

١٢ تشرين الثاني : أهالي حاصبيا يستنكرون اتهامات جنبلاط بارتكابهم مجزرة كفرنبرخ .
ـ سيارة ملغومة دمّرت القيادة الاسرائيلية في صور .

١٣ تشرين الثاني : جنبلاط : الوجود الوطني في الجبل باق على رغم الاحتلال وهو الضمان للبنان الواحد .

١٤ تشرين الثاني : جنبلاط : الوضع في الجبل خطير جداً والقوات اللبنانية تريد تطويقه .
ـ مقتل مسؤولين كتائبيين في كمين مسلح على طريق الشويفات .

١٧ تشرين الثاني : الاسرائيليون سحبوا قوات من الشوف ودخلوا كفرنبرخ وعزلوا بيت الدين .

١٨ تشرين الثاني : الاسرائيليون اعتقلوا تسعة متهمين بمجزرة كفرنبرخ .

١٩ تشرين الثاني : حاجز اسرائيلي في كفرحيم اعترض شيخ العقل ووتّر الجو .

٢٠ تشرين الثاني : مقتل خمسة وجرح واحد من عناصر القوات اللبنانية في سيارة جيب ضلّت طريقها في عيتات .
ـ انفجار سيارة مفخخة في عاليه .

٢٣ تشرين الثاني : العثور على جثث المخطوفين التسعة من كفرنبرخ في بئر بين عين زحلتا وبمهريه .

٢٧ تشرين الثاني : طريق عاليه مقطوعة وخطف ١٥ زحلياً في صوفر .

١ كانون الاول : خطف شخصين من بخشتيه .
ـ ٧٦ مطلوباً في مجزرة كفرنبرخ تلاحقهم النيابة العامة العسكرية .

٢ كانون الاول : محاولة اغتيال جنبلاط اثارت موجة استنكار جماعية في محلة القنطاري .

٣ كانون الاول : ناطقان عسكريان اسرائيليان في البرزة : لن ننسحب من الجبل لان الجيش اللبناني غير قادر .
ـ خطف متبادل في بحمدون وعاليه طال ، ١٣٠ مواطناً .

٤ كانون الاول : تجددت الاشتباكات في الجبل ونشط الخطف .
ـ خطف متبادل على طريق عاليه وقتيل وجريح من القوات اللبنانية .

٥ كانون الاول : خطف متبادل في الشوف طال ٢٥ مواطناً .

٦ كانون الاول : خطف متبادل في الشوف طال ١٥ شخصاً .

٨ كانون الاول : مسلحون يقتلون شخصين في بخشتيه .

١١ كانون الاول : مقتل ٧ عناصر وجرح ٩ وتدمير ٣ آليات للقوات اللبنانية في كمين مسلح في عاليه .
ـ مقتل مواطن في بحمدون .
ـ مقتل مواطن على الطريق الدولية قرب عاليه .

١٥ كانون الاول : التقدمي : الحرب ستشمل لبنان اذا لم يضغط على الميليشيات .
ـ تجدد التراشق مساء في عاليه .

١٦ كانون الاول : لجنة في سرايا بعبدا تجمع كل الاطراف . اتفاق على ازالة الحواجز في عاليه ومنع الخطف وتسيير دوريات لقوى الأمن .

١٧ كانون الاول : قتيلة وثلاثة جرحى في مكمن نصبه المسلحون على طريق الفوارة .

١٨ كانون الاول : اشتباكات في عاليه .

٢٠ كانون الاول : مقتل ٥ وجرح ٣ وخطف ٤ عسكريين على الطريق الدولية .
ـ رصاص على قافلة اسرائيلية في دير قوبل .

٢١ كانون الاول : محاولة تسلل الى بلدة الغابون أدت الى سقوط ٨ قتلى من القوات اللبنانية .

٢٢ كانون الاول : سقوط ٥ قتلى للقوات اللبنانية على مفرق دير قوبل .

٢٤ كانون الاول : اشتباك على طريق خلده أوقع ٣ جرحى كتائبيين .
ـ قصف مفاجىء على بريح والفوّارة .

٢٥ كانون الاول : أربعة قتلى قرب برّاد الدامور والتوتر في الشوف يتصاعد .

٢٧ كانون الاول : نبيه برّي التقى وفد المؤسسات الدرزية : اضرار احداث الجبل تتعدى الاطراف لتطول الوطن .
ـ التقدمي يتهم القوات اللبنانية بخرق الاتفاق .
ـ الشوف شهد مناوشات مدفعية وشيّع ضحايا الدامور .

٢٨ كانون الاول : بدء المفاوضات اللبنانية ـ الاسرائيلية .
ـ العثور على أربع جثث في احراج عرمون وعين عنوب .

٣٠ كانون الاول : مجزرة في كفرمتى حصيلتها شقيقان وعائلتهما . الضحايا السبع وضعوا في غرفة بعد تصفيتهم بمسدس .

١٩٨٣

أول كانون الثاني : ٦ قتلى من رشميا على طريق عاليه .
ـ ٤ قتلى في الحي الغربي في عاليه .

٤ كانون الثاني : اتفاق على وقف النار على محاور عاليه .

٧ كانون الثاني : اسرائيل : «الجميل رفض حلاً كان سيرضي اسرائيل» .

٨ كانون الثاني : اصابة ٢١ جندياً اسرائيلياً في مكمن لاتوبيس قرب عرمون .
ـ جنبلاط العائد من دمشق وفي طريقه الى السعودية : مع تسوية وضع الجبل شرط انسحاب العناصر الغربية وازالة الثكنات .

٩ كانون الثاني : بعد لقاء مع الاباتي نعمان ، جنبلاط : نرفض أية تسوية درزية ـ مارونية على صعيد لبنان .

١٧ كانون الثاني : فادي فرام يدعو الى معاهدة سلام وعلاقات طبيعية مع اسرائيل .

١٨ كانون الثاني : تل أبيب : قيادات مسيحية ودرزية طالبت ببقاء قواتنا في الشوف .
ـ فيصل ارسلان زار الاباتي بولس نعمان .

١٩ كانون الثاني : فضل الله تلحوق التقى القوات اللبنانية .

٢٤ كانون الثاني : مسلحون تسللوا الى شملان وقتلوا عجوزين .

٢٥ كانون الثاني : بيغن : لبنان رفض اقتراحاً بالانسحاب على مرحلتين .

٢٦ كانون الثاني : وزير الطاقة الاسرائيلي اسحاق موداعي زار الشوف والتقى مسؤولين في القوات اللبنانية والحزب التقدمي .

٢٨ كانون الثاني : مسلحون بين فالوغا وقرنايل خطفوا ٢٥ شخصاً .

٣١ كانون الثاني : شارون يحذّر المسيحيين من انسحاب الى مسافة ٤٥ كلم وينذر بيار الجميل بان عهد ابنه لن يطول .

٣ شباط : الاعداد بعيداً عن الاضواء لاتفاق أمني في الجبل .
- الكتائب : اسرائيل تطلب من لبنان ما يعّرض مصيره لاخطار كبيرة .

٤ شباط : محاولة اغتيال فيصل ارسلان بعبوة ناسفة قرب منزله في عاليه .
- نار الجبل مجدداً في بيروت ، بعد قصف عنيف غطى محاور الجبل جميعها .

٥ شباط : محاولة اغتيال عضو الكنيست الاسرائيلي أمل نصر الدين قرب بيصور .

٦ شباط : حواجز على طريق عاليه : قتل صاحب سيارة فولفو ، اصابة مراسلة صحيفة اجنبية على مستديرة عالية .
- الحزب التقدمي الاشتراكي يسيطر على الحي الغربي في عاليه ، بعد اجبار القوات اللبنانية على الانسحاب وتدمير بيت الكتائب فيه .
- القوات اللبنانية تتهم الاسرائيليين بالانحياز .
- شارون عن قصف الشرقية : لن نضرب القوات السورية لانقاذ المسيحيين .

٨ شباط : اسرائيل تشك في مكانة «الجميّل» وتلّوح «بتقسيم واقعي» .
- اتفاق درزي - مسيحي - اسرائيلي ينفّذ في ٣ ايام .
- امنون في مؤتمر صحافي عن حادثة الحي الغربي : «لا أحد منع أحداً ولا أحد أقفل الطريق أمام أحد» .

٩ شباط : لجنة التحقيق في مجزرة المخيمات أوصت باعفاء شارون .
- عرفات وجنبلاط التقيا في عمان وعرضا وضع الجبل خاصة .

١١ شباط : مسلحون هاجموا عائلة في الشبانية وقتلوا ٤ اشخاص .

١٥ شباط : الجيش استلم أمن بيروت الكبرى .

١٨ شباط : مسلحون على طريق عين زحلتا قتلوا جنديين اسرائيليين وجرحوا اثنين .

٢٤ شباط : احتجاز ١٧ عنصراً من الدفاع المدني في صوفر .

٢٨ شباط : كريم بقرادوني : لا معنى لبيروت الكبرى من دون الجبل .

٢ آذار : مقتل رجل دين درزي بعد خطفه في الكحالة مع خمسة مواطنين .

٣ آذار : اشاعة عن اغتيال وليد جنبلاط أثارت توتراً في الجبل ، خطف متبادل في عاليه .

٤ آذار : ٣ جرحى اسرائيليين في الدامور تعرضت قافلتهم لاطلاق نار .

١٠ آذار : خطف عنصرين من قوى الأمن الداخلي في صوفر .

١١ آذار : جنبلاط طرح مشروع مبادرة للخروج من دوامة العنف :
- «شعار ١٠٤٥٢ كلم زائد طبعاً مزبلة النورماندي شعار فارغ» .
- «حوادث الجبل اوقفها الثلج ولكن أسباب التوتر ظلت والدكتور جعجع «شو اجا يعمل» .

٢٤ آذار : شمعون التقى جنبلاط وتوقع خيراً : تفاهم تام والاولوية للجبل وكان اصرار على نزول الجيش .

١٥ آذار : خطف ١٠ مواطنين في الشويفات والمتن . مخطوفان كتائبيان فرّا من محتجزهما الى بيروت .

١٦ آذار : معاصر الشوف تشيّع مدّرساً قتل في البقاع الغربي .

٢٧ آذار : احياء ذكرى كمال جنبلاط في بيروت والجبل : معاهدة على متابعة المسيرة والتمسك بالوحدة .
- انفجار في ظهر الوحش قتل ضابطين اسرائيليين في سيارة .

١٩ آذار : وجد رجل وشقيقته (مسيحيين) مقتولين داخل منزلهما في مجدلونا .

٢٢ آذار : مكمنان لدوريتين اسرائيليتين في بشامون ورويسة البلوط .

٢٣ آذار : خمسة اسرائيليين اصيبوا بجروح في انفجار لغم في كفرنبرخ .

٣٠ آذار : جنبلاط من موسكو: اميركا واسرائيل تسعيان لجعل لبنان نقطة ارتكاز .
● مقتل جندي اسرائيلي واصابة اثنين في مكمن مسلح على طريق ضهر الوحش .

٥ نيسان : بعد سقوط قتيل وخطف متبادل ، تطويق الوضع في اقليم الخروب وتحذير من نقل الفتنة .

٦ نيسان : اصابة جنديين اسرائيليين بجروح في مكمن لدورية قرب عين زحلتا .

١٩ نيسان : تفجير السفارة الاميركية : ٥٢ قتيلا و١٠٠ جريح ومفقودين .
● انفجار عبوة في ثانوية بعقلين وقتيل قرب معاصر الشوف .

٢٥ نيسان : اسرائيل اطلقت سراح ١٣ درزياً كانوا معتقلين في مخيم انصار .

٣٠ نيسان : مقتل جندي اسرائيلي واصابة ٣ في تفجير على طريق الجيه .

٣ ايار : التقدمي يحتفل في بعقلين بأول أيار وذكرى تأسيسه .
- حاجز مسلح في صوفر يخطف عدداً من المارة بعضهم من ابناء زحلة .
- الجنرال ليفي يتفقد قواته في الجبل (الشوف وعاليه) يرافقه قائد المنطقة الشمالية والجنرال أمنون .

٤ أيار : اصابة ٣ اسرائيليين في انفجار جنوب كفرنبرخ (مفرق الفوارة - معاصر بيت الدين)

٥ أيار : اطلاق سراح المخطوفين في صوفر .
- طرقات عاليه والشوف حذرة بسبب انتشار المسلحين .
- اصابة طائرة مروحية تابعة «للمارينز» كانت تقل قائد وحدة مشاة البحرية في جولة استطلاعية . فوق منطقة عاليه .

٨ أيار : الحزب الاشتراكي أعلن حالة الطوارىء في الجبل وطلب من الأهالي التزام الملاجىء .

١١ أيار : رصاص على سيارة ديبلوماسي فرنسي قرب بعقلين .

١٣ أيار : وفد من دروز اسرائيل وصل الى الشوف في ثلاث سيارات رفعت العلم الدرزي واكبتها عناصر من حرس الحدود الاسرائيلي .

١٤ أيار	: أمين طريف طالبت رئيس الحكومة الاسرائيلية ووزيري الدفاع والخارجية وقف الدعم للقوات اللبنانيه وابعادها عن المناطق الدرزية .
١٥ أيار	: انفجار عبوة بدورية اسرائيلية عند تقاطع الشويفات ـ كفرشيما . ـ الحزب التقدمي : اقرار الاتفاق يقسم لبنان : «ان معركة الجبل هي معركة كل المسلمين الوطنيين» .
١٦ أيار	: جنبلاط يوّجه نداء للمقاتلين الدروز للاستعداد للحرب .
١٩ أيار	: حواجز خطف على حاجز ضهور الشوير ـ كفرسلوان واقفال الطريق .
٢٠ أيار	: وفود من الشوف وعاليه طالبت فيصل ارسلان بالعمل لادخال الجيش الى الجبل .
٢١ أيار	: موجة خطف حصدت نحو مئة شخص بين كفرحيم ودير دوريت .
٢٣ أيار	: خطف مطران صور للطائفة المارونية يوسف الخوري على مثلث خلده مفترق عرمون مع مساعده وسائقه واطلاق سراحه مساء بعد تحرك على كل المستويات . ـ المؤسسات الدرزية : لن ندع احداً يرتاح قبل رفع الحصار عن الجبل . ـ اطلاق ١٠٣ مخطوفين في الشوف والشويفات والمتن الاعلى .
٢٥ أيار	: الدفاع المدني في بعقلين يتسلم ١٤ جثة القيت تحت جسر دير دوريت ومصير ١١ مخطوفاً مسيحياً ما زال مجهولاً . ـ شارون يؤيد الانسحاب من الشوف الى نهر الاولي ويقترح انتشار القوات الدولية الموجودة في الجنوب مكان القوات الاسرائيلية .
٢٨ أيار	: حواجز مسلحة تنتشر بين ضهر الوحش وصوفر .
٢٩ أيار	: القذائف سابقت الفجر الى بيروت والجبل فأمطرت الشوف وعاليه والمتنين وكسروان والاشرفية . ـ قوى الأمن الداخلي قطعت طريق بيروت ـ دمشق عند ضهر الوحش بسبب ظهور حواجز مسلحة في عاليه .
٢ حزيران	: بعد تعرضهم لحادث الانفجار في معصريتي الاسرائيليون قطعوا طريق اغميد التي تربط الشوف بعاليه والمتن .
٣ حزيران	: تنفيذ اتفاق على فتح الطريق الدولية في عاليه وطريق عاليه ـ عيتات بين القوات اللبنانية والحزب التقدمي الاشتراكي باشراف القوات الاسرائيلية .
٨ حزيران	: قصف على اوتوستراد جونيه المعاملتين أوقع ٣ قتلى و٤ جرحى والاتفاق الجديد لوقف النار في الجبل خرق في الشوف وعاليه .
١٣ حزيران	: التقدمي : كوارث الجبل مسؤولية الميليشيات . ـ سيارة مفخخة تنفجر على طريق الشويفات ومقتل شخصين كانا في داخلها .
٣٠ حزيران	: شارون يزور منطقة الجبل .
١ تموز	: شارون تفقد الخطوط المتقدمة لاعادة الانتشار والمواقع الدرزية والمسيحية في الشوف .
٣ تموز	: معلومات عن مسؤولين دبلوماسيين اميركيين : الانسحاب الاسرائيلي جنوباً مؤكد واعادة الانتشار في آب أو ايلول .

١٠ تموز : شمعون : اخطأ الاسرائيليون بعدم بلوغ البقاع والشمال .

١٦ تموز : شارون أعلن تأييده للانسحاب تدريجياً .

٢٢ تموز : الرئيس امين الجميل : نرفض الانسحاب الجزئي . . . وكل الانسحابات ستتم قريباً واذا لم يوقف السوريون ارهابهم فسترتد القذائف على دمشق .

٣ آب : القوات الاسرائيلية اقتحمت ثكنة القوات اللبنانية في كفرفالوس .

٦ آب : شارون منتقداً الزعماء المسيحيين بعد زيارة بيروت : فوتوا الفرصة لاعادة السيادة لانهم وضعوا كل بيضهم في السلة الاميركية .

٨ آب : بيار الجميّل يكشف حديث شارون : رفضت طلب سلام مع اسرائيل ومعاداة ٢٢ دولة عربية .

١١ آب : احتجاز ٣ وزراء من قبل الاشتراكيين .
- شمعون : الجيش في الجبل في اسابيع .
- بيار الجميل : لتحصل الحرب وليربح الاقوى .

١٤ آب : دمشق : الحكم اللبناني في ورطة نتيجة نهجه وافلاسه الاخلاقي .

١٧ آب : ارينز : عقد مؤتمراً صحافياً في اليرزة والتقى كميل شمعون وبيار الجميل وفادي فرام وأعلن عن الانسحاب الاسرائيلي الى نهر الاولي في مدة اقصاها ١٥ ايلول وعن تخوفه من عدم دخول الجيش اللبناني سيؤدي الى فراغ أمني خطير مؤكداً عدم تخلي اسرائيل عن الدروز في لبنان .

٢٠ آب : ارينز يحث الحكومة اللبنانية على الاتفاق مع الدروز ولا مجال للتفاؤل في حال العكس .
- دمشق : الكتائب وممثلوها في الحكم لن يكون مصيرهم أفضل من السادات .
- خطف متبادل في الساحل والجبل .

٢١ آب : اسرائيل : لا تجنيد اجباري لدروز الجولان .
- أوري لوبراني : لن نتخلى عن علاقاتنا مع القوات اللبنانية .
- تبادل ١٣ مخطوفاً وجثة .

٢٣ آب : انفجار أمني واسع في الجبل يطول ضواحي بيروت .
- وعد بمتابعة مسيرة البشير في ذكرى انتخابه رئيساً للجمهورية .

٢٥ آب : ارينز : «لن نكون مسؤولين عن القتال في منطقة الجبل بعد انسحابنا» ولن نسلم بدخول الجيش الى الجبل قبل حصول اتفاق مع الدروز .

٢٦ آب : جنبلاط يدعو الى «المواجهة» في الجبل : قرار السلطة بارسال الجيش قرار بالحرب ضد الاكثرية : ان ساعة التحدي الكبير تقترب .

٢٩ آب : انفجر الوضع في الضاحية الجنوبية بين الجيش اللبناني و«أمل» .

٣٠ آب : التدهور الأمني في بيروت بين الجيش و«أمل» بلغ ذروته .

٢ ايلول : ريغان أمر بارسال ٢٠٠٠ مارينز الى السواحل اللبنانية .
- جنبلاط في دمشق : نعتبر انفسنا في حالة حرب مع الحكم .
- شيخ العقل : التصميم على مواجهة الجيش في الجبل أصبح امراً لا مفر منه .
- مجزرة جماعية في بمريم : ٣٥ قتيلاً بينهم كاهن البلدة .

٣ ايلول : موسكو : لن نقف غير مبالين حيال الأحداث في لبنان .

[illegible] ل : بدأت اسرائيل الانسحاب من الجبل دون تنسيق مع الجيش اللبناني .
- ارينز التقى فيربانكس في دير القمر ورفض التأجيل .
- دمشق تحذر الجيش من دخول الجبل .
- أوامر لثلاثة آلاف جندي لدخول الشوف .
- الجيش أنهى تمركزه في كل بيروت .

ايلول : معارك واقتحامات على كل محاور الشوف وعاليه .
- ارينز ينتقد لبنان ويدعوه الى ابرام الاتفاق ويحذر سوريا من التدخل في الشوف .
- وزير المالية عادل حاميه قدم استقالته احتجاجاً على ما حصل في كفرمتى .

٦ ايلول : ارينز لا يستبعد محاولة السوريين اسقاط الجبل .
- سوريا طالبت بمقاطعة لبنان .
- القوات اللبنانية دخلت البنيه والتقدمي اخترق بحمدون .

٧ ايلول : الجيش في سوق الغرب - الاشتراكيون في بحمدون والقوات في قبر شمون .
- وليد جنبلاط أعلن ان شروطه للحوار هي «الانسحاب غير المشروط لكل الكتائبيين من الجبل وخروج الجيش اللبناني منه واستقالة قائد الجيش ورئيس الأركان» .

٨ ايلول : تل ابيب تؤكد وجود خبراء سوفيات .
- واشنطن : مسؤولية سوريا كبيرة بالنسبة الى الوضع في لبنان .
- بحمدون : معركة بلا رحمة وبلا أسرى .

٩ ايلول : اسرائيل حذرت من مجزرة في دير القمر .
- حرب الجبل في يومها السابع .

١٠ ايلول : شمعون يشكر الحكومة الاسرائيلية على موقفها في دير القمر .
- للمرة الثانية توغل الاسرائيليون ١٥ كلم في الشوف .

١١ ايلول : انهى الجيش تمركزه في الشحار .
- اسرائيل : على مسيحيي لبنان أن يتعلموا السير على أقدامهم .
- واشنطن وتل أبيب تبادلتا معلومات حول معركة الجبل .
- التقدمي دخل البرجين وعين الحور .
- مجزرة في البيرة على يد الحزب التقدمي الاشتراكي .

١٢ ايلول : تل أبيب : ألف فلسطيني يقاتلون في الشوف .
- مجزرة جديدة في الفوارة .

١٤ ايلول : مجزرة في بلدة البرجين ذهب ضحيتها ١٣ مسيحياً .
- مجزرة في بلدة معاصر الشوف ذهب ضحيتها ٨٤ مسيحياً .
- نزاع بين ارينز وشارون الذي دعا الى انقاذ دير القمر .

١٧ ايلول : مجزرة في بلدة مجدليا قرب بيصور : ١٨ مسيحياً ومجزرة أخرى في مزرعة شويت .

١٨ ايلول : الرئيس أمين الجميّل أعلن ان الحرب الدائرة في الجبل هي حرب جانبية أو مسرحية جانبية هدفها الهاؤنا عن الهدف الأساسي وهو انسحاب كل القوات غير اللبنانية من لبنان . ونفى أن

تكون الحرب في الجبل «عشائرية» أو «دينية» .

٢٠ ايلول : تل أبيب لوفد درزي اسرائيلي : ٢٠٠٠ فلسطيني في عاليه والشوف .

١ تشرين الأول : طالب وليد جنبلاط بميثاق وطني جديد بعيد عن الطائفية التي تسيطر على ميثاق ١٩٤٣ .

٢ تشرين الاول : ١٦٥ طفلاً وامرأة من كفرمتى والبنيه وعبيه غادروا دير غوسطا برفقة حياة ارسلان عقيلة الأمير فيصل ارسلان بعد ضيافة استمرت ١٠ أيام لدى القوات اللبنانية .

٧ تشرين الاول : شفيق الوزان عزا عدم تدخل الجيش في معركة بحمدون وعاليه الى كونه اداة محكومة بالقرار السياسي .

٨ تشرين الاول : نسف وحرق عدد من منازل المسيحيين في بلدة قرنايل وما تبقى من منازل بلدة صليما بعد سرقة محتوياتها .

١١ تشرين الاول : نمر صالح أعلن ان الفلسطينيين قاتلوا الى جانب الدروز في الشوف وعاليه وانهم «لن ينسحبوا من لبنان ابداً ، ذلك ان لبنان هو الجسر الحديدي الى فلسطين» .

١٣ تشرين الاول : اضراب شامل في المناطق المسيحية في «يوم الوفاء للجبل» .

٢٣ تشرين الاول : شاحنة مفخخة تدمر مقر المارينز وأخرى مقر الفرنسيين في بيروت الغربية ، الضحايا ٢٤١ اميركياً و٥٨ فرنسياً .

٤ تشرين الثاني : الطيران الحربي الاسرائيلي قصف مواقع للفلسطينيين في بحمدون وجوارها .

٢١ تشرين الثاني : الجنبلاطيون : منعوا قافلة الصليب الأحمر من دخول بلدة دير القمر الشوفية واستمروا في اطلاق رصاص القنص على البلدة .

٢٤ تشرين الثاني : الشيخ أمين طريف ، بعث ببرقية الى اسحق شامير ، رئيس الوزراء ، مطالباً اياه بالعمل لدى لقائه الرئيس الاميركي على «ضمان الحقوق المشروعة للدروز في لبنان وإقامة ادارة ذاتية لهم ضمن الدولة اللبنانية» .

١ كانون الاول : اغتيال الشيخ حليم تقي الدين ، رئيس القضاء المذهبي الدرزي ، في منزله في المنطقة الغربية .
- ضحايا القصف ١٢ قتيلاً و٣٧ جريحاً .
- المساعدات منعت مجدداً عن دير القمر .

٢ كانون الاول : الرئيس في اميركا ، ريغان أكد تمسك واشنطن باتفاق ١٧ أيار .
- بيرسي : ٥٠٠ خبير سوفياتي في لبنان .
- اغتيال حليم تقي الدين رئيس القضاء المذهبي الدرزي في منزله ، ١٤ قتيلاً و٣٨ جريحاً .

٣ كانون الاول : الجميل - أمور مهمة خلال أسابيع .
- ارينز : السوريون قتلوا بشير الجميل ونسفوا مقر قيادة «المارينز» .

٤ كانون الاول : غارة اسرائيلية على مواقع في بحمدون وصوفر .
- انفجر الوضع ليلاً وسقطت قذائف في بيروت الكبرى .
- دير القمر تشكل رمزاً لجلجلة لبنان .

٥ كانون الاول : الطائرات الاميركية قصفت مواقع للسوريين .

ـ واشنطن خسرت طائرتين ومقتل ٨ من «المارينز» .

ـ شامير : الغاء الاتفاق يلغي لبنان .

ـ اعلان فك الحصار عن دير القمر .

٧ كانون الاول : موسكو حذرت اميركا واسرائيل من معاملة سوريا مثل غرينادا .

ـ جنبلاط : الحل العسكري وارد وأفق الحل السياسي محدود .

٨ كانون الاول : الطائرات الفرنسية قصفت هدفاً داخل سوريا .

ـ ٤ قتلى و٩ جرحى في بيروت الكبرى .

٩ كانون الاول : اعادة نشر المارينز ، ٣٠٠ نقلوا الى سفن قبالة الشاطىء .

ـ الجبل التهب وليله تحول جحيماً .

١١ كانون الاول : ريغان : باقون في لبنان حتى الاستقرار وتحرير الشعب .

١٥ كانون الاول : ريغان : ننسحب اذا حدث انهيار .

ـ نيوجرسي قصفت الجبل .

ـ ورامسفيلد التقى خدام .

ـ تنفست دير القمر ـ لواء اسرائيلي أخرج المحاصرين .

الفهرس

إلى أخي

ترحل التراتيل إلى جبال الثلج
تضيء الشموع الصلاة ..
تشعل الذكرى جزءاً من إلهي ..
وتتابع المسيرة نحو كنيسة ...
نعم يا أخي ... كنيسة سيولد فيها المسيح ...
في منتصف الليل ...
كنيستك أنانية ... لم يعد فيها مكان للولادة
ثلاثة كنتم على مذبحها .. تسارعت حجارتها
تضمكم ... تقبلكم بمفردها ...
رحل صاحب الهيكل ... ليولد
وبقيت أنت ... بقي ليموت
وتتابع المسيرة ... تحن لافتقادك في الخامس من أيلول
فرحت للقياك بالميلاد ...
... في منتصف الليل .

٢٤/١١/١٩٨٣
سهرة الميلاد في تدشين - عنايا



